سيرة مجنون

الهندي الأحمر الأيسلندي

جون جنار

ترجمة: ياسمين مصطفى

العربي للنشر والتوزيع
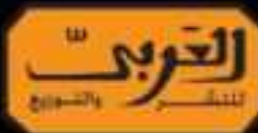
روايات مترجمة

الهندي الأحمر الأيسلندي

سيرة مجنون

جون جنار

الهندي الأحمر الأيسلندي

سيرة مجنون

ترجمة: ياسمين مصطفى

العربي
للنشر والتوزيع

"فكرتُ في كل هذه الأسماء، ليس مرة أو مرتين، أو حتى ثلاث مرات، بل إنني لم أعد أفكر سوى فيها. فَرَضت نفسها على ذهني، بشكل استبدادي، متواصلٍ ومُلحْ، لتمحو كل شيءٍ آخر من وعيي تمامًا".

"بوربيرجيور بوروآرسون"- (على ضفة محيط الموت) (لم يُنشر)

⧗

"في البدءِ خَلَقَ الله السماواتِ والأرض، وكانت الأرضُ خَرِبَةَ وخَالِيَةً وعلى وجهِ الغمرِ ظُلمة، وروُحُ اللهِ يرفُ على وجهِ المياهِ. وقال الله: ليكن نور، فكان النور".

حدث هذا في منتصف النهار تقريبًا، في الثاني من يناير 1967، في تلك اللحظة جئتُ إلى الوجود. قبل ذلك، لم يكن هناك شيء؛ كنتُ مجرد تكوين بلا ملامح في وعي الكون، مياه راكدة، مياهٍ لم تأخذ تكوين المياه بعد في أبديةٍ لا وجود للزمن فيها.

في البداية، لا تعرف أي شيء عن رأسك. كأن أحدهم أتى دون سابق إنذار ووضعها أعلى كتفيك، فصارت أنت. أنت مُرتبكٌ ومُشوش، لا تدري بالضبط ما يتوجب عليك فعله. ولكن، بمرور الوقت، وبالتدريج، تبدأ في وضع الأمور في سياقها، تصير الهمهمة حديثًا وكلمات. كل شيء يتضح بالتدريج، ويتزين بضوء مبهر. تصبح مقربًا من وجودك. تكتسب خبرة وتكتشف وجود الآخرين. كل شيء تفعله يحدد تجربتك أكثر وأكثر. وكل تجربة هي اكتشافٌ جليل متفردٌ بذاته. يتذكر العقل أشياء، ويصل إلى استنتاجات، ويأتي مزوَّدًا بما يحتاجه من أجل الاستمرار المنطقي، المناسب للظروف. يبدأ الماضي في التراكم

كبريدٍ غير مرغوب فيه، وغير مُصنّف، يطاردك في صحوك، أينما تذهب. تحمله على ظهرك ككيس قمامة سوداء، فهو دليلك إلى المستقبل، وأداتك في المهام التي تنتظرك. وبمرور الوقت، وبينما ينمو الماضي أكثر، تتكشف لك لمحات من المستقبل. ودون أن تدري، يفاجئك صراع ماضيك مع مستقبلك للفوز باهتمامك. وتتوقف عن الانبهار بالمعجزة؛ الصنعة الممتازة؛ معجزة وجودك. فيصير كل شيء مألوفًا.

في النهاية، يفقد المبهر سحره، ليصبح مجرد حلقة في سلسلة من الأحداث اليومية. ولكن في العمق، ما بين الماضي والمستقبل، يُقيم "الآن"، المكان الذي منه أتيتَ قبل بداية كل شيء. "الآن" الذي كالقهوة، ما أن تنتهي من **احتسائها**، حتى ترى الأرض هناك في قاع الفنجان.

إضافة إلى ذلك، تكتشف أنه من الأفضل لك تناولها ساخنة.

△

كان مجيئي إلى الدنيا صدمة حقيقية لعائلتي، كانت والدتي في الخامسة والأربعين عندما رُزِقتْ بي، أما أبي فكان في الخمسين من عمره.

كانا يدركان أنهما أكبر سنًا من أن يُنجبا طفلًا، أمر كهذا لم يكن مألوفًا في تلك الأيام. شعرتْ أمي بالخجل. لم تحاول إخفاء انتفاخها، لكنها لم تروِّج للأمر أيضًا. لم يكن الأمر مقصودًا. كنتُ في طريقي إلى هذا العالم بفضل لحظة تهور في شهر مايو في فندق "فلوكالوندور" بـ"بارزاسترَوند". تم تعميدي باسم "چون جنار"؛ "چون" تيمنًا بجدي، و"جنار" تيمنًا بخالتي "جونَّا".

كان من المُنتظر أن أولد في ليلة رأس السنة. توقع الكثيرون أن أكون أول طفل يولد هذا العام، وأن تنشر الجرائد صورًا لي أنا وأمي. لكن أمي تعمدت تفادي حدوث هذا، لم ترد مزيدًا من الاهتمام غير الضروري، لقد كانت منغلقة دومًا على نفسها.

أخبرها الأطباء باحتمال إصابتي بتخلفٍ عقلي نظرًا لتقدمها في العمر. نصحوها بإجراء فحص للسائل المحيط بالجنين للتحقق من أية مشاكل وراثية. كانت عملية في غاية الخطورة، ومن المحتمل أن تُسفِر عن إجهاض، فلم ترغب أمي في ذلك. لم تكن تثق بالأطباء، وتقبلتْ ما رُزِقتْ به دون شكوى أو إثارة

للضجة. لقد تعلمت من تجاربٍ مريرة سابقة أن تستسلم لقدرها؛ تعلمت تحمل عواقب أفعالها. لم تكن أمي تقبل بالخداع أو الأعذار. كما تعلمت أن الطريق السهل المريح، نادرًا ما يكون الطريق الصحيح. ولأنها تسببت في هذا الحمل، قررت تحمل المسؤولية، والاعتناء بهذا الطفل سواء كان متخلفًا أم لا.

كان ميلادي نفسه صدمة أخرى للعائلة، كان من الواضح أني لست متخلفًا. يا لها من راحة! لكن بعد مولدي ظهرت حقيقة أخرى مخيفة أيضًا: كنتُ أحمر الشعر، ووجهي مليء بالنمش. لم تكن الصدمة لتختلف لو كنت وُلدت أسود البشرة.

لأبي شعر داكن ولأمي شعر فاتح. أما أشقائي فلهم جميعًا شعر داكن. لا تضم العائلة أي فرد أحمر الشعر، على مدى أجيال وأجيال في الماضي.

شكت جدتي "آنا" على الفور من وجود خطأ. فلطالما حملتْ ضغينةً نحو أصحاب الرؤوس الحمراء، فهم من وجهة نظرها، غجريون شماليون، أقل شأنًا من غيرهم، وعديمي القيمة إلا عند استخدامهم كطُعمٍ لاصطياد أسماك القرش. لم تقابل جدتي في حياتها شخصًا أحمر الرأس صادقًا أبدًا، هم دائمًا متشردون، وتجري السرقة في دمائهم.

أدى ذلك إلى الكثير من الجدل والشائعات، فشكك الناس في شرعية نسبتي لأبي.

قال أبي مازحًا:

- يا حسرة، ليس في هذا الطفل شيء يمكنني أن أنسبه لنفسي.

لكن جدتي لم تكن في مزاج مناسب للمزاح:

- أعتقد أن عليك التواجد في المنزل لفترات أطول.

لم تتقبل جدتي "آنا" هذا الأمر أو تتقبلني، مطلقًا. كنتُ في نظرها مجرد لقيط، حَمَل أسود بين قطيع رائع الجمال، بقعة قبيحة في شجرة العائلة. إذا ما امتدحني أحدهم أو أبدى إعجابه بي، كانت تتمتم:

- نعم، إنه ذكي ووسيم، لا أنكر ذلك.. لكنه.. يعني.. أحمر الرأس.

⧗

أصبح المنزل الجديد جاهزًا وقمنا بالانتقال إليه. إنه كبير وتفوح منه رائحة الخرسانة الجديدة والرطوبة.

جعلت أنفي على مقربة من الحائط الذي لم يتم دهانه بعد، واستنشقتُ الرائحة الغريبة. أصبحت هذه الرائحة ذكرى مُثبَّتة في ذاكرتي. وحتى بعد مرور أربعين عامًا، لا أزال أتذكرها؛ ما زلتُ أعايش تلك المشاعر من جديد كلما دخلتُ بناء حديث البناء. الأسمنت، والرمال، والماء. رائحة الخرسانة.

بدلًا من زجاج النوافذ كان هناك بلاستيك. لا توجد أبواب بالمنزل كله. أمَّا بالخارج فكانت هناك فوضى عارمة في كل الجهات؛ حصى وخنادق ومبان غير مكتملة. هناك منازل جاهزة مأهولة، وأخرى ما تزال خاوية مُحاطة بسقالات، بينهما أساسات تنتظر بصبر أن تُشيَّدْ فوقها المنازل، بعض تلك الأساسات خالية، مجرد حفر عميقة في الأرض، يتجمع بها الماء مكونًا برگًا من الطين، كما يحدث عقب الغارات، أما البعض الآخر فقد صُبَّتْ فيه الأساسات وزُوِّد بتعزيزاتٍ حديدية بارزة. تنتشر في المكان خلاطات الأسمنت وأكواخ العمال. تتحرك شاحنات ضخمة خطوات إلى الأمام وإلى الخلف في الوحل الكثيف. حمراء

ورمادية اللون ولها مقدمات ضخمة، وتُسمَّى "سكانيا – فابيس". إلى جانب كل منزل يوجد ممر أسمنتي كي لا يخطو الناس في الوحل المحيط بكل شيء.

يتكون منزلنا الأسمنتي من طابقين، آخر منزل في صف من ثلاثة؛ منزلنا رقم واحد. توجد مساحة مخصصة لركن السيارة أمام المنزل. في البدروم شقة بغرفتين مع مدخل خاص بها، تطل على الحديقة الخلفية، قام أبي وأمي بتأجيرها.

شقتنا ضخمة. يقودك المدخل إلى صالة كبيرة. توجد إلى اليمين غرفة تخزين ومطبخ كبير مُطلّ على الشارع. وفي الأمام توجد غرفة معيشة رحبة، ومنها تصل إلى غرفة تليفزيون بأرفف للكتب. يمكنك الوصول عبر غرفة المعيشة إلى غرفة تخزين واسعة بها ثلاجة. في غرفة التخزين يوجد سُلَّم يقودك للأسفل حيث توجد خزانة أخرى للتخزين. كما يمكنك الخروج إلى البلكونة من غرفة المعيشة؛ تطل البلكونة على جهة الجنوب. من هناك يمكنك رؤية حديقة "فوسڤوجسدالور" في الشمال وحتى مدينة "كوباڤوجيور" في الجنوب. للبلكونة بابين؛ أحدهما يُفضي إلى غرفة المعيشة، والآخر إلى غرفة النوم الرئيسية.

عندما تسير إلى يسار الصالة تمر بخزانة ضخمة. توجد حجرتين للنوم في نهاية الصالة جهة اليسار، الأولى لأختي "رونا"، لاحقًا عندما تترك المنزل ستصبح حجرة للتليفون. كما ستكون حجرة لجدتي "جورون" لبعض الوقت. حيث ستقيم معنا بانتظار أن يخلو مكان في بيت المسنين. إلى جانب هذه

الحجرة توجد حجرة جدتي "آنا". ستقيم معنا لأعوام معدودة قبل أن يتوفى. بعدها ستصير حجرتها - تلقائيًا - لي.

إلى جوار حجرتي يوجد حمَّام كبير به بانيو، وزاوية للغسَّالة والحوض. لا توجد نافذة بالحمام عدا تلك النافذة الغريبة المليئة بالفجوات في السقف والتي تؤدي إلى "السندرة".

إلى جوار الحمام، في نهاية الممر، توجد حجرة نوم ثنائية، هذه أكبر حجرة، بها دواليب مبنية في الحائط. سأنامُ فيها لسنوات قليلة في البداية، مع أمي وأبي. توجد أماكن تخزين غير مستخدمة في جميع أنحاء المنزل، كما أنه مُحاط من الخارج بحديقة وسياج.

لي ثلاثة أشقاء، يكبرونني جميعًا بفارقٍ كبير. فقد كان أخي "عمر" في الخامسة والعشرين حين ولدت، لكنه غادر المنزل منذ زمن بعيد. لي أختين، "كريستين" كانت في العشرين من عمرها وقد انتقلت إلى "النرويج"، و"رونا" وهي تكبرني بإثنى عشر عامًا.

نحن أسرة "أيسلاندية" تقليدية. فإلى جانب كونها ربة منزل، تعمل أمي بمطبخ مستشفى المدينة. وُلِدتْ وترعرعت في "ريكياڤيك"، عاصمة أيسلندا، الشقيقة الصغرى لسبعة فتيات. تعلَّم جدي تشييد الأبنية لكنه لم يعمل كثيرًا بسبب مرضه. كان مصابًا بالتهاب المفاصل وتُوفي قبل مولدي بأعوامٍ عدة. أخبرتني أمي عنه، قالت إن أصابعه كانت تآكلت لدرجة أنه عجز معها عن تحريكهم. جدتي لأمي "آنا"، كانت ربة منزل، ورغم مرض جدي إلا أنَّه حرص

على توفير الدعم الكافي لأمي وشقيقاتها. عاشوا جميعًا في شقة صغيرة بالمنطقة القديمة من مدينة "ريكياڤيك". بحث إخوة والدتي الأكبر سنًا عن العمل هنا وهناك ووفرن الزاد للعائلة، عادةً ما كان الطعام سمكًا يشترنه من بعض الرجال في الشقة الواقعة أسفل شقتهم، كانوا يملكون مركبًا صغيرًا بمحرك، كان ذلك نوع من الرفاهية.

ولد أبي عام 1918، أثناء "الصقيع الأعظم". كان عامًا عصيبًا بالنسبة لـ"الأيسلانديين" والعالم أجمع. في العام نفسه اكتسحت الإنفلونزا الأسبانية البلاد؛ مات أكثر من 300 "أيسلاندي"، لكن أبي لم يمت.

في هذا العام أيضًا، زرع "نيكولاي بيارناسون" حديقة الجميز الخاصة به على زاوية "سوزورجاتا فونارسترايتي". لم يكن يعلم حينئذ أنها ستتحول فيما بعد إلى ساحة لانتظار السيارات.

ولد أبي وترعرع في الغرب بين خمسة أشقاء. كان والده ساعي بريد ورئيسًا للعمَّال، أمَّا والدته فهي الجدة "جوزرون".

لم أقابل جدي قط، لقد توفي قبل مولدي بفترة طويلة، مثل جدي الآخر. أُصيب بمرض السل، واضطر إلى البقاء في مصحة لشهور عديدة. ثم استرد كامل عافيته وعاد إلى الغرب خلال طقس صيف 1954 المعتدل. قام بتلك الرحلة على ظهر قارب عابرًا خليج "بريزافيورزور" الضحِل، لكنه غرق في الطريق، في مكان ما وسط الخليج الطويل الضيق، مع سائر الرجال والجرذان. لم يتم العثور على جثث أو أي أثر للقارب، لتنتقل بعدها جدتي إلى الجنوب مع الأطفال.

كان أبي قد جاوز العشرين حين قدومه إلى "ريكياڤيك". أراد أن يصبح ممثلًا والتحق بمدرسة الدراما، لكنه اضطر إلى تركها لفقره الشديد. لم يكن بوسعه توفير الطعام لنفسه، ناهيك عن سداد المصاريف الدراسية. في تلك الفترة، كانت هناك حاجة شديدة إلى رجال الشرطة، فتقدَّم أبي، ولأنه كان شجاعًا بشكل ملفت، تم تعيينه فورًا، وهكذا انتصر الواقع على الأحلام.

شغل أبي وظيفة رجل شرطة لمدة أربعين عامًا، كان موظفًا جيدًا، لم يتخلّف عن العمل يومًا، لكنه لم يحصل على أية امتيازات بسبب آرائه السياسية، لأنه كان شيوعيًا أصيلًا. جاب الشوارع، وواجه رجال شديدي العنف، وتواجد في مواقع حوادث السيارات، وتحمَّل من الأمور ما لم يهتم الآخرون برؤيته، وفي النهاية - وفقًا للرسميات - تمت ترقيته إلى "رقيب" يجلس في الردهة.

في هذه المرحلة كانت ساقاه في غاية الضعف بسبب تجوّله طيلة عقود بأحذيةٍ رديئة، نيابة عن الدولة. عوضته الدولة عن شُحِّها فيما بعد بمنحه أطراف صناعية.

انتقلت جدتي "آنا" وشقيقتي "رونا" إلى المنزل الجديد معي ووالدي. ما إن قامتا بإكمال الأوراق اللازمة.

لم تسعد "رونا" بالانتقال بسبب فراقها لأصدقائها، والانتقال إلى تلك البقعة النائية من اللا مكان. "فوسفوجور" هي إحدى ضواحي "ريكياڤيك"، والتي يعتبرها الكثيرون الحد الأدنى من المعيشة الآدمية. إنها مثال جيد لما عليه البلد، فمن الطبيعي أن تر الأغنام وهي ترعى في الوادي، وحتى مدينة "كوباڤوجور"، البعيدة عنَّا للغاية.

بلغت جدتي "آنا" مرحلة الشيخوخة، ولم تعد تميزنا في كل الأوقات. إنها لا تعرفني. قد تغضب أحيانًا بشدة لسبب أو لآخر، فهي دائمًا ما تعتقد أنها يُساء معاملتها بطريقة ما. كثيرًا ما تبكي وأحيانًا تصرخ. تعتقد أنه لا يتم إطعامها على الإطلاق، ما إن تنهي وجبتها حتى تدخل إلى غرفتها وتخرج ثانية قائلة:

- أعتقد أنه لن يكون هناك أية طعام، كالعادة.

ثم تشرع في النحيب وهي تسأل أمي:

- ألا يُسمح لي بتناول شيء من الطعام؟

فتجيبها أمي:

- لقد أكلتِ لتوك.

حينئذ تنهار جدتي وتنفجر باكية:

- عليك أن تخجلي من نفسك عندما تعاملينني بهذه الطريقة.

تتنهد أمي.

- لم أكن قط أمًا سيئة أو خبيثة تبخل عليكِ بالطعام.

كانت تخزن كل ما تجده من طعام في غرفتها، تتسلل أحيانًا إلى المطبخ لتأخذ الطعام وتخبئه في غرفتها، أقسم أني رأيتها تدس حفنة كاملة من السمك المقلي في جيب ردائها. توجد بقايا خبز وكرات لحم متعفنة في درج دولابها، بين ملابسها الداخلية وحُليّها، عادةً ما تفتش أمي أشياءها بسبب الرائحة الكريهة التي تفوح منها لكن جدتي تصرخ وتشتكي.

- هل تنوين تجويعي حتى الموت؟

أحيانًا تعطي ملابسها لــ"رونا" ثم تبكي لرفض الثانية ارتدائها خارج المنزل.

- تصر جدتي على اعطائي هذا القميص البشع يا أمي.

تقولها وترفع قميصًا منسوجًا ذو طراز شمالي، فتضحك أمي.

- لا يمكنني تحمل فعلها ذلك!

دخلت "رونا" غرفتها في إحدى المرات لتجد ملابس جدتي الداخلية مطوية على فراشها، فاشتعلت غضبًا.

- هلا أخذتِ هذه الأشياء المقززة بعيدًا يا أمي؟

بكت جدتي بحرقة عندما رأت رفض "رونا" ارتداء ملابسها الداخلية، واعتبرتها مُدللة وناكرة للجميل.

- عار عليك ازدراء تلك الأشياء الجميلة التي أمنحها لك.

- أمي!

كما انتقلت قطتنا "ستيمبول" إلى المنزل الجديد معنا. "ستيمبول" قطة شرسة، لا تحتمل الغرباء وتهاجم من يأتون لزيارتنا، تأتي مسرعة وتقفز عليهم دون إنذار، مستخدمة فمها ومخالبها.

زارتنا زميلة أمي في العمل ذات مرة، وكانت "ستيمبول" تتشمس على حافة النافذة، أرادت المرأة أن تربت عليها لكن أمي حذرتها من ذلك وأخبرتها كم هي سيئة المزاج، لكن المرأة أصرت رغم التحذير، ومالت فوق "ستيمبول".

- يا لها من قطة جميــ....

هاجمتها "ستيمبول" مستعملة أحد مخالبها فأصابتها بجرحٍ قطعي في خدها، ثم أصدرت هسيسًا وهاجمت ساقيها. اضطرت أمي إلى إبعادها عن المرأة بالقوة وإلقائها في غرفة النوم.

يعتقد الجميع أن "ستيمبول" مُختلَّة، لكنها ليست مُختلَّة بالشكل الكافي لمهاجمتي، رغم معاملتي السيئة لها منذ كنت رضيعًا. كنت أجذبها من شعرها وأحملها كالحقيبة، أو أسحبها خلفي من ذيلها. لم تؤذِنِ بمخالبها ولا أصدرت هسيسها تجاهي قط، ولا حتى حينما ألبستها الثياب، وزينتها بالشريط اللاصق. كانت تتحاشاني غالبًا، ثم تأتي بعد نومي لتلف جسدها حول رأسي، ولعلها شعرت بنوع غامض من التوحد معي. في النهاية، لم نستطع الاحتفاظ بها لفترة أطول؛ ازدادت شراستها مع تقدمها في العمر. أخذها أبي إلى مكان ما بالخارج وأنهى حياتها مستخدمًا سلاحه الرسمي.

أتجول في الشقة وأستكشفها بالتدريج: الزوايا المظلمة والمساحات المفتوحة، أشم كل شيء. تتغير الأشياء المحيطة وتتبدل ألوانها، تختفي أشياء وتظهر أخرى، تظهر أرفف الكتب وخزانات غريبة كانت بالأمس مجرد حوائط، لكل يوم رائحة جديدة.

أستيقظ يومًا فأجد سجاد بالغرفة بدلًا من البلاط البارد الذي كان هنا من قبل، وأبواب جديدة كذلك، وألوان مختلفة على الحوائط ومرآة تعكس كل شيء عدا صورتي، فأنا لم أزل صغير جدًا.

هذا عالمي، يتكون مني ومن أمي و"رونا" وجدتي "آنا" وأحيانًا أبي.

أخرج مع "رونا".

فجأة أصبح كل ما يحيط بالمنزل أخضر، إنه عشب! لا أعرف من أين أتى، يحدث كل شيء سريعًا.

ثم أجدني في الحمام فجأة، تحممني "رونا"، تعطيني شيئًا أزرق اللون على هيئة صخرة لكنه ناعم، كانت رائحته طيبة.

- هيا تذوقه.

- ما هذا؟

- حلوى.

أنظر إليها، تومئ برأسها وعلى وجهها نظرة محفزة. أحب الحلوى، لها رائحة طيبة ومذاق جميل.

أقضم هذا الشيء بلطف، فيحرق لساني، ويملأ فمي طعم كريه ويعلق بأسناني، تحرقني شفتي السفلى، أبصق محاولًا التخلص من المذاق المرير اللاذع، فتضحك "رونا" بشدة.

- هذا صابون، أي أحمق أنت لتأكل الصابون؟

أنظر إلى قطعة الصابون وعليها علامات أسناني. تغسل لي "رونا" شعري ثم توجه الماء البارد إلى ظهري مستخدمة الصنبور، يجعلني هذا أشهق من المفاجأة.

تنفجر ضاحكة، فهي تجد صدمتي تلك أمرًا مضحكًا.

تجدني "رونا" مزعجًا، لا تتفاهم معي، وعادة ما تغضب إذا طلبت منها أمي الاعتناء بي.

- أريد الخروج مع صديقاتي.

- أليس بإمكانهن المجيء؟

- أوووه، كوني أكثر واقعية يا أمي!

لا يُسمح لي بدخول غرفتها، تقول إنها سوف تقتلني إن لمست أو دمرت شيئًا، لكني أحب التواجد معها رغم كل شيء.

"...وهناك "رونا"، مواليد ١٩٥٥؛ أنهت تعليمها الثانوي وتعمل سكرتيرة في مكتب. إنه يتعامل مع "رونا" جيدًا إن كانا بمفردهما، لكنه لن يتوقف عن إزعاجها إذا جاء أحد لزيارتها: يُصر على فتح باب غرفتها ويردد أشياء مزعجة جدًا. تكرر ذلك مرارًا، وكانت "رونا" من وقت لآخر تحاول منعه وإقناعه بتركها وزوارها في سلام. يشعر الأبوين أن الولد يتخذ "رونا" قدوة له، وتقول الأم أنه يتوجب على الفتاة تسهيل ذلك، بأن تدعه يلعب بدلًا من عزل نفسها عنه. مع أنها تضطر أحيانًا إلى طلب المساعدة عندما يكون في أسوأ حالاته: يسبب الأذى، ويصطنع الفضائح، ويستخدم عبارات سيئة".

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٢/٨)

■

فجأة توقف كل شيء عن التغير. في أحد الأيام وجد كل شيء مكانه وظل هناك للأبد، كأننا كنا نعيش هناك منذ الأزل. يصبح الماضي ضبابيًا، ويتبدد، ثم يختفي نهائيًا.

⦿

لدينا اشتراك في جريدتين هما "أخبار الصباح" The Morning News، و"إرادة الأمة" The Nation's Well. "إرادة الأمة" هي جريدة شيوعية، لا يسمح لصبي البريد بتمريرها عبر فتحة البريد في الباب، خوفًا من أن تراها جدتي "آنا" فتشرع في الصراخ.

- هل ما زلت تقرأ تلك القذارة؟

ثم تقوم بتمزيقها وإلقائها في القمامة.

يقرأ أبي "إرادة الأمة"، فهو يجدها أكثر إمتاعًا وتميزًا مما يسميها "أخبار الفنجان" The Mug's News.

في أحد الأيام توقفت جدتي "آنا" عن البكاء والشكوى. نُقلت إلى المستشفي وتوفيت هناك. حينئذ أصبحت غرفتها شاغرة، فتحول سريرها إلى سرير لي على الفور. نقلتُ ألعابي إلى غرفتها، وهي الآن داخل خزانة كبيرة. صارت غرفتي هي عالمي. وفي إحدى الليالي تحولت غرفة "رونا" إلى غرفة للتليفون. لقد رحلت "رونا" هي الأخرى، لا أعرف إلى أين. وهكذا لم يعد هناك سواي أنا وأمي، وأحيانًا أبي.

▲

تُلبِسني أمي معطف المطر وترسلني إلى الخارج.

– لا تبتعد كثيرًا.

لا أبتعد على الإطلاق، فأنا أجد اللعب في الوحل أمام المنزل أمرًا مسليًا. أصنع طريقًا وأقود فيه سيارتي.

وبينما ألعب يتحول ما حولي إلى أبنية وإنشاءات بعد أن كان لا شيء، تأتي ماكينات ضخمة وتذهب، ينادي الغرباء وقد يتوجهوا أحيانًا بحديثهم إليّ. إنهم مُسلّون ولهم أكمام طويلة يُشمِّرونها لأعلى.

ثم يختفي الوحل، فأجدُني جالسًا على الأسفلت.

حياة المنزل صامتة لدرجة فظيعة، فعندما أنهض من النوم يكون أبي قد ذهب إلى عمله. يتناول اللحوم المحفوظة والعصيدة على الإفطار، وأتناول حبوب "التشيريوس".

يعود أبي إلى المنزل في وقتٍ متأخرٍ من الليل، يشاهد بعدها الأخبار ثم يخلد إلى النوم. أحيانًا ما يحادثني في المساء، قبل نومه.

أحب الحديث مع أبي، فهو يعرف الكثير، وهناك الكثير من الأمور التي أريد معرفتها. نشاهد برنامج "ذا ليتيست" 'The Latest' معًا، وهو عن العلوم والتكنولوجيا الحديثة، فيفسر لي ما لا أفهم.

لا تعلم أمي شيئًا ولا تكترث لذلك، إنها لا تريد معرفة كيف تحلِّق الطائرات، أو كيف تطفو السفن رغم ثقل وزنها.

- لا أعرف.

تقول ذلك، للأسف.

- لكن ألا تريدين معرفة هذه الأمور؟

- إن لم أكن مضطرة لذلك، فلا.

تستخدم جملًا قصيرة ومباشرة لمخاطبتي، وعندما لا يكون أبي في المنزل، أسألها عن الأمور التي لا أفهمها:

- لا أعرف، اسأل والدك.

هكذا يكون ردها.

لكن أبي عادة ما يكون مرهقًا بشدة بعد الانتهاء من عمله، فهو يعمل طوال اليوم وأحيانًا بالليل، وفي بعض الأحيان يضطر إلى العمل في الكريسماس. يأتي إلى المنزل لتناول الطعام فقط ثم يرجع إلى العمل.

عندما يكون أبي مرهقًا هكذا، يبدو وكأنه لا يسمعني، رغم وقوفي أمامه مباشرة.

- ما هو "الزئبق" يا أبي؟
- نعم.
يجيبني ونظره معلق بالهواء.
- يقول "أنطون" إن "الزئبق" هو حجر يشبه الماء.
- حسنًا، هذا جيد.
أبي غريب الأطوار، عادة ما يكون مشتتًا.

سألني "جومي" ذات مرة إن كان أصمًا، كان حينها بالخارج في حديقته مع والده عندما مر أبي بهم ولم يُجِبْ والد "جومي" عندما ألقى عليه التحية، فكررها بصوت أعلى لكنه لم يُجِبه أيضًا.

لكنه ليس أصمًا، فقد اصطحبته أمي مرة لإجراء اختبار سمع. أبي ليس أصمًا، كل ما في الأمر أنه مشتت بعض الشيء.

كما يختلط الأمر على أبي بين البشر أحيانًا، فيظن أن أحد أصدقائه قد تُوفي عندما يقرأ الجريدة.

يقول فجأة:

- مات "كريستيان".

فتسأل أمي:

- أي "كريستيان"؟

- "كريستيان إينارسون".

فتهز أمي رأسها وتدير عيناها، ثم تتوجه إليه وتنظر في الجريدة:

- هذا ليس "كريستيان".

- هذا ما تقوله الجريدة هنا.

- إنه "كريستيان" مختلف، ليس "كريستيان" ابن عمك.

- حقًا؟ هل أنت واثقة من ذلك؟

- نعم، أنا متأكدة تمامًا.

- كيف أمكنك التأكد؟

يبدأ صبر أمي في النفاد.

- بمجرد النظر إلى الصورة، ليس هو.

- حسنًا.

يقولها أبي ويُرخي الجريدة كأنما حَزِنَ لعدم وفاة ابن عمه.

لا يتذكر أبي الأسماء، فينادي أصدقائي أحيانًا بأسماء ليست لهم. لي ثلاثة أصدقاء، يدعون "جومي"، و"ستيبي" و"أنطون"، نقطن جميعًا في الشارع نفسه، قابلهم أبي مرارًا، ورغم ذلك يعتقد أنهم جميعًا يدعون "سيجي". لم يكن لي صديق يدعى "سيجي" قط، ولا أعرف لما يظن أبي أن لي صديق بهذا الإسم، ربما كان له صديق يدعى "سيجي" عندما كان صغيرًا، وربما يظن أن كل الأولاد الصغار يدعون "سيجي".

أبي شيوعي، وأمي تصوت لحزب الاستقلال. يعارض أبي حزب الاستقلال، ويدعوهم بالمحافظين، أو بالمحافظين الملعونين أحيانًا، فالمحافظون هم أعداء الشيوعيين، ويتولى أحد المحافظين نشر جريدة "أخبار الصباح" The Morning News.

ليس لأمي هذا الاهتمام بالسياسة مثل أبي، ولا تهتم بكونهم أعداء، هي تصوت لهم فقط لأن أمها وأبيها بالفعل كذلك، وكذلك تفعل سائر عائلتها، فهي تعتقد أن العادات والتقاليد لها أهمية كبيرة.

نادرًا ما تبدل أمي رأيها عندما تتخذ قرارًا، كما لا تحبذ مناقشته، وهي لا تهتم بالإبداع والتجديد، ويسعدها بقاء الأشياء كما كانت دائمًا، فلو أن كل شيء بخير والأمور تجري بشكل جيد، ترى أنه لا حاجة لتغيير أي شيء، فالأفكار والمجازفات وتلك الأمور مجرد مضيعة غير ضرورية للوقت، لكن أمي تحب الناس، تحكي عنهم القصص وتهتم بمعرفة أمورهم، رغم أنها لا تحب النميمة.

لأمي أراء قوية في البشر أيضًا، ترى أن بعضهم جيد والآخر غير جيد، فهي ليست مدللة ولا تختار أشخاصها المفضلين بناء على الطبقة أو الحالة الاجتماعية، لكن لها أراء في الذين لا تعرفهم أو لا تملك معلومات عنهم من مصدر موثوق. تحكم أمي على الأشخاص بناءً على تجربتها الشخصية معهم، وعندما تحكم على أحدهم يصبح هذا رأيها الثابت فيه، فإن كانت لا تحب شخصًا ما فهناك فرصة صغيرة جدًا كي تغير رأيها، وإن اختلفت مع أحدهم تتوقف عن التحدث إليه.

أحيانًا، عندما يحدث خلاف بيني وبين أحدٍ بالمدرسة، أحاول أن أتحدث إلى أمي عن الأمر:

- إنه مزعج للغاية.
- إذًا توقف عن التحدث إليه.
- ماذا تعنين؟
- لا تحدثه ثانية أبدًا.
- وماذا لو وجه هو الحديث لي؟
- إن حاول محادثتك فعليك مواصلة طريقك، تصرف كأنك لا تره.

لا تعقد أمي الأمور، ولا تكترث لشيوعية أبي، فالأمر سواء بالنسبة لها. أحيانًا يُجري محاولات واهنة لجذبها إلى مجادلة سياسية، حول موضوع معين، لكن محاولاته دائمًا ما تبوء بالفشل.

- المحافظون هم من يدعمون هذه الحرب، هم من أدخلونا فيها، ضد رغبة أغلبية الشعب.

- لا أعرف شيئًا عن الحرب.

- لكنك تصوتين لهم.

- نعم، بالطبع.

- إذًا، أليست معرفة شيء عما تصوتين له مسؤوليتك الشخصية؟

- لا أعتقد أن الأمر سيشكل أى اختلاف على أية حال.

- لن يشكل اختلاف؟! كيف يمكنك قول ذلك؟

- أنا لا أهتم بذلك على الإطلاق.

- لا تهتمين بمن يدير البلاد وكيف يديرها؟

- إطلاقًا.

- لكن عندما يعرِّض هؤلاء أمننا للخطر، ألا تظنين أن الوقت قد حان لاتخاذ قرار وقيام كل من له حق الانتخاب في البلد بدراسة نتائج تصويته جيدًا؟

- لا أعرف شيئًا عن ذلك.

- إذًا فلماذا لا تقرأين عنه؟

- لأنه لا يثير اهتمامي يا "كريستين".

- لا يثير اهتمامك؟

- أجل.

- وتظنين ذلك منطقيًا؟

- يكفي ذلك، توقف عن إزعاجي، لقد سئمت هذا الجدال الغبي.

- هل هي نهاية الحوار؟

- أجل، أنا أفعل ما أريد وأقوم بالتصويت كما أريد ولست مضطرة لتبرير ذلك لك أو لأي شخص.

تقرأ أمي الجرائد الدنماركية، وتحصل على كمية منها على فترات من أصدقائها.

أعتقد أن الأخبار المنشورة فيها مملة، لا شيء غير وصفات الطعام وحوارات مع أميرات ومشاهير الدنمارك، وكل الصور تُظهر سيدات في ملابس سخيفة تتبع الموضة.

أقرأ "الشباب"، إنها جريدة ظريفة، خاصة مع القصص المصورة التي تقدمها، وتجلبها لي أمي، وأحيانًا ما تحضر لي "مجلة ميكي" Duck Tales أيضًا. أعتقد أن "بطوط" مميز جدًا، إنه شخصيتي المفضلة، يشبهني، لديه أفكار عظيمة عادة ما تبوء بالفشل، وهو شخص جيد لكنه يرتكب أخطاء طائشة، مثلي تمامًا، ويعمل لدى "عم دهب" لكنه مُدان للآخرين دومًا. و"عم دهب" شخص بخيل لكنه على أحسن حال لأنه ثري، وكثيرًا ما يدعو "بطوط" و"سوسو" و"لولو" و"توتو" لمصاحبته في مغامرات شيقة، إلى بلاد لم يذهب إليها أحد من قبل، قد تكون بعيدًا في الفضاء الخارجي. كما أحب عصابة "القناع الأسود"، دائمًا ما تحاول سرقة الأموال من "عم دهب". أثق أني سأصبح مثل "بطوط" عندما أكبر.

أجد "ميكي ماوس" مزعج جدًا، ولا أفهم هؤلاء الذين يرونه مضحكًا، لا أقرأ الصفحات الخاصة به، فهو لا يسكن حتى في مدينة البط، وعادة ما يتدخل في أمور لا تخصه. كل ما يفعله "ميكي ماوس" هو تمشية كلبه، وليس لديه أية أفكار جيدة، لكن صديقه "بندق" مقبول، خاصة عندما يأكل المكسرات ويتحول إلى "سوبر بندق"، وكذلك "عبقرينو"، فهو عالم، وقام باختراع ألة زمن.

معظم الأخرون سخفاء، فالجدة "بطة" التي تعيش في الريف، أو البقرة "كلارا بيل" – على سبيل المثال – مملين بشدة.

أما "زيزي" فهي الأكثر مللًا، فهي مغرورة، وحبيبة سيئة، ودائمة السخط على "بطوط" المسكين، رغم محاولاته الدائمة لإرضائها، ولا تعرف إن كانت حقًا حبيبته أم لا، فما الذي يدور بينها وبين "محظوظ" طوال الوقت؟ أتمنى ألا تكون زوجتي مثلها.

يحصل أبي أيضًا على مجلتين، الأولى هي "جريدة الشرطة الرسمية"، وهي حقًا مملة، تحوي مقالات عن أحوال المرور، وحوارات مع ضباط شرطة عن أمور سخيفة، كل الصور لضباط يحتفلون بأعياد ميلادهم أو يحصولهم على جوائز في رياضة ما، عادة ما تكون السباحة.

الجريدة الأخرى تسمى "أخبار من الاتحاد السوفيتي"، أقرأها أحيانًا رغم أني لا أستوعبها، فهي مليئة بأخبار غريبة مثل: "قاطرات جديدة من أجل مدينة "نيزهينيفارتوفسكي"، مع صور لقطار يحمل قاطرات وأشخاص يلوحون بالأعلام لا أعرف حتى مكان "نيزهينيفارتوفسك"، ولا يمكنني نطق الاسم. "نيس

– ني – وارت – أوف – إسك" إنها في الاتحاد السوفييتي، تلك الدولة التي يطلق عليها الشيوعيون "الوطن".

الأشخاص في هذه المجلة مبتهجون دائمًا ويحملون أعلامًا، توجد أحيانًا صورًا لجنود في موكب بقلب المدينة، وكأن الاتحاد السوفيتي لديه عيد استقلال دائم. يقول "أنطون" إن الاتحاد السوفيتي بلد بشع وإن تلك الصور مزيفة، يقول إنه لو كان هناك شخص غير مبتهج ولا يحمل علمًا فستقبض عليه الشرطة وتقوم بتعذيبه، وإن كثير من الأشخاص تم إرسالهم إلى مخيمات العمل في "سيبيريا" حيث الطقس شديد البرودة، فهناك شتاء دائم بلا صيف.

يعرف "أنطون" الكثير لكنه لا يعرف كل شيء، فهو يقول مثلًا إن الفتيات لا يوجد لديهن عضو.

– إذا كيف يتبولن؟

فكر قليلًا ثم رفع كتفيه مستسلمًا:

– من مؤخراتهن على الأغلب.

كان ذلك أمرًا غريبًا، وكنت أخاف بشدة سؤال أمي، فهي لا تحب الحديث عن تلك الأمور، ولم يخطر بذهني أن أسأل أبي، فهناك أمور لا يمكنك التحدث عنها.

تسكن فتاتان غير مزعجتان بحيِّنا، سألت إحداهن عندما كانت تقفز الحبل في الخارج:

– كيف تتبول الفتيات؟

نظرت إليّ كأنني أكثر الأولاد غباءً على الأرض، فأضفت:

- يقول "أنطون" إن الفتيات يتبولن من مؤخراتهن.

- "طوني تريلين"؟

سألت وعلى وجهها تعبير يوحي بأنه مصدر معلومات غير موثوق.

- أجل.

- لا تفعل الفتيات ذلك، هل أنت أحمق؟

- إذا كيف يتبولن؟

- إنهن يتبولن من ثقب البول.

ذهبت إلى "أنطون" فورًا بالمعلومات الجديدة، ما إن اجتزت الباب حتى همست:

- إنهن يتبولن من ثقب البول.

- ثقب البول؟

- أجل.

قلتها بفخر كمن يعرف كل شيء، فقد كنت سعيدًا لمعرفة شيء لا يعرفه أخيرًا.

- وما هو ثقب البول؟

- لا أعرف.

جريت عائدًا لكن الفتاة كانت قد رحلت.

في بعض الأحيان يتسلم أبي صورًا لرجال، صورًا كبيرة في أطر عريضة، دائمًا ما يبدو عليهم الغضب، ويرتدون ملابسًا سوداء وربما قبعة سوداء، إنهم متقدمون في العمر، أعرف أن بعضهم ضباط في الاتحاد السوفيتي، أحيانًا ما

تكون هناك صور لهم في الجريدة، يقفون – غالبًا – في بلكونة يلوحون لمجموعة من الأشخاص الذين يحملون أعلامًا. هؤلاء الرجال معاكسون تمامًا للشعب، فالناس دائمًا مبتهجون لكن هؤلاء الرجال لا يبتسمون، لا أستوعب ذلك، لماذا هم دائمو العبوس؟ لماذا ليسوا سعداء مثل الاشخاص ذوي الأعلام؟ لماذا هناك دائمًا جنود ودبابات في مركز المدينة؟

عندما تصل الصور يبدأ شجار بين أبي وأمي، فهو يريد تعليق الصور على حائط غرفة المعيشة مع سائر صور العائلة لكن أمي تمانع في ذلك.

– لم لا؟

– لأنه أمر غير مقبول بالمرة.

– ألا يمكنني وضع صورة تم إهداؤها لي؟

– كلا.

– هل يمكنني تعليقها بغرفة التليفزيون؟

– كلا.

– لم لا؟

– لأنه أمر سخيف.

– سخيف؟ ما السخيف في ذلك؟

– إن كنت لا تفهم بنفسك فلن أناقش الأمر معك.

– إنها هدية.

– كفانا ثرثرة حمقاء، لن تضع هذه الصورة على الحائط، انتهى الأمر.

لأمي دائمًا الكلمة الأخيرة، هي صانعة القرار، ولأن أبي لا يتمكن من وضع الصور على حائط غرفة المعيشة، يقوم بوضعها على حائط البدروم، مع الرفيق "جروميكو" و"بريزنيف" و"خروشيف" و"ستالين" يحدقون في بعضهم البعض بتعبيراتهم المتهجمة.

▲

يوجد رجل مخيف بغرفة المعيشة، يرتدى ملابسًا ذات لون أحمر زاهي، وله لحية بيضاء طويلة. أحاول تسلق ساق أبي، فيضحك ويديرني لأواجه الرجل الذي يرمقني، يقول شيئًا ويمد لي يده يحاول التقاطي، فأرتعب وأشرع في البكاء، عندها تأتي أمي وتحملني، تأخذني إلى الرجل، يضع قبعته على إحدى يديه ويقربها مني، فأصرخ خوفًا وألتصق بأمي، وأخفي وجهي في كتفها.

نحن في غرفة المعيشة، وليس مسموحًا لي بفتح هدايا الكريسماس، ولا اللعب بأي من أشياء الكريسماس؛ إنها للزينة كما أنها خطرة. يرتدي أبي زي الشرطة الرسمي، ويقوم بمنحي هدية، هناك ضابط آخر معه، وهما سعيدان.

– هذه لك.

يقولها بود.

له تعبير وجه لطيف. حصلت أخيرًا على الهدية ويمكنني فتحها، وعندما فعلت وجدت في العلبة شاحنة حمراء. إنها لي! توجد براميل على ظهر الشاحنة.

بينما ألعب تأتي أمي بعلب أخرى وتعطيها لي، لكنني لا أريدها.

أقول:

- أنا جاهز للخروج الآن.

- يمكنك الحصول على تلك أيضًا.

لكني لا أرغب في ذلك.

- أنا جاهز للخروج.

تبتسم أمي. ابتسامتها جميلة.

تلبسني معطف المطر، وتسأل:

- هل نذهب إلى ملاهي "رولو"؟

أومئ برأسي. "رولو" عبارة عن ساحة مجهزة للعب تحيط بها سياج، وتوجد هناك أرجوحة وصندوق رمل كبير له مجاريف حديدية بحيث يمكنك الجلوس فيه واستخدامها للحفر، كما أن هناك أطفال للعب معهم.

أرتدي بنطلونًا مطر أحمر وجاكت مطر أزرق، كلاهما واقيان من المطر، وتلبسني أمي حذاء أسود طويل الرقبة وقفازات وقبعة، نسير معًا حتى ساحة اللعب.

السماء تمطر دائمًا في "رولو"، عادة ما تأخذني أمي إلى هناك ثم تتركني، لكن لا يهم، فلدي كل ما أحتاج إليه هناك. أعتبر الأرجوحة والكوخ من ممتلكاتي، يمكن للأطفال الآخرين استعمالها بالطبع، لكن بعد الحصول على الإذن مني، فإذا حاول أحدهم اللعب دون استئذان، أجذب شعره ويبدأ في البكاء.

كما أني أمتلك أحد الأطفال هناك، يدعى "راجنر"، وهو لا يحتاج للاستئذان لأني أملكه.

هربت أنا و"راجنر" من الساحة في إحدى المرات، أسندنا إطارات السيارات إلى السور وتسلقنا خلسة دون أن ترانا النساء وجرينا بعيدًا حتى ضللنا الطريق، كانت هناك الكثير من السيارات، بكى "راجنر" أولًا ثم بكيت أنا، وأغلقت عينيّ واستلقيت أرضًا، لم نكرر ذلك قط.

أجري أحيانًا إلى حيث تجلس النساء ويدخن، فيمسحن أنفي ويعطونني مكعبات السكر.

تأتي أختي "رونا" لتأخذني. يكون قفازي مبتلًا، وذي رائحة غريبة عندما يبتل. يمكنك شرب الماء منه إذا قمت بمصِّه. تنزع "رونا" عني الحذاء الطويل والبنطلون الواقي من المطر، الحذاء مثبت في البنطلون برباط مطاطي. ثم تمسك بها وتجعلها تسير، أجد ذلك مضحكًا.
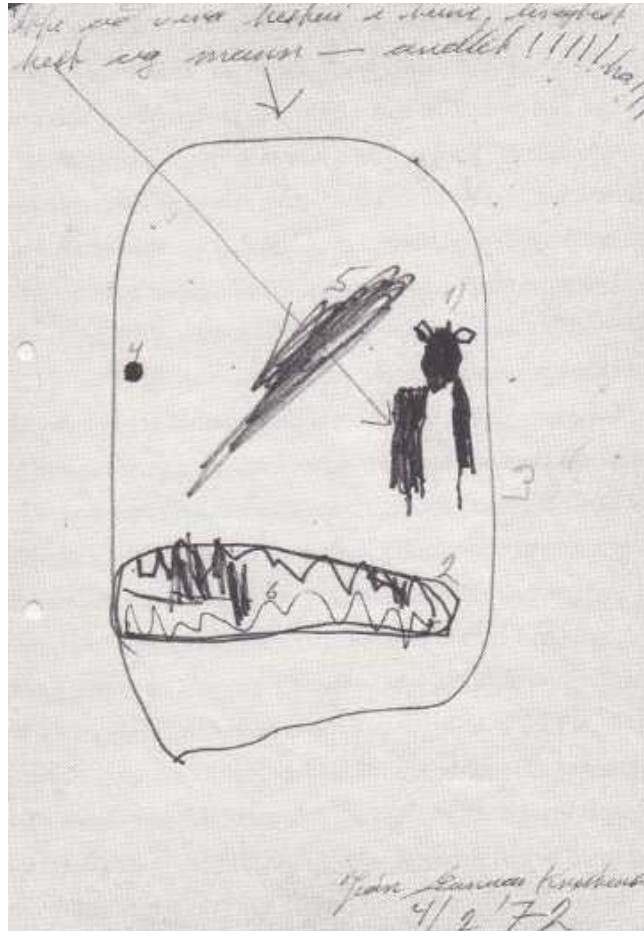
رسمها جون جنار في المستشفى وهو في الخمسة من عمره يوم 1972/04/02، مع ملاحظات من الطبيب: "كان من المفترض أن تكون هذه رسمة حصان يقف في حديقة، لكنها أصبحت حصان بداخل وجه رجل!!!! ما هذا!!!!".

"[...] تم إيداع ذلك الصبي الذي يبلغ من العمر حوالي ٣ أعوام المستشفى بسبب فتق آربي لازمه مدة شهرين، لقد كان شجاعًا ومشاكسًا بشدة في الوقت نفسه، ربما اضطراب فرط الحركة هو السبب؛ لا يتعامل مع الأشياء مطلقًا بهدوء، بل يحتد ويغضب من كل شيء."

(مستشفى القديس جوزيف، بـ"لانداكوتي" ١٩٦٩/٢/١٠)

خلال صيف ١٩٦٩ كان "چون جنار" في الروضة، كان مشاكسًا ومشاغبًا لكن لم يتم اعتباره مصدرًا للمشاكل، كان يحب قضاء الوقت في المدرسة بشدة، لكن ذلك لم يدم إلا فترة الصيف. حيث أُدخِل حضانة تقع في منطقة سكنية صغيرة في خريف ١٩٧٠ لكن النساء العاملات هناك يئسن تمامًا، كان يفعل كل شيء بـ"جنون""

(المستشفى الوطني، عنبر الامراض النفسية، قسم الأطفال ١٩٧٢/٤/٢)

⧗

أتهرب من أمي، تناديني فلا أجيب. إنها مزعجة ولا أرغب في التواجد قربها. أجري بأقصى سرعة. أبحث عن مكان للاختباء. تناديني من جديد. لكن لا مكان للاختباء. مجرد طرق واسعة وسيارات كثيرة.

أجري في الطريق، ينبهني صوت بوق سيارة كبيرة فجأة، لم ألحظها، لقد ظهرت من اللا مكان. أجري إلى الرصيف الذي يقع في منتصف الطريق. تمر السيارات من كلا الجانبين بسرعة. لا يمكنني الجري مرة أخرى لعبور الطريق. تقترب السيارات وتبتعد عني كلما التفت لأى اتجاه. لقد علقت. أنا خائف أيضًا.

أنظر طيلة الوقت في كل الاتجاهات، تمر السيارات بسرعات جنونية، وتصدر أصواتًا تكاد تصيبني بالصمم. لن أخرج من هنا أبدًا، ولن تصل إلي أمي. أنفجر في البكاء. لا يفعل أحد شيئًا، فالسيارات لا تكترث للأولاد أمثالي، وبدلًا من التوقف تزيد من سرعتها وتصدر مزيدًا من الضوضاء. أشعر بالدوار. أغلق عيناي وأترك نفسي لأسقط على الحشائش. أسمع صوت أمي من بعيد:

– ابق مستلقيًا هناك ولا تتحرك.

أغرق ببطء وهدوء في الحشائش، في التربة، في أعماق الأرض، نحو الديدان. أدندن فتسكت الأصوات حولي.

يمسك أحدهم بكتفي، إنه رجل ما.

- هل أنت بخير أيها الرجل الصغير؟

لا أجيب، لن أقول شيئًا، أريد أن أُترك لحالي حتى أتعافى، فأنا خائف.

لكن الرجل قوي، يحملني ويأخذني بين ذراعيه. أشعر بالأمان معه، أنا في أمان. يعبر الطريق بي، تخاف منه السيارات فتبطئ. إنه يمتلك كل السيارات ويتحكم فيها.

تقف أمي في الجهة الأخرى منتظرة. تبدو مختلفة، ليست متعبة بل غاضبة والدموع في عينيها. تطمئنني رؤية ذلك.

- يا إلهي، طفلي!

"[...] عادة ما تكون الأم مُرهَقة؛ إنها ممتلئة، ترتدي ملابس مهندمة ولها طلة لطيفة، نظرتها متفائلة، تجد صعوبة ما في التعبير عن نفسها لكنها على دراية جيدة بما يعانيه الطفل ومدى اختلافه عن أقرانه [...] من الواضح أن الأم تجد التعامل مع ابنها بطبيعته العنيدة حمل ثقيل [...] يبدو أن الأبوين - وخاصة الأم - يدركان تمامًا أن الطفل يعاني من أمر ما لذا لجأ إلينا للحصول على المساعدة، يبدوان متحمسين، وإن كانت الأم أكثر تحمسًا".

(المستشفى الوطني، عنبر الامراض النفسية، قسم الأطفال ١٩٧٢/٤/٢)

■

ارتديت أفضل ملابسي، لقد ساعدتني أمي في ارتدائها، كما ارتديت معطفي. جلسنا في غرفة انتظار، وأخذت أقرأ جريدتي. كانت الرائحة طاغية، عميقة وغريبة، لطيفة وظريفة. لا أعرف ما قد يكون مصدرًا لرائحةٍ كهذه، ربما حمام سباحة؟

خاطبتني امرأة:

- جاء دورك يا "چون".

أشارت لي أمي بالذهاب. فوقفت وسرت في الردهة لكني لم أجد أحدًا هناك. فقط تلك الرائحة، عدت ودلفت إلى ردهة أخرى.

حاولت دفع الباب لكنه مغلق. نظرت حولي فرأيت الطبيب يتبعني، لا يقول شيئًا، ولا أقول شيئًا كذلك. ذهبت وجلست على مقعد، فأغلق الباب وجلس قبالتي.

عاودت قراءة جريدتي، إنها قصص مصورة عن الهنود الحُمر لا أعرف كيف أقرأها لكنني أطالع الصور. أتأملها جيدًا، يراقب الهنود الحمر رعاة البقر، الهنود هم الأخيار ورعاة البقر الأشرار.

سألني الطبيب:

- ألا تريد نزع معطفك؟

شعرت بالحر، فنزعت معطفي دون رفع بصري عن الجريدة، ثم ألقيت بالمعطف أرضًا.

يدعى هذا الطبيب "إينار"، إنه ظريف لكنه غريب. كلما قلت شيئًا يفكر فيه ثم يُدوِّن في كراسته. لا أعرف ماذا يكتب، ربما يقوم بتأليف قصة. ربما تكون قصة عن ولد مثلي لا يطيع والدته. ربما يفهمني، ويفهم أنني لست سيئًا. لكن ربما أكون سيئًا! أجذب أحيانًا الأطفال الآخرين من شعرهم وأعامل أمي بسوء. أدمر ألعابي أحيانًا أثناء اللعب بها. يغضب الناس مني أحيانًا ويوبخونني، لكنني في الأغلب لا أعرف السبب. هناك أشخاص أشرار يأتون لأخذ الاطفال عندما يتصرفون بسوء.

رأيت رافعة على الرف.

سألتُ مشيرًا إليها:

- ما هذه؟
- هذه رافعة.
- إنها غريبة.
- إنها مصنوعة من "البيلوفيكس".

تأملتها، إن "البيلوفيكس" هو لعبة تشبه "الليجو"، عبارة عن قطع من الخشب بها ثقوب ومفكات بلاستيكية ملونة تقوم بتركيبها معًا، هناك أيضًا إطارات. لقد لعبت بـ"البيلوفيكس" من قبل.

- أريد تلك الرافعة.

ينهض ويحضر الرافعة ثم يعطيني إياها. إنها حقًا ظريفة. بها شبكة يمكن سحبها للأعلى عن طريق إدارة مقود ما. بعض الوصلات مرتخية، فككتها ووضعتها في أماكن مختلفة. سوف أقوم بتفكيك الرافعة وإعادة تركيبها من جديد. أقوم أحيانًا ببناء أشياء من "الليجو"، مثل المنازل، ثم ألقي بها على الحائط لتتهاوى. كسر "الليجو" أمر مقبول لأن بإمكانك إعادة بنائه. كذلك الحال مع "البيلوفيكس" و"الميكانو"، وهذا الأخير يشبه "البيلوفيكس" لكنه مصنوع من الحديد.

تفككت الرافعة وفشلت في إعادة بنائها، لكن لا بأس، فأنا لم أدمر شيئًا. أعرف أني لم أفعل لأن "إينار" ليس غاضبًا، فقط يتابعني بفضول ويكتب في كراسته.

لففت الشبكة حول العصيان وألقيتها جميعًا على الأرض، ثم أخذت أتفحص الإرشادات التي تأتي مع "البيلوفيكس"، كانت تحوي تعليمات وصور شديدة الصعوبة.

- لا يمكنني استيعاب ذلك.

ينهض "إينار" ويأخذ "البيلوفيكس" ثم يضعه في صندوق، ويعود ليجلس ويكتب.

- أخبرتني أمك أنك لا تحب اللعب مع الاطفال الآخرين؟

هذا صحيح، فأنا لا أجد في ذلك أية متعة، وأفضل البقاء بمفردي. لا أفهم مطلقًا ماذا يريدون، يأخذون الألعاب ويخلطون الأشياء، ولا يمكنني تخمين أفكارهم من تعبيرات وجوههم، إنهم غريبون.

عادة ما أرتبك عندما أكون بينهم وهذا يضايقني، وقد أتضايق بشدة حد البكاء. أخاف منهم رغم أنهم لا يضرونني مطلقًا. فقط لا أفهمهم ولا يفهمونني، كأننا لا نتحدث اللغة نفسها. هم أكثر ذكاءً مني، يعرفون كل الأمور التي لا أعرفها، ولا أحد يفصح عن تلك الأمور مطلقًا، رغم كوني أقوى منهم.

لا أجدهم مزعجين، ولا أريد أن أكون سيئًا معهم، لكني عندما أشعر بالخوف، أجذب شعرهم، أريدهم أن يبتعدوا ويتركونني لحالي.

- لماذا لا تريد اللعب معهم؟

لا أعرف ماذا أقول.

- هل تشعر بالخجل يا "چون"؟

لست خجلًا، لكنني خائف، أخاف الناس بما فيهم "إينار". إنهم لا يفهمونني. أريده أن يتوقف عن التحدث إليّ والتحديق فيّ، أريد الذهاب إلى

المنزل ودخول غرفتي. لا أريد أن أكون أنا. لا أريد التواجد هنا. أريد الدخول في أعمق أعماق نفسي، حيث لا يمكن لأحد أن يزعجني أو أن يشعر بالضيق مني.

في بعض الأحيان عندما أنام بعمق، ينتابني شعور غريب، يبدو لي إبهامي ضخمًا وأختفي داخله. يوجد داخل الإبهام شخصان يتبادلان الحديث، يتحدثان ببطء ولا يمكنني سماع ما يقولانه، ولا يلاحظانني، أمر بهما ثم أدخل ممرًا طويلًا، أهبط بعض الدرجات ثم سُلُمًا طويلًا، وأعبر ممرًا آخر وفي النهاية أجد غرفة لينة ككرة من القطن.

أخرج من نفسي مرة أخرى وأستلقي على الأرض في الغرفة، وأنام.

- "چون"؟

فجأة أسمع صوت زئير من خارج المنزل وتهتز الأرض. أسأل:

- ماذا يحدث؟

فيسألني هو:

- ماذا تعتقد؟

لا أعرف، ربما نحارب معركة ما، ربما أتى إبليس ليأخذني، فهو يعرف بأمري، إنه الشخص الشرير.

نادتني أمي ذات مرة وطلبت مني الحضور إلى غرفة التليفون. أعطتني التليفون وقالت إن امرأة تريد التحدث إليّ، فشعرتُ بالخوف. سألتني المرأة إن كنت أسأت التصرف فأنكرت الأمر، لكنها قالت إنها تعرف كل شيء عني. سألتني إن كنت أعرف ما يحدث للأولاد الذين يسيئون التصرف، ولما لم أجب،

قالت إن إبليس يأتي ليأخذ الأطفال السيئين، مثلي، ثم يضعهم جميعًا في حقيبة سوداء. سألتني إن كنت أرغب في مجيء إبليس ليأخذني، فقلت لا.

بعد هذه المكالمة عدت إلى غرفتي، ولم أستطع التنفس، ولم أتمكن من ملء رئتي إلا عن طريق التثاؤب. شعرت بالتعب وأردت الاختفاء داخل إبهامي. إن اسم إبليس هذا اسم قبيح.

يستمر الصوت، ينظر "إينار" إليّ حينًا ويكتب في كراسته حينًا.

قلت له:

- يصدر الصوت من الزاوية.

إنني سيء وقبيح، ربما جاء إبليس ليأخذني بالفعل، ربما سوف يخرج من الأرض، وربما هو صديق "إينار". لعل أمي لن تهتم لو أخذني، لعلها رحلت بالفعل، وربما لن أعود إلى المنزل أبدًا. وكأن صخرة ثقيلة وقعت على صدري، أنا بلا دفاع، خنجري ليس معي.

قفزت واقفًا وأخذت أنصت، يأتي الصوت من المدفأة، تُصدر المدفأة في غرفتي أحيانًا صوتًا كذلك لكنه أكثر خفوتًا وليس بحدة هذه الضوضاء. فجأة استوعبت ماهية الصوت، إنه صوت حفر. حينئذ تنفست الصعداء وجلست في مكاني.

- هل خفت يا "چون"؟ هل خفت من الصوت؟
- كلا.

- هل تعلم كم عمرك؟

- أنا في السادسة.

- وإلى أية مدرسة تذهب؟

- "فوكسفوكس".

- "فوس فوجس"؟

- هذا ما قلت.

- هل المدرسة ممتعة؟

- أجل.

- من معلمك؟

- تدعى "مارثا". ولدي حقيبة مدرسية، لونها أحمر وعليها صورة من الأمام، لصبي يقف بجانب شجرة ويقدم تفاحة لفتاة.

- هل هي حقيبة لطيفة؟

- يقول "ستيبي" إنها حقيبة للفتيات.

- من هو "ستيبي"؟

- صديقي.

- إذا لديك أصدقاء؟

لا أريد مناقشة تلك الأمور. شعرت بالملل، فتوقفت عن الحديث، كرائحة حقيبتي، إنها رائحة الجلد، تلك الرائحة المفضلة لدي، أحب حقيبتي لأنه من الممتع شمها، أضع وجهي عليها أحيانًا وأتشمم الرائحة اللطيفة فأشعر بالراحة، وفي بعض الأحيان تصبح رائحتها مثل رائحة طعامي الذي بداخلها.

الروائح شيء مهم. تضايقني أختي "رونا" أحيانًا بجعلي أستنشق رائحة الأمونيا المستخدمة في الخبز، تلك رائحة سيئة. أظن أن جميع الروائح جيدة عدا رائحة براز وبول الأخرين، ورائحة الخيار.

رائحة الخيار هي أسوأ رائحة في العالم، تصيبني بالغثيان. حاولت أمي مرة إعطائي الخبز مع شرائح الخيار، ثم أزالت الخيار ووضعت مكانه معجون الكبد، لكني ظللت قادرًا على استنشاقه. رائحة الخيار قوية جدًا، إنها رائحة خضراء وشائكة.

توجد ورقة وأقلام سبورة على الترابيزة، للأقلام رائحة طيبة، أحب شمها، لكن عليك توخي الحذر عند تشمم الأقلام الملونة حتى لا تلوث أنفك. للون الأحمر رائحة تشبه البرتقال.

أخذت قلم وورقة ورسمت صورة لإبليس حاملًا حقيبته، كما رسمتُ سكينًا ومسدسًا لأقتل بهما إبليس. إذا أتى إبليس فسوف أقتله بالسكين.

سألني "إينار" وهو يتفحص الرسومات:

– من هذا؟

– هذا إبليس.

– ومن هذا؟

– مجرد شخص.

– هل تعرفه؟

- كلا.

- هل تعرف أين يسكن؟

- إنه صديق الأخطبوط.

- وهذا؟

لا أريد التحدث عن الأمر، أشعر بالملل فألتزم الصمت. ربما ينتهى الأمر عندما أتوقف عن الحديث عنه. أنا لا أتحدث عن إبليس ولا أفكر فيه بالمرة، ولن أتحدث كذلك عن "ساليرياس".

يتأملني "إينار" بفضول. أريده أن يتوقف عن ذلك، لا أريده أن يراني، ربما بإمكانه رؤية أفكاري، تستطيع أمي أحيانًا التنبؤ بما سأفعل. ربما يفكر بما يجب فعله مع الصبيان السيئين أمثالي.

أخرجت الألعاب من الصندوق ووضعتها على الترابيزة: ثور كبير، وبعض رعاة البقر المصغرين، وأسد وفيل. يهاجم الثور رعاة البقر ويقتلهم جميعًا. كذلك يقتل الأسد والفيل ويسقطهما من فوق الترابيزة، وضعت الثور على الترابيزة وبنيت حوله حصنًا حتى لا يصل أحد إليه لقتله أو إيذائه، أخذت كل شيء موجود على الترابيزة وأحطت به الثور.

جذبت التليفون وصنعت سياجًا باستخدام السلك، سمعت صوت نغمة الاتصال، لا يهم، لا يمكن لأحد إيذاء الثور الآن، بإمكانه حماية نفسه، سوف يدفع من يحاول قتله بعيدًا، وإذا أتى إبليس فسوف يسقطه الثور قتيلًا.

عندما أصبح الثور بأمان تام عدت لمطالعة قصصي المصورة.

يكتب "إينار" في كراسته، أما أنا فأقرأ جريدتي، ألاحظ حرف الـ "ج" J، إنه أول حروف اسمي، لكن رسمه صعب، مع أنه أقل صعوبة من الـ"ر" R والـ"س" S.

يستطيع "ستيبي" القراءة، أشارت أمي ذات يوم إلى الحروف المُعلّقة على الثلاجة وسألتنا كيف تُنطق، لكني لم أعرف، كان هناك الكثير منها، أمَّا "ستيبي" فتمكن من قراءتها:

- أ-د-م-ي-ر-ا-ل.

يخرج "إينار" وينادى أمي، يتحدثان، لكني لا أستمع إليهما، فلا يهمني ما يقولانه.

تخاطبني أمي:

- ارتدى معطفك.

أرتديه بينما أطالع جريدتي.

لا أريد أن أكون هناك، أريد الذهاب بعيدًا وأن أترك لحالي. فجأة أصبحنا في الخارج، لن أعود إلى هذا المكان أبدًا.

•

"چون جنار" هو مادة بحثي، من حيث فقدانه للسيطرة على نفسه وانعزاله عن الأطفال الآخرين [...] توحي تعبيراته بأنه مشوش، وضائع، يقحم نفسه في الأمور دون وعي ودون إدراك لما حوله. جلس "چون جنار" في غرفة الانتظار مع أمه، قام بتحيتي دون النظر نحوي، وأحضر معه الجريدة التي يقرؤها. دخل الممر الخاطئ قبل أن يدرك الموقف فيدخل غرفة أخرى في الممر الصحيح وفي النهاية وصل إلى غرفتي. دخل الغرفة ولم يبد عليه أي رد فعل تجاهي كشخص غريب، جلس وبدأ في قراءة جريدته. كان يرتدي معطفًا ثقيلًا، عندما بدا عليه الحر اقترحت عليه خلع معطفه إذا كان يريد ذلك، استمر فيما كان يقوم به بينما خلع معطفه بصعوبة، وألقاه على الأرض بجانبه.

بعد قضاء بعض الوقت في الغرفة بدأ ينظر حوله، رأى شيئًا على رفٍ عال وقال: "أريد هذا". كانت رافعة من "البيلوفيكس"، على الفور بدأ في تفكيكها. رغم أن الرافعة كانت معقدة الصنع فإن "چون" لم يُبد أي تردد، قام بتفكيكها بإزالة المسامير من هنا وهناك. استغرق الأمر نصف دقيقة لكي تصير الرافعة مفككة بالكامل. تعقدت الشبكة الخاصة بها وبدأت الرافعة في الانهيار، فقام "چون جنار" بلف الشبكة حولها بالكامل وحاول ربطها، وعندما فشل في ذلك تركها تتهاوى على الأرض وبدأ في تفحص إرشادات "البيلوفيكس"، كان بها العديد من الصور، قال إنه لا يستطيع القيام بذلك، أو ذلك، أو

ذلك، وفي النهاية وجد أسهل جزء وقال: "أستطيع القيام بذلك". لم يحاول القيام بشيء، ترك "البيلوفيكس" هناك على الأرض ولم يشعر بأي ضيق حيال ذلك، رغم أنه اضطر للسير فوقه عندما أراد اللعب بشيء آخر.

عندما خرجنا إلى الممر سمع صوتًا قويًا من خارج المبنى، كان هناك عمال يثقبون الحائط، نظر إلى النافذة وسأل عن مصدر الصوت، أردت معرفة المصدر الذي يخمنه، قال: "إنه من الزاوية"، وحاول ترك هذه الإجابة تحل الأمور، عندما ارتفع الصوت أعاد النظر نحو مصدره واقترب منه، فلما رأى المدفأة قال: "إنه صوت المدفأة" لكننا اقتربنا من المدفأة واستمعنا إليها جيدًا، عندها قال وكأنه الجواب الأكثر منطقية: "إن أحدهم يقوم بالحفر بالخارج".

[...] عندما شرع في اللعب بالحيوانات الصغيرة ورعاة البقر وما شابه على الترابيزة، وصف لي ما يحدث، لقد اختار الثور الذي قام بأفعال شديدة الدموية فقتل جميع الحيوانات ومعظم الرعاة. عندما انتهى ذلك، بدأ يضع الأشياء حول الثور على الترابيزة، قام باستخدام كل ما وجده، فاستخدم - على سبيل المثال - التليفون كجزء من الجدار المنيع الذي سوف يحمي الثور، لم يجد الأمر مزعجًا على الإطلاق رغم أن صوت التليفون استمر لحوالي ٥ دقائق. ثم قال: "سوف أقرأ جريدتي"، وجلس على ركبتيه وقرأ لمدة ١٠ دقائق بدا خلالها أنه في عالمه الخاص تمامًا، غير واعٍ لما يحدث حوله، حتى إنه لم ينظر نحوي مرة.

قام برسم لوحة من تلقاء نفسه وأخبرني أن ذلك هو إبليس. سألته عن معلومات أكثر عن الشخص الآخر فقال إنه صديق "الأخطبوط".

لا يمكنني القطع بما لاحظت خلال الاتصال المحدود الذي قضيته مع هذا الطفل، خلال الساعة التي قضيتها معه، لكني أعتقد أن بإمكاني الجزم أنه لم ينظر إلى مطلقًا من بداية الجلسة وحتى نهايتها، كما لم يعيرني أي اهتمام، ثم رحل وهو لا يبدو لي أكثر عقلانية من حالته عندما أتى."

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٣/٣/٧)

خرجتُ من المنزل وجمعت بعض الصخور كبيرة الحجم. كان على الذهاب والإياب أكثر من مرة لأن الصخر كان ثقيلًا. جمعتها في كومة كبيرة في البلكونة ثم تسللت بها إلى الداخل، واحدة تلو الأخرى دون أن تلحظ أمي. كنت واثقًا أنها سوف تمانع، وضعت بعضها في حقيبتي ماركة "ليفربول"، وأخفيت البعض الآخر داخل معطفي. صعدت بها إلى غرفتي وأخفيتها في خزانة. عندما انتهيت من رص كل الصخور، خرجت من جديد وبدأت في جمع الأخشاب. ملأت حقيبتي بعصيان صغيرة قابلة للاشتعال، أخرجت الصخور من الخزانة ووضعتها في دائرة على الأرض، ثم وضعت العصيان الخشبية في منتصف الدائرة.

قمت بإشعال نار للتدفئة كما كان يفعل الهنود الحمر في أفلام رعاة البقر. سوف يكون الاستلقاء على سريري وقراءة مجلة ميكي بجانب نار مطقطقة وضعًا مريحًا ودافئًا. ستصاب أمي بالذعر حين تراها، أما أبي فسوف يجلس بجانبي أو بجانب النار عندما يعود من العمل. يمكننا الذهاب إلى نهر "إليوار"، فأصطاد بعض من سمك السلمون ثم نعود لنطهوه فوق مدفأتي.

أنا هندي أحمر أنتمي إلى قبيلة هندية. لن تحيك لي أمي ملابس هندية، لقد توقفتْ عن الحياكة بسبب التهاب المفاصل الذي أصاب أصابعها، لكن

عندي سكين وقبعة ذات ريش، قمت بشرائها من محل ألعاب في مول "جريمسباير". إنها قبعة جميلة حقًا، لها رباط بلاستيكي باللون البني يلتف حول الرأس، ثم أعلى الأذنين.

على القبعة ريش بكل الألوان والأشكال، ترتفع في الهواء فوق الرأس، وينزل المزيد منها على الكتفين، تشبه تلك التي يرتديها زعيم القبيلة.

أما السكين فهي حقيقية، كبيرة وقوية، توضع داخل حافظة جلدية لها رائحة خلابة. يدعوها أبي "ستينج"، لكنها سكينة حقيقية، سكينة هندية أصلية: "صُنِعت في الولايات المتحدة". لا أعرف ماذا يعني ذلك، لكني أظنه نوع من العلامات الهندية، ربما اسم زعيم القبيلة. لا يحتاج الهندي لشيء غير سكينه، يمكنك سلب كل شيء آخر منه، يمكنه ارتداء ملابس تقليدية وأن يبدو مثل الآخرين، لكنه لا ينسى سكينه مطلقًا، إنه يحتاج إليها ليحمي نفسه، وليقطع الحبال، وينحت الخشب، ويصطاد عشاءه.

عندما أصبحت المدفأة جاهزة تسللت من غرفتي، كانت أمي تتحدث في التليفون في غرفتها، دخلت غرفة المعيشة بطريقة طبيعية، وأخذت قداحة كبيرة، ووضعتها في جيبي، ثم عدت إلى غرفتي وأشعلت النار.

لم تستغرق النيران كثيرًا حتى تشتعل. في البداية احترق الورق ثم ابتلعت النيران العصيان الخشبية، وبسرعة سبقت إدراكي انطلقت نيران جهنم في المكان. الدخان! عيناي تحرقانني وتسيل منها الدموع. امتلأت الغرفة بالدخان.

خرجت منها وأخذت أسعل. قطعت أمي محادثتها التليفونية وجاءت راكضة. كان الدخان يخرج من باب غرفتي.

- أي أمر شيطاني كنت تفعله يا بني؟

لاحقًا في تلك الليلة، عاد أبي إلى المنزل. كنت أعلم أن النار سبب مجيئه. شعرت بألم في معدتي. حاولت التنفس لكني لم أستطع ملء رئتي.

التعرض للضرب هو أمر بشع، حاولت الإلتصاق بالسرير وإخفاء ظهري منه، لكنه كان أقوى مني، لقد حملني من ذراعي ووضعني على ركبتيه.

سقطت دموعي، وكاد قلبي يمزق صدري ليخرج منه ويهرب، فيتسلق أرفف المكتبة ويجلس هناك، أو يجري في لمح البصر إلى منزل الخالة "سالا".

قاومت بكل قوتي وصرخت بأعلى صوت كالمُدان:

- لن أكررها! لن أكررها! لن أكررها!

"يميل إلى إطلاق العنان لعدوانيته، رغم أنه يجد الحل الأمثل عندما يقع في مشكلة هو الهرب والاختباء [...] يتفهم تجارب الآخرين وحياتهم بشكل شديد البساطة [...] من أجل التعامل مع قلقه ومشاعره المزعجة يميل الصبي إلى النكران وإن كان أحيانًا يملك أسبابًا وجيهة. كما يميل إلى تجنب المواقف غير المريحة التي تسبب له الاضطراب، يحدث ذلك غالبًا عبر تصرفات ميكانيكية محمومة"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال ١٩٧٢/٥/٩)

▲

هناك رائحة سيئة في غرفتي، رائحة حريق مريرة، مكثت هناك لأسابيع.

يوجد حرق كبير في السجادة، تذكار آخر لهزيمة الهنود الحمر في عالم البيض القاسي.

خرجت من غرفتي، فرأيت أمي تضع فناجين القهوة والأطباق على ترابيزة المطبخ. إنها للزوار، للمعارف، فالأصدقاء والعائلة يحتسون القهوة في المطبخ، لكن الغرباء فقط يحتسونها في غرفة المعيشة، وهم فقط الذين يحصلون على الفناجين الأكثر فخامة.

سألت أمي:

- من سيأتي؟

- لا أحد معين.

تضع الملاعق المخصصة لتناول كعكة الكريسماس.

أسألها ثانية:

- من الذي سيأتي؟

- ستحضر الفتيات لتتزين.

وضع مساحيق التجميل أمر مسلي. تأتي صديقات أمي وأخواتها، ويقمن بوضع مساحيق التجميل. تضحك أمي وتبدو سعيدة. أحب رؤيتها سعيدة، فهذا نادرًا ما يحدث، هي في العادة مرهقة دائمًا، لكنها ليست كذلك عندما تقوم بتزيينهن، فهذا دائمًا أمر مرح.

لا تتحدث أمي كثيرًا عندما تكون في المنزل معي أنا وأبي فقط، ونادرًا ما يتبادلا الحديث، سوى جدالهم حول لعبة البريدج، يلعبون البريدج مساء يوم الإثنين وعندما يعودان إلى المنزل يتجادلان حول ذلك، فأسمع جدالهما إلى أن أستغرق في النوم.

– لماذا قلت إن بهذه اليد ثلاث ورقات خاسرة أيها الأحمق؟ لا بُدّ أن تثق في شريكك.

– لكن ذلك لم يفلح في الماضي.

– وفي الجولة السابقة لذلك، إلي ماذا كنت تهدف بلعبتك؟

– كان معي مجموعة كاملة من الأوراق الرابحة.

– لماذا لم تقد اللعبة إذا؟

– أوه، أتظنين أن هذا كان ليبدو منطقيًا؟

– نعم، على الأقل كان سيفلح.

يرن جرس الباب، أعرف الآن أنه من الخطأ قول "يطن"، علمتني ذلك والدة "ستيبي"، فهي عادة ما تصحح لي عباراتي. علمتني أن جرس المنزل يرن لا يطن، لكن الجرس الذي على الترابيزة يطن.

وصلت "جونا" شقيقة أمي، إنها سمينة وضخمة، وتبدو كأنها رجل، تتجشأ دون أن تغطي فمها بيدها، كما أنها تطلق الريح فيسمعه الجميع، إن ذلك أمر هزلي.

- لدي غازات رهيبة.

تتحدث بصوت عال وتقول أحيانا شيئًا مضحكًا لا أفهمه، لكنني أحب الطريقة التي تقول بها الأشياء. أحيانًا تقول لأبي شيئًا مضحكًا عندما يتبرم من أمر ممل مثل التدخين أو شيء قاله أحدهم على الراديو.

- هل لا زلت تدخنين يا "جونا"؟
- ولم تكترث؟
- ألم تعديني بالإقلاع؟
- لم أعدك بشيء على الإطلاق.

فلا يعرف أبي حينها ماذا يقول.

نظرت إليّ ذات مرة ثم قالت لأمي:

- هذا الصبي ثابت كالوتد.

■

نظروا إليّ جميعًا ثم ضحكوا، لم أفهم قصدها لكنه بدا أمر ظريف، وذلك يعني أن هناك أمر جيد يتعلق بي، وأني لست مجرد مشكلة، ربما كانت تعني أنني شديد القوة، وقد كان من المُسلي رؤية الجميع يضحكون خاصة أمي.

الخالة "سالا" هنا، وهي شقيقة أخرى لأمي، إنها الشقيقة الأكبر، نحيفة ولديها الكثير من التجاعيد. أنا أحبها أكثر من الجميع فهي لطيفة معي دومًا.

كنا نسكن في منطقة "سكيبهولت" قبل انتقالنا إلى ضاحية "فوسفوجيور"، في الطابق الأعلى. كانت أمي تأخذني بالنهار إلى الساحة وتربطني في أحد الأعمدة بحبل طويل، حتى أتمكن من اللعب في الحديقة مع عدم الابتعاد كثيرًا. كنت صغيرًا لكني أدركت كيف أحل الرباط، وحاولت الهرب إلى منزل الخالة "سالا". استوقفتني الشرطة لأنني كنت أسحب هذا الحبل الطويل خلفي، وسألني أحدهم أين أسكن لكني لم أخبرهم، أردت فقط لو يتركونني وشأني حتى أتمكن من الذهاب إلى الخالة "سالا"، إلا أنهم قاموا بوضعي في سيارة الشرطة واصطحبوني إلى مركز الشرطة، وهناك أعطتني سيدة لطيفة بعض الحلوى.

عندما بدأت أشعر بالاستقرار والاستعداد لقضاء المزيد من الوقت هناك مر أبي ولاحظني، فأصابه الذهول. كان في عمله وليس لديه أدنى فكرة عما أقوم به.

سأل أبي:

- أليس هذا ولدي؟

كل ما له علاقة بـ"سالا" ممتع، تعطيني حلوى، ولمنزلها رائحة جميلة، وتوجد خلفه ساحة كبيرة للعب، كما أن لديها فيل ضخم أسود مصنوع من الصخر، هو صديق لـ"أكشن مان". عندما تأتي ابنة شقيقتها للزيارة دائمًا ما تقدم لي الحلوى، وتمنحني أحيانًا ألعابًا أيضًا، مع أنه ليس عيد ميلادي.

في إحدى المرات أعطتني طائرة معدنية، كانت رائعة، يمكن رؤية وجوه الركاب من النوافذ، ولها إطارات مثل الطائرة تمكنها من السير على الأرض، لكن الطائرات لا تسير على الأرض، يفترض بها الطيران، فأخذتها أعلى المبنى السكني الذي كان يتم بناءه بالقرب منا، فقد كنت عادةً ما أذهب إلى هناك في السر، كنت أعرف أن ذلك غير مسموح لكني لم أهتم، فما دام منزل لا يخص أحدهم بعد فأنا لا أزعج أحد.

كنت أستمتع بتسلق السقالات وإلقاء الأشياء من أعلى السطح، لكن يجب توخي الحذر عندما تكون على هذا الارتفاع فوق السطح، فإذا سقطت فسوف تموت.

لقد سقطت بالفعل مرة، لكن لم يصبنِ مكروه لأني سقطت على أقرب سقالة، أصبت بجروح لم تكن كثيرة، على الأقل لم أُمت. كثيرًا ما يسقط "اللون رانجر" The Lone Ranger لكنه لا يصاب بأذى بالغ.

لعبت بالطائرة لبعض الوقت، كان من المفترض أن تسافر إلى مدينة "تروندايم"، في النرويج، حيثما تعيش أختي "كريستين". كان الركاب جميعًا سعداء ومتحمسون، أرادوا الذهاب إلى السوق الحرة لشراء حلوى الربسوس وعلكة "البي كا"، ومن ثم الذهاب لزيارة الكاتدرائية في "تروندايم".

جريت ثم ألقيت الطائرة عاليًا في الهواء من أعلى السطح، وابتسم الركاب عندما شعروا بالهواء يحملهم، ودارت الطائرة عدة دورات في الهواء قبل أن تسقط على الأرض.

جريت إلى الأسفل.

استقرت الطائرة وسط كومة، وقد تكسرت الإطارات، كان حادث تحطم طائرة وفي مثل تلك الحوادث تشتعل النيران في الطائرة.

كان معي بعض عيدان الكبريت، وقمت بجمع بعض القمامة حول جسد الطائرة وأشعلت النار فيها. تآكل الدهان وذابت وجوه الركاب المبتسمة وتحولت إلى كرات سوداء، ولم ينج أحد.

تمنيت لو كان معي بعض الصواريخ، يكون معي بعضها بعد الألعاب النارية في ليلة رأس السنة، أقوم بوضعها داخل الألعاب وإشعالها.

كانت رؤية الطائرة تنفجر في الهواء وتتفكك إلى أشلاء أمرًا شيقًا.

"تتضخم مشكلات "چون جنار" بشكل خارج عن السيطرة، إنه طائش، غير حذر ويبدو كأنه لا يتعلم مطلقًا من تجاربه. رغم كونه منعزلًا عن أصدقائه فإنه يريد دائمًا تولي القيادة ويتخذ كل وسيلة متاحة ليصبح هو القائد، ولو عن طريق تدمير ألعابهم. يبدو في بعض الأحيان طبيعيًا إن كان بصحبة طفل واحد داخل مكان مغلق. خياله غير محدود، يشرد دائمًا في عوالم أخرى، ولا يبدو منزعجًا من ذلك، كما أنه شديد الإهمال فيما يتعلق بأشيائه وكأنها لا تعني له شيئًا. لا يشعر بالخوف عادةً، قام أبواه بمناقشة الأمر بينهما فتوصلا إلى أن بعض المشاهد من برامج الأطفال كانت من أكثر الأمور تأثيرًا به خلال العامين الماضيين. ويشكو الأبوان من عدم قدرته على التركيز"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٤/٢)

●

تجتمع السيدات في المطبخ ويتحدثن عن وظائفهن، وعن الأصدقاء وعما يدور في أذهانهن.

تقصصن قصصًا عن الأيام الخوالي، أحب سماع تلك القصص. كان الناس في الماضي سكارى في الأغلب ويعيشون في منازل أيسلندية تقليدية مبنية من الحجارة، كما كانوا جميعًا فقراء، فإذا ذهبوا إلى السينما يأكلون الزبيب بدلًا من الفشار.

كذلك تعرف السيدات حكايات كثيرة عن أشخاص كانوا شديدي الحمق في طفولتهم، فهناك سيدة ظلت تتبول على نفسها حتى سن المراهقة، اهتمت أمي بها وحاولت قطع تلك العادة بجعلها تستنشق بنطلونها كلما تبولت فيه، كان هذا يجعلها تبكي. قامت أمي بتقليدها:

- لا تجعلينني أشم ذلك، لا أريد شم ذلك!

لكن أمي كانت تجبرها على فعل ذلك، وتوقفت الفتاة في النهاية عن تلك العادة، ثم تزوجت وانتقلت إلى أستراليا.

وكانت هناك فتاة أخرى تعانى من مشاكل في النطق ولم تستطع نطق "الـR" أو "الـS" إلى أن أصبحت امرأة ناضجة. كانت تنطق اسمها هكذا:

- مرحبًا، اسمي "ثـالا كويثـتينثـدوتتيو".

تلك قصص مبهرة، تقلد الخالات الأشخاص في القصص ثم يضحكن.

لكنهن يتحدثن أحيانًا عن أمور جادة، يعرفن كل القصص المرعبة، بعضها عن أشخاص أصيبوا وقتلوا أو عاشوا بإعاقة، وعادة ما يصاب هؤلاء الذين لا يستطيعون تحمل التكاليف فيصبح الأمر شديد الصعوبة، يكون الأشخاص سعداء وغير مكترثين في بداية تلك القصص ثم تتحطم حياتهم في لحظة.

العبرة من تلك القصص تكمن في أنه عندما تبدو الأمور بخير وعندما تظن بدورك أنها بخير، فهي عادة ليست كذلك.

عليك خفض صوتك وأنت تقص مثل تلك القصص.

كما يعرفن قصص تصيبني بالقشعريرة أحيانًا، قصص عن نساء حوامل رزقن بطفل يبدو طبيعي لكن شعرن مع مرور الوقت بالشك، يبدو أن هناك شيئًا ما غير صحيح، يخبرهن الجميع أن كل شيء بخير وأنه لا داعي للقلق.

- لكنها لم تشعر أن الوضع طبيعي...

وفي النهاية، يتضح أن الطفل كان أعمى أو معاق، أو كلاهما.

قالت إن هناك أمر غير طبيعي حيال الطفل ولم يقتنع أحد بضرورة إجراء فحص، لكنهم يأخذونه للطبيب الذي يقوم بفحصه وتتضح الأمور.

- إنه "مانجو".

- بالضبط، لقد كان كبيرًا جدًا في العمر عندما وضعته.

- لكنه ظريف جدًا، فهو دائمًا نظيف ومنظم.

- أجل، عادة ما يكون "المانجو" لطفاء.

لا تقول "سالا" "منغولي" Mong بل تقول "مانجو" Mango مثل الفاكهة.

- أجل، كتلك الواقعة عندما أنجبت "هالي" و"أسلو" ذلك الطفل..

- كان هذا رهيبًا.

- أجل، لا بُدّ أن إنجاب طفل مشوه أمر مؤلم.

- إنها مأساة.

- لم يكن له عينان، لكنه على الأقل لم يكن ميتًا.

أومأت السيدات جميعًا.

تعرف السيدات العديد من تلك القصص، وتعرفن كيفية قصها، أقف هناك على مسافة، أمتص كل كلمة، وكأن بالكلمات صمغ، يثبتني بالمكان.

سمعت بعض القصص عدة مرات حتى إني حفظتها لكني ما زلت أهوى سماعها.

تحكي إحدى القصص عن فتاة كانت تعض الأطفال الآخرين باستمرار، وكانت أمها تشعر بقلة الحيلة حيال الأمر، حتى قالت لها:

- إذا قمت بالعض فسوف أضربك على فمك.

وفي المرة التالية عندما عضت الفتاة أحدهم، صفعتها أُمها على فمها بقوة حتى سال الدم منه.

- لكنها توقفت عن العض تمامًا بعدها.

القصص الأكثر جدية هي القصص المتعلقة بالسرطان، هذا أمر جاد، فالسرطان مرض قي غاية الخطورة، يشعر المرضى بضعف شديد، وعندما تذهب أمي لزيارتهم بالمستشفى تكون عظام وجوههم بارزة، ويشبه المكان معسكرات الأسرى.

- لم يبق منه شيء غير جلد على عظم، كان من المؤلم رؤيته.

- مثل معسكرات الأسرى.

ثم يموتون، الموت أفضل من الحياة مع السرطان، من الجيد أن "يرحل".

لا أجد قصص السرطان مشوقة، أتمنى ألا أصاب بالسرطان أبدًا.

وبينما يتبادلن القصص، يقمن باحتساء القهوة والتدخين، وتدخن أمي سجائر "Winstons"، وتدخن الخالة "سالا" سجائر "Viceroy"، أما "جونا" فتدخن سجائر "Camels".

سجائر "سالا" هي الأحب إليّ لأنها تحفظها في علبة من الجلد، والهنود الحمر يحفظون أشياءهم في علبٍ من الجلد.

عندما تتحدث النساء يستخدمن كلمات لا يستخدمها الآخرون، هكذا هو حديث السيدات، مثل الشفرة، وكأن السيدات لا يردن أن يفهم غيرهن عما يتحدثن عنه. نستخدم أنا و"ستيبي" الشفرة في قبيلتنا أحيانًا، نستعين بدفتر خاص بالبنك، تحصل عليه عند فتح حساب في البنك، وهو أشبه بكتيب ملئ بنصائح تتعلق بالادخار، يمكنك كتابة الملحوظات في هذا الكتيب.

التشفير شيق، لكل شخص علامة مميزة، فـ"چون" يكتب هكذا:

△ ◼ ◉
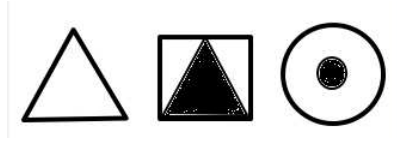
تستخدم أمي أحيانًا مسميات غريبة لا يستخدمها أحد. إن كان أحدهم غاضبًا فهي تناديه باسم "فوج" "Foj"، وعندما أكون مريضًا فتناديني بـ"سلوج" "Sloj"، وإن لم أكن مريضًا ولكنني مقبل على أمر ما فتناديني بـ"دومارا" "Dommara".

- هل الصبي مريض؟
- أجل، أصابه شيء.
- هل هو "سلوج" "Sloj"؟
- حرارته مرتفعة جدًا.

وإن كان أمر ما شديد السوء فهو "موج" "Moj"، هناك كلمات أكثر غرابة تعرفها السيدات، من المسلي الاستماع إليهن.

- هل هذا معطف جديد؟
- أجل، أنا ممتن لأنك لاحظت، ألا يبدو جميلًا؟
- إنه أنيق جدًا.
- لقد أحضره "جنار" لي من لندن.
- إنه معطف فخم.
- للمناسبات الخاصة وكذلك النزهات اليومية.
- أليس طويل جدًا؟
- هذه هي الموضة.
- لا أرتدى الملابس وفق الموضة، فملابسي دائمًا عملية ومتينة.
- حسنًا، والصبي يرتدي بنطلون جيد كذلك.
- قمت بشرائه من مول "هاچكا آب".
- أليس بنطلونًا ممتازًا؟
- أجل إنه من قماشٍ متينٍ.
- لدى "هاچكا آب" أشياء رائعة، وأسعاره ممتازة.
- دائمًا ما يمزق بنطلونه من عند الركبة.

يدعى بنطلوني "دوفيس"، وهو چينز أزرق، اشترته لي أمي من " هاچكا آب " في أثناء التخفيضات. لدي العديد من البنطلونات لكني أحب ارتداء الجينز. كما أن لدي بنطلونات من خامة "كورديوري"، لكني أفضل الجينز.

يمكن للهنود الحمر ارتداء بنطلونات چينز عندما لا يرتدون البنطلونات الهندية، لكنهم لن يرتدوا " الكورديوري" أبدًا.

تبدأ النساء في وضع مساحيق التجميل، وتضع أمي عجينة سوداء في فنجان قهوة وتقلبها.

يضعن في البداية بكرات الشعر في رأسهن، ثم "چل" التثبيت، قد يقمن أحيانًا بطلاء أظافرهن أيضًا، عندها تنتشر رائحة غريبة ولاذعة.

يقمن بإمالة رؤوسهن للخلف، وتضع أمي رقع قطنية على أعين شقيقاتها ثم عجينة سوداء على الرموش باستخدام كرة من القطن. يدخن ويثرثرن طوال الوقت. يتحدثن بصوت أعلى عندما تكون عيونهن مغلقة، كأنما يعتقدن أن سمع الناس يسوء عندما تغلق العيون. تحكي "جونا" عن امرأة مزعجة تعمل معها في شركة "صانعي السجق"، تعرف أمي تلك المرأة وكذلك "سالا" ويجدنها مزعجة بالفعل.

- إنها دائمة الاعتراض.
- هي عادة ما تجد الأمور محبطة.
- يا لها من شريرة صعبة الإرضاء.
- إنها مغرورة، وخاوية الرأس وبلهاء، هكذا هم هؤلاء الأشخاص.

ذهبت إلى شركة "صانعي السجق" من قبل، يقدمون الهوت دوج هناك. ذهبت مع أمي في إحدى المرات لزيارة "جونا" و"سالا"، كان للمكان رائحة غريبة ويرتدي الجميع مرايل مطبخ، وأحذية وأغطية رأس بيضاء.

في الطريق إلى المنزل حاولت الهرب من أمي والذهاب إلى الشاطئ، لاحظت أمي نيتي القيام بأمر ما فأمسكت بغطاء الرأس الخاص بمعطفي حتى لا أتمكن من الهرب.

قبل الخروج إلى البلدة تتحدث أمي معي وتخبرني بضرورة البقاء هادئًا، وفي كل مرة أعدها بذلك لكني أفقد السيطرة على نفسي. هناك الكثير من الأشياء التي أود رؤيتها، وأحيانًا أرى أشخاصًا شديدي الغرابة فأريد الذهاب للتحدث إليهم.

الخروج إلى البلدة والجري أمر مسلي، حينها تجري أمي خلفي، وكأنني في مطاردة، ويزداد الأمر إثارة عندما أجري وأختبئ فتضطر أمي للبحث عني.

اختبأت في إحدى المرات أسفل سيارة، كانت أمي تقف إلى جواري وتناديني. كان هذا أمر شيق جدًا. لكنها رأتني، فعندما تحركت السيارة شعرت بالخوف وشرعت في البكاء. رأتني أمي راقدًا هناك أبكي على الطريق. كانت غاضبة بشدة، لقد شعرت بالغضب لأني كدت أن أتسبب لنفسي في أذى كبير.

إنها غاضبة دومًا... لكن ألم نكن نلعب؟

عادةً ما كنت أركب معها الأتوبيس فتجعلني أجلس بجانب النافذة، أرادت مني قضاء مزيد من الوقت في مشاهدة ما يجري في الخارج، لكني كنت أفكر فيما يحدث داخل الأتوبيس. تخيلت أنني هندي أحمر يتم نقله إلى السجن، وعندما تنظر أمي بعيدًا أتسلق ظهر الكرسي وأذهب إلى نهاية الأتوبيس. أهرب

من الأتوبيس أحيانًا عندما يتوقف في إحدى المحطات، ثم أجد نفسي في منتصف اللامكان، فأختبئ وأنتظر كي تجدني أمي. أمكث أحيانًا في المكان نفسه لوقت طويل. إن الهنود بارعون في الاختباء والانتظار، لكن قد لا تأتي أمي أحيانًا ولا أسمع صوتها يناديني، فأدرك أني لا أعرف أين أنا فأشعر بالرعب وأبكي وأبدأ في مناداة أمي. عادة ما يأتي بعض الغرباء ويحاولون مساعدتي ثم تأتي أمي، ودائمًا ما تكون غاضبة.

التحدث داخل الأتوبيس ممنوع، لا إلى أمي ولا إلى الغرباء، كان علي أن أعدها بذلك قبل الركوب.

- ستجلس في صمت، ماشي؟

- حاضر.

لكني أجد نفسي مضطرًا للحديث.

- أمي، ما نوع هذا المنزل؟ انظري انظري، سيارة إسعاف، ربما توفيت جدتي، هل علينا الذهاب للتأكد؟

لا تجيبني أمي بل تحاول إسكاتي، فأبدأ في التحدث إلى الآخرين، أحب معرفة أسمائهم، ومكان سكنهم وأكلتهم المفضلة. تسمي أمي ذلك ثرثرة.

- عليك ألا تثرثر هكذا مع الغرباء.

أخبرهم أحيانًا باسمي، وبمكان سكني وسني، لا أكون فظًا مع أحد إلا هؤلاء الذين يبدون مزعجين أو أجدهم أجلافًا، فأصبح فظًا كرد فعل.

- هل تضاجع كثيرًا؟

عادة ما تكون ردود أفعال الناس على ذلك السؤال غريبة، إنه أمر هزلي.

لكن أمي تغضب بشدة. أشعر أن هذا غير عادل، يجب أن تغضب من هؤلاء الذين يجيبون بطريقة فظة على طفل صغير، يجب منع أولئك الناس من الذهاب إلى المدينة أو الصعود إلى الأتوبيس، عليهم البقاء في منازلهم مرتدين ملابس النوم حتى يقسموا أنهم لن يكونوا أجلافًا ثانية.

أخبرني الطبيب أنه لا يسعني اقتراح ذلك على أمي.

- هل تدرك أن هروبك من أمك يصيبها بالإرهاق والضيق؟

- نحن نلعب فقط.

- أليس لديك أصدقاء تلعب معهم؟

- أنا هندي أحمر، في قبيلة من الهنود.

طلب الطبيب من أمي معاقبتي عندما أسيء التصرف بإجباري على الذهاب إلى النوم، في المرة التالية قبل الخروج ذكرتني أمي بذلك:

- لا تجري بعيدًا ولا تتحدث إلى أشخاص لا تعرفهم، أتعدني؟

- أجل.

- ويجب أن تجلس إلى جانبي في الأتوبيس وتتصرف بشكل جيد وهادئ.

- حسنًا.

- إذا تصرفت بطريقة سيئة سوف نعود إلى المنزل وتذهب إلى سريرك على الفور، لن تشاهد التلفزيون.

"يكمن التحدي الرئيسي في العِناد الذي كبر الولد عليه، منذ أن كان عمره عامين ونصف العام تقريبًا. أصبح عنيفًا على مختلف المقاييس، يطلق العنان لنفسه في سعادته وضيقه، غير مكترث وكثير الطلبات كما أنه مشوش. يسري ذلك خارج المنزل أيضًا، في الأتوبيس وبين المحلات، وعندما يأتي الضيوف إلى المنزل. والولد ينفر من الأطفال الآخرين، كما قد يحدث أن يستخدم كلمات سوقية في بعض الأوقات"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٤/٤/٢)

⦿

أشاهد التليفزيون كثيرًا، أشاهد "بونانزا" و"لاتيست"، كما أشاهد "ساعتنا".

يشاهد أبي الأخبار، ومن وقت لآخر يشاهد البرامج الحوارية، لا يسمح بإزعاجه في تلك الأثناء، لكني أحتاج إلى سؤاله عن بعض الأمور قبل أن أنسى.

يعود أحيانًا إلى المنزل ويبدأ في مشاهدة الأخبار مباشرة، أحيانا أقضي أيامًا دون رؤيته ويكون لدي أمر مهم لأخبره به، فأتسلل إليه وأحاول أن أهمس، لكنه لا ينظر إليّ، وإنما يستمر في متابعة الأخبار، وإذا تحدثت بصوت أعلى يرفع صوت التليفزيون، فأضطر للصراخ حتى يتمكن من سماعي.

- "قامت المحكمة العليا في "شتوتجارت" أمس بالحكم على الإرهابيين "أندريا بادير" و"جودرون أنسلن" لمحاولتهما القيام بأعمال إرهابية..."

- أبي!
- "الكتائب الحمراء هي..."
- أبي!

لا ينظر نحوي، أحاول إدارة وجهه كي ينظر إليّ بدلًا من التليفزيون لكنه يغضب ويدفعني.

- خذي الولد يا ماما!

فتأتي أمي لتأخذني بعيدًا.

- يجب ألا تزعج بابا أثناء مشاهدته التليفزيون.

- لكني كنت أخبره فقط...

- يجب ألا تزعجه.

- ألا يمكنني سؤاله عن شيء واحد؟

- كلا.

لا أرى أبي مطلقًا. يعمل كثيرًا. يخرج في الصباح الباكر ويعود في وقت متأخر، ثم يجلس ويشاهد الأخبار أو يستمع إليها عبر الراديو في المطبخ.

يجب ألا أزعجه أثناء ذلك، كما يجب ألا أزعجه بينما يقوم بأمر ما في المنزل، فعندما أعيقه عن العمل يستاء.

- لا تلمس ذلك، اتركه، إنه خطر.

- ما هذا؟

- فقط اتركه.

"للأب شعر داكن، وأكتاف عريضة، وهو متوسط الطول، عادةً ما يبدو هادئ، إنه رجل ذو قناعة مثل زوجته، لكنه يواجه بعض الصعوبات في التعبير عن نفسه، ويهون من مشكلات الصبي؛ وفوق ذلك يؤكد أنه لا يلحظها بنفس درجة الأم، وأن هذه الزيارة لا تعني له الكثير مثلما تعني لزوجته"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٢/٨)

△

يذهب أبي إلى المدينة في ذلك الصيف ولا يُسمح لي بالذهاب معه، وعند عودته يكون محملًا بصور كثيرة لنفسه مع أشخاص لا أعرفهم. يبدو الطقس جيدًا ومشمسًا، والجميع سعداء، يضحكون أحيانًا في الصور ويلهون مع بعضهم البعض، أرى أفواههم مفتوحة. ويحمل أبي أولادًا صغارًا في بعض الصور، يعاملونه بودٍ ويدعونه "جدو"، من المؤكد أنه يحب هؤلاء الأولاد.

ليس لأي منهم شعر أحمر اللون.

△

أهرب من أمي في المدينة، أجري إلى الساحة وأتسلق شجرة، فتجدني وتطلب مني النزول فورًا. لا يمكنها التسلق ولا تصرخ فيّ لأن هناك أشخاص يشاهدون الموقف، لكنها صارمة وتهمس بأعلى صوت ممكن.

– هلا نزلت من على الشجرة حالًا؟

أشعر فجأة وكأنني "طرزان"، لقد شاهدت أكوامًا من أفلامه: "طرزان والأقزام"، و"طرزان والمدينة المفقودة". يتنقل "طرزان" عن طريق التأرجح بين الأشجار، يقفز بين الأغصان أو يتأرجح معتمدًا على ذراعه. إنه قوي جدًا، وأنا أيضًا قوي، أنا أكثر قوة من كل الأولاد في صفي، هناك ولد واحد فقط يفوقني قوة.

ينظر الجميع إليّ، إنه أمر شيق، مثلما ينظر مشاهدو السينما إلى فيلم لـ"طرزان". أنا "طرزان".

يقترب رجل من الشجرة.

– هل تسمحين لي بإنزال إبنك؟

تبتسم أمي بغرابة.

- أنا عاجزة عن التصرف.

سوف يأتي الرجل ليأخذني، لكن هناك شجرة أخرى في مستوى شجرتي، أتسلق لأعلى، فيتسلق الرجل الشجرة.

- هيا يا ولد. كفاية لعب.

أقفز بغير تفكير من مكاني نحو جزع شجرة، أنا "طرزان" وسوف أقفز وأترجح بين الأغصان. لكني أفشل في التعلق بالغضن الضعيف فيميل عندما يحمل وزني، وأحاول الإمساك بجزع آخر لكنه بعيد، أتأرجح ساعتها في الهواء وأسمع صياح أمي:

- "چون جنار"!

أسقط على ظهري. ويؤلمني بشدة، لا يمكني التنفس، وعندما أحاول البكاء لا أتمكن من ذلك أيضًا، فتأتي الناس راكضة.

- هل هو بخير؟

- لم أر مثل ذلك قط.

تساعدني أمي على النهوض، وأشعر بارتياح كوني بخير. تشكر أمي الرجل الذي حاول إنقاذي، ثم تأخذني بعيدًا بسرعة.

- بماذا كنت تفكر وأنت تلعب هكذا؟

- لا أعرف.

- تمامًا، لا تعرف، لا يمكنني التفكير بدلًا منك، ولا يمكنني الجري ورائك في كل مكان، لقد أنهكت.

تضعني في سريري فور الوصول إلى المنزل. ما زال ضوء النهار بالخارج، لكنها تلبسني بيجامتي وتأخذ مني "الليجو".

- هل تعرف لماذا أفعل ذلك؟

- لا.

- لأنك تصرفت بشكل سيء. ولقد أخبرتك أني سأضعك في السرير إن فعلت ذلك.

- لكني لن أفعلها ثانية.

- لكن لأنك قمت بها فسوف تذهب إلى السرير الآن.

عندما أخرج من غرفتي لاحقًا لمشاهدة مسلسل "بونانزا" تطاردني وتعيدني إلى السرير.

- لكنني لست سيئًا.

- لكنك كنت كذلك لذا فعليك البقاء بغرفتك.

- لكنني توقفت عن فعل ذلك.

- اذهب إلى غرفتك.

- لكن.. يا أمي.. "بونانزا"...

- كان عليك التفكير في ذلك قبل القيام بتصرفاتك السيئة.

كانت أمي صارمة جدًا، لقد توقفت عن تلك الأفعال وأصبحت هادئًا، لا أفهم لما لا يمكنني مشاهدة "بونانزا"، لذلك تسللتُ من غرفتي، وحاولت الوصول إلى غرفة التليفزيون دون أن تراني أمي. لكنها رأتني واعتلى وجهها غضب شديد، فجريت عائدًا إلى غرفتي. لم أفهم سبب غضبها. لا يمكنني مشاهدة "بونانزا" وهذا غير عادل. ففتحت الباب وصحت بصوت مرتفع:

- أعدك أن أحسن التصرف.

لم تجبنِ أمي، كانت في شدة الغضب وبدأت في النحيب.

- لن أكررها يا أمي، لن أكررها.

"الأم ثقيلة الحركة، وغالبًا ما تجد صعوبة في توضيح سبب إرهاقها المستمر، أو مناقشة إحباطاتها. يبدو الإرهاق على بشرتها خاصة في الهالات السوداء المتراكمة أسفل عينيها. لديها قدر محدود من الكلمات وتستخدم جملًا قصيرة، وعادةً ما يبدو أنها تواجه صعوبة في الربط بين الأشياء والكلمات المعبرة عنها، مما جعل الحصول على تفاصيل عن حياتهم اليومية أو وصف دقيق لأعراض وتصرفات الصبي أمرًا عسيرًا. تسأل في كل مقابلة عن النتائج المتوقعة من المتابعة لكنها سرعان ما تنجرف في الانشغال بمتاعبها الخاصة ونفاد صبرها"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٢/٨)

⧗

تقدم أمي البيرة في زجاجات بنية اللون للسيدات، تعدها بنفسها، وتتميز برائحة غريبة، حلوة ولاذعة في الوقت نفسه. وتقوم النساء بالتدخين.

تسأل أمي:

- هل قام "ستيبي" و"أولا" بتغيير مسكنهما بعد؟

تجيبها "سالا":

- أجل، لقد انتقلا خلال العطلة الأسبوعية.

- إنها شقة رائعة بالفعل، أتمنى أن يجدا فيها الراحة.

تعلق "سالا":

- إنه رجل مجتهد حقًا.

تضيف "جونا":

- عار عليها.

فتقول أمي:

- لكنها ليست بشخص سيء.

تحرك "جونا" رأسها باعتراض وتأخذ نفسًا عميقًا من سيجارتها.

- لا يهمني إن كانت صالحة أو سيئة، فهي سكيرة.

تقول "سالا":

- لطالما كانت سيدة رقيقة.

تضيف أمي:

- ومرهفة الحس.

- أعتقد أنها عديمة الفائدة.

تعترض "سالا":

- لا تقولي ذلك يا "جونا".

- سأقول ما يحلو لي، فهي مجرد سكيرة بائسة.

تقول أمي:

- هذا صحيح، هي عادة ما تكثر من الشراب، لكنها لا تدمن الحبوب.

توافق "سالا" بصدق، أما "جونا" فتستهجن وتغير مجرى الحديث.

تسدل أمي ستائر المطبخ، وتتجه الشقيقات إلى الفرن، مرتديات حمالات الصدر فقط، يغسلن شعورهن في حوض المطبخ ثم تعود كل واحدة إلى مقعدها. يصففن شعور بعضهن البعض ويضعن بكرات الشعر.

ثم ينتقلن إلى غرفة المعيشة لتجفيف شعورهن، ويجلسن على الأريكة بجانب بعضهن البعض وتمسك كل واحدة بمجفف الشعر الخاص بها. لمجفف الشعر لون أبيض ويدعى "روينتا"، يخرج من كل مجفف أنبوبٌ موصول بقبعة بلاستيكية ملونة. يضعن القبعات على رؤوسهن وعندما يُشغِّلن المجففات يخرج هواءٌ ساخن

يمر بالأنبوب ثم يصل إلى القبعات التي تنتفخ، توجد في تلك القبعات فتحات صغيرة كي لا تنفجر. لأمي قبعة صفراء مُزيّنة بصور الورود، ولـ"جونا" قبعة بنية أحادية اللون، أما "سالا" فقبعتها وردية مُزخرفة بورودٍ من اللون نفسه. تصدر المجففات صوت يشبه صوت المكنسة الكهربائية.

أتابعهن بحب وتقدير، تلك السيدات هن أكثر الأشخاص كمالًا وإثارة للاهتمام من بين كل من أعرفهم، فهن يعرفن كل شيء ولديهن كل الإجابات.

أعود إلى غرفتي وأنا أشعر بالبهجة، فمن اللطيف رؤية أمي سعيدة.

في غرفة المعيشة تجلس السيدات جنبًا إلى جنب، بخوذاتهن الملونة، يدخن ويحتسين القهوة، ويصرخن أثناء الحديث حتى لا يغطى صوت المجففات على أصواتهن.

●

"فوكسفوكس" هو اسم مدرستي. لا أحب المدرسة وأجد صعوبة في البقاء جالسًا. يمكنني الجلوس لفترة من الوقت لكني أحتاج إلى التحرك أو تغيير جلستي، كما أجد الأمر مرهقًا حين لا أستطيع التحدث كيفما أريد.

لكني أحب "الحجرة المنزلية"، يذهب كل صف إلى حجرته، ونجلس على بساطٍ ناعم بينما يحدثنا المعلم ويسألنا بعض الأسئلة. يسمح لي بالتحدث كثيرًا، أحب التحدث وحكي القصص الطريفة. لا يمكنني السيطرة على نفسي أحيانًا فأشرع في الكلام، حينها أقوم بمقاطعة الآخرين. كما أحب ترديد الكلمات التي يقولها الناس، لكني أتلفظ بها بطريقة مختلفة، من المسلي نطق كلمات لها الوزن نفسه، فإذا قال أحدهم كلمة غريبة أقول كلمة شبيهة، فإن قال – مثلًا - "دباسة" أقول "هباسة"، معظم الكلمات التي لها الوزن نفسه تكون بلا معنى، لكن ليس دائمًا، فربما مثلًا يقول أحدهم: "شجرة" فأقول أنا: "بقرة".

هناك كلمات أحب ترديدها مرةً بعد مرة لأستمع إليها، أحب كلمة "يحبو" على سبيل المثال، لا أمل أبدًا من ترديدها، "يحبو".

تقول معلمتي إن هذه ثرثرة، لا يعجبها ترديدي للكلمات أو الإتيان بكلمة على وزن أخرى، لا ترى في ذلك شيئًا مسليًا كما تعتقد أني أفعل ذلك لأضايق الآخرين، لكن هذا غير صحيح، وإن كنت لا أعرف سبب فعلي ذلك، تتردد

الكلمات مرة تلو الأخرى في عقلي ولا يمكنني التخلص منها إلا بقولها بصوتٍ مسموع، لكنه أمر سخيف ولهذا أبدو وكأنني أتعمد التهريج.

أحب الكلمات التي لا وجود ولا معنى لها، "غبار چاري" واحدة من تلك الكلمات، و"سبلندرر"، أقول تلك الكلمات أحيانًا عندما لا أعرف ماذا أقول، وأحب قولها فهي كلمات مضحكة.

- "چون"، ما هو "الفعل الافتراضي"؟

- ممم، "سبلندرر"؟

- لا تكن سخيفًا.

- "غبار چاري"؟

- "چون"، من كتب قصة "البطة القبيحة"؟

- "بطوط"؟

يضحك الجميع. أن تكون مضحكًا أفضل من أن تكون مغفلًا.

تسألنا المعلمة أحيانًا أسئلة لا يعرف إجاباتها أحد في الفصل غيري، أحب ذلك كثيرًا.

- يا أولاد، هل تعرفون ماذا نطلق على صغار الدببة؟

يرفع البعض أيديهم وأنا من بينهم.

- جرو؟

تحرك رأسها رافضة الإجابة.

- دببة صغيرة؟

- كلا.

ثم لا يبقى غيري في النهاية، فتنظر المعلمة إلي وتومئ.

- ديسم مقطقط.

يضحك الجميع، كان هذا مضحكًا لكنه صحيح، فصغير الدب يسمى "ديسم" لكني أحب مزج الكلمات معًا لصنع كلمات بلا معنى.

تبتسم المعلمة وتومئ، تدعى "سفاندس" وهي حازمة جدًا، أحيانا تقرصني بأظافرها عندما أسيء التصرف، أحاول توخى الحذر في وجودها.

من المسلي مضايقة بعض المعلمين، أحب المزاح معهم، لكن بعضهم مزعجون.

كنت أقص عليهم ذات مرة قصة صبي صغير تبول قبل أن يصل إلى الحمام، فسألتني المعلمة:

- هل تبول على نفسه؟

أخبرتها أنه من الخطأ قول تبول "على نفسه" فلا أحد يمكنه التبول "على" نفسه.

علينا قول "تبول في ملابسه"، لكن المعلمة غضبت وقالت إنني وقح، لكني لم أكن كذلك، فأنا أعلم أنه يتوجب علينا التحدث بطريقةٍ حسنة مع الكبار.

عندما كنت صغيرًا كنت أختبئ أحيانًا من المعلمين، كنت أحب ذلك لكنني أكثر نضجًا الآن، لم أعد أسيء التصرف مثلما كنت أفعل، كما أني لا أشعر بالضيق مثلما كنت من قبل، في تلك الأيام، لم يكن لدي أصدقاء وكنت أخاف من الأطفال الآخرين.

عندما بدأت الذهاب إلى المدرسة كنت أشعر أني سوف أموت، كانت أمي تذهب معي كل صباح لأني أرفض الذهاب، كنت أشعر بخوفٍ شديد، لكن

بالتدريج بدأت أشعر بتحسن. تعرفت إلى الأطفال الآخرين ووجدت أن معظمهم لا بأس به، ومع ذلك فهناك بعض الأطفال السخفاء الأكبر سنًا، يتعمدون مضايقتي أثناء وقت الراحة، يتبعونني إلى المنزل ويطلقون عليّ "أبو راس حريقه" بسبب شعري الأحمر.

عندما أعرف أنهم سوف يتبعونني إلى المنزل، أستعد جيدًا، وقد أضع بعض الصخور الكبيرة في جيوبي، وعندما يصلون إليّ ويبدؤون في مضايقتي أحاول إلقاءها على رؤوسهم، فيخافون ويجرون بعيدًا وهم يصيحون:

- إنه مجنون، إنه مختل!

لا أصيب أحدًا منهم بأذى، ما أريده هو إخافتهم فحسب.

أضطر أحيانًا للشجار لكني لم أضرب أحد بعد، ليس بشكل صريح، فجميعها مجرد مشاحنات، لا أريد إيذاء أحد، إلا إذا كنت غاضب بشدة.

قمت بضرب صبي في المدرسة عن عمد مرة واحدة، كان يضايقني دائمًا ويكعبلني ويطلق عليّ أسماء سيئة. "يا أبو راس حريقه". كان يضايقني أثناء الفسحة ويتبعني أثناء طريق العودة، ويحاول طرحي أرضًا إذا التقينا في ردهة المدرسة، كان يكبرني بعامين ويعرف الجميع أنه أحمق.

قبل حدوث ذلك بقليل، كنت قد كسرت ذراعي وأنا أقود دراجتي، كنت قد حصلت على عداد سرعة حينئذ وأحاول تحقيق رقم قياسي جديد، فأسرعت بها من فوق تل شديد الانحدار ففقدت السيطرة واصطدمت بعمود.

تم أخذي إلى غرفة الطوارئ وتجبير ذراعي.

أتى الصبي إليّ في الفسحة وأراد رؤية الجبس، بينما كان يقف بالقرب مني صفعته بقوة على رأسه مباشرة باستخدام الجبس.

بدأ في الصراخ، كان ذلك يناسبه، وأحببت رؤيته وهو يصرخ، فلطالما ضايقني، وعندما حاول مهاجمتي جاء معلم وسحبه من ياقة ملابسه وأخذه إلى مكتب المدير.

بعد قليل، عاد المعلم وأخذني إلى المدير، وأمرني المدير بالاعتذار إليه لأنني صفعته، وجعله يعتذر لي لأنه ضايقني ووعدني بألا يكرر ذلك، والحقيقة أنه وفى بوعده، لقد سعدت كثيرًا برؤيته يبكي، فلا يمكنك مضايقة شخص بعد أن شاهدك تبكي.

عادة ما أذهب إلى المدير، يأخذني المعلمون إليه عندما يعجزون عن تحملي، وقد أذهب إليه أحيانًا رغم أنني لم أفعل شيئًا سيئًا، لكن هذا أمر مقبول لأن المدير رجل ظريف، لا يوبخني على الإطلاق، بل يحادثني بلطفٍ ويمنحني أحيانًا حليب بالشيكولاتة أو دمية صغيرة.

قمت بضرب معلمة ذات مرة. لم أكن أخطط لذلك، كنت أصغر بكثير، كنت أحاول الاختباء فتسلقت الرف الكبير فوق باب الفصل، وتخيلت نفسي هنديًا أحمر يجلس منتظرًا، والمعلمة هي راعي البقر الذي سوف يقتلني إن وجدني.

جابت المعلمة المدرسة بأكملها تبحث عني وتنادي اسمي، كان لها شعر أسود داكن وطويل يصل إلى مؤخرتها، كنت أغيظها بأن أجيب نداءها أحيانًا:

أنا هنا بحجرة الدرس.

ثم أكتم ضحكاتي عندما تأتي، أراها ولا تراني، فهي لا تنظر إلى الأعلى، وفي إحدى المرات دخلت من الباب فقفزت عليها.

لا أعرف ماذا حدث، لم أكن أفكر حينها، فقط أردت مفاجأتها، لكن غضبها فاق توقعاتي، فأثناء سقوطي حاولت التمسك بأي شيء فأمسكت بشعرها فوقعنا معًا.

تسببت في إيذائها حيث اضطرت إلى ارتداء طوق حول عنقها، وفي تلك المرة غضب المدير، وقال إنه من حسن الحظ أن عنقها لم ينكسر، أدركت ذلك متأخرًا فبدأت في البكاء، ورجوت العفو منها، فأنا لم أتعمد إيذائها.

أقوم أحيانًا بأمورٍ لا أفهمها إلا متأخرًا، لا أعرف لماذا أقوم بها، في لحظة أفكر بأمر ما ثم لا أفكر بأي شيء، ثم فجأة أشعر بأنه علي القيام بشيء ما، وقد يغضب أحدهم عندما يحدث ذلك فأدرك الأمر وأبكي.

"أظهرت الدراسات تمتع الصبي بقدر عالي من الذكاء، إضافة إلى شعور قوي بالاستقلالية، وكونه طفلًا يسعى لإشباع احتياجاته مثل الطعام والدفء، فإن حاجته لملجأ دافئ وآمن أو مكان للاختباء تتعارض مع رغبته في خوض المغامرات وإرضاء فضوله. ورغم احتياجه للعلاقات الحقيقية الحميمة فإن خوفه وامتعاضه من البالغين واضح، وكذلك تمرده على قوانينهم. يرى "چون جنار" نفسه مشوهًا، بعيدًا عن الكمال، كما تراوده الشكوك فيما يتعلق بقدراته، ويتجلى ذلك غالبًا في صورة معارضة، حيث إن عدم الرغبة في الشيء أفضل عنده من عدم الحصول عليه. قدرته على التكيف العاطفي ضعيفة. من غير الممكن التغاضي عن احتياجه للسلطة ورغبته في إشباع ذلك. يدرك الاحتياجات التي تولدها فيه الأشياء المحيطة، وعندما تتعارض تلك الاحتياجات مع رغباته الداخلية ينتج صراع واضطراب"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٥/٩)

ليس لدي أعداء في المدرسة لأنني لا أشارك في المشاجرات، وإن كان هناك شجار دائمًا في فترة الراحة، ويتعرض بعض الأطفال للمضايقات بشكل مستمر، خاصة هؤلاء الذين يتسمون بالغرابة، أو يتصرفون بشكل مختلف أو يرتدون ملابس سخيفة.

هناك فتاة تدعى "جونا" المجنونة، تشرع في البكاء كلما تعرضت للمُضايقة، عادةً ما تكون بمفردها، تتحدث إلى نفسها. إنها حقًا مجنونة. يتجمع عدد من الأطفال حولها أحيانًا ويضايقونها إلى أن تشرع في البكاء، أرى ذلك تصرفًا مقززًا، لن أشترك معهم أبدًا.

كما يسخرون باستمرار من صبي بالصف، يطلقون عليه "طرزان المطاطي"، مثل تلك الشخصية في الكتاب الذي كتبه "أولي لوند كيركيجارد"، أحيانًا يبصق شخص في كفه ويأمره بأكل البصاق، فيفعل ذلك، ويضحك الجميع، ويضحك هو أيضًا، كأنه لم يستوعب بعد أنهم يسخرون منه.

أصدقاء المدرسة ليسوا بالضرورة أصدقائي خارجها، فأنا ألعب مع معظم الأطفال بالشارع حيثما أسكن، وصديقي المفضل هو "كريستجان يور" وهو ابن عمي أيضًا، ليس له أصدقاء غيري، نحن دائمًا معًا. نلعب بـ"الليجو"

و"أكشن مان". كما أن "كريستجان يور" يشاركني الصف الدراسي نفسه. كدت أتوقف عن اللعب مع "ستيبي" حينما بدأت ألعب مع "كريستجان يور". سائر أطفال الصف مجرد زملاء، قليلًا ما ألعب معهم، يقضي معظمهم الوقت في التدرب على لعب الكرة، أما أنا فلا أحب لعب الكرة إلا لفترات قصيرة، ولن أذهب إلى تدريب كرة قدم، فأنا لا أستوعب اللعبة ولا يمكنني إحراز الأهداف مطلقًا، إنها لعبة صعبة ومعقدة، لا أدرك ماذا يجب أن أفعل إلا بعد فوات الأوان، لذا لا يريد أحد إشراكي في فريقه.

أفضل اللعب بالثلج أو الجري خلال الفسحة، مع أني أملك حقيبة تحمل علامة نادي "ليفربول"، وأشجع فريق كرة "ليفربول"، لكن ذلك نوع من الاصطفاف مع الأغلبية.

الذهاب إلى المدرسة عندما يكون الطقس جيدًا أمر سخيف، ففي تلك الأيام أفضل البقاء في الخارج للعب، وأرى أنه ليس من العدل أن نضطر للذهاب إلى المدرسة حينما يكون الطقس جيدًا، أو تكون هناك كميات ممتازة من الجليد.

لست جيدًا في التعلم، كما تطلب مني المعلمة باستمرار التوقف عن التسبب في الضوضاء.

- فلتقلل من الثرثرة يا "چون".

أجد كلمة ثرثرة مسلية، أستخدمها كثيرًا للتغني.

- يثرثر "كيت" مع "نات"، يثرثر "نات" مع "كيت"، "نات" و"كيت" يثرثران.

- اصمت.

تجلسني المعلمة أحيانًا بعيدًا عن زملائي كي لا أتسبب في إزعاجهم، ثم تجلس إلى جواري وتساعدني على المذاكرة، لكن ذلك لا يجدي، فالتعلم صعب بالنسبة لي.

المدرسة مفتوحة، لا توجد فصول، وإنما يجلس الجميع للتعلم معًا في مساحات مفتوحة، أو نذهب إلى الحجرة أحيانًا. لا نحصل على درجات مثل بقية المدارس، بل على تقييم، فيمكنك الحصول على "جيد"، أو "لائق"، أو "ناجح"، و"جيد" هي الأفضل مع أنها تعني "لائق" أيضًا، إلا أن هناك اختلاف قديم بينهما، فـ"جيد" تعني الأفضل على الإطلاق، وأنا لا أحصل على "جيد" في أي من تقييماتي أبدًا، بل عادةً ما أحصل على "لائق" مصحوبة بتعليق: "بطيء الفهم، يحدث ضوضاء، يشتت انتباه أقرانه".

الكتب المدرسية هي الأسوأ على الإطلاق، تتميز دائمًا بالصعوبة كأنما صنعت خصيصًا لتكون مزعجة، أصاب بألم في مقدمة رأسي عندما أطالع الكتب المدرسية، حتى الصور المطبوعة داخلها مملة، لا يمكنني متابعة ما بها من معلومات ولا أريد تعلمها، أستمتع بها حال احتوائها على قصص فقط.

يسبب لي التعلم شعورًا بالاختناق، مثل هذا الشعور الذي يصيبني عندما يتم إجباري على تناول طعام أكرهه.

أحاول تجنب التعلم في المنزل، أخبر أمي أني تعلمت كل ما أحتاج لتعلمه في المدرسة، فتصدقني أحيانًا، أو لعلها لا تكون في مزاج يسمح بمطاردتي، لكنها تجبرني أحيانًا على المذاكرة في غرفتي وتجلس معي، ولا يُطلق سراحي إلا بعد الانتهاء مما لا بُدّ به.

يتوجب علي التدرب على الكتابة، وهو شيء قاتل، يتم إلزامي بكتابة الحرف نفسه مراتٍ ومرات. لا يمكنني كتابة الحروف بين السطور، عادةً ما تكون كبيرة، أو صغيرة، أو بعيدة، أو حتى نحيلة، ولا تشبه الحروف المطلوبة.

خطي سيء، ولا أستمتع بما أكتب فهو عادةً شديد السوء والغباء. لا يمكنني الكتابة على خط مستقيم، ودائمًا ما تنزلق كتابتي وتصل إلى الخط التالي.

خطي هو الأسوأ على الإطلاق بين تلاميذ الصف.

△

""چون جنار" صبي في الخامسة، أحضره أبواه إلى المستشفى بسبب مشاكل في تصرفاته؛ يقول والداه إنه عنيف، وعنيد، ويستخدم كلمات سيئة، ولا يعتني بألعابه، ولا يهتم بالوقت والمكان، ويجد صعوبة في التركيز، إضافة إلى فشله الدائم في كتابة حرف الـ "ج""

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٥/٩)

⧗

"يتميز بثقة كبيرة في نفسه، سرعان ما يقرر رسم شيء لي، لكنه لا ينجح في ذلك، يبدو غير مسيطر على خياله، ثم يرسم الحروف المهمة في الأبجدية وهي "أ"، و"ج"، و"ي" مقلوبة. ويؤكد والداه على استحالة تعليمه كتابة حرف "ج""

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٤/٢)

•

النحو أيضًا صعب ومحبط، فعليك اختيار كلمات ومعرفة تصنيفها، بعض الكلمات مصادر وبعضها صفات، كما أن هناك حال ونعت، دائمًا ما أنسى الفروق وأخلط بينها، كما أنني لا أهتم، فأنا لا أريد أن أتعلم ذلك، ولا أظنني أحتاجه.

لا توجد امتحانات في مدرستي، لدينا بدلًا منها اختبارات مُصغرة. أحاول بذل قصارى جهدي في اختبار النحو، لكني أرتكب العديد من الأخطاء خاصة فيما يتعلق بالحال والنعت، وسائر الأشياء كذلك، كما أعتمد على التخمين، مما يعني أن أغلب إجاباتي الصحيحة لا ترجع لمعرفتي بالقواعد لكن لتذكري شكل الكلمة أو لمجرد قيامي بتخمين صحيح.

التهجي أصعب، فعليك تعلم قواعد كتابة الكلمات، وجميعها بالنسبة لي قواعد سخيفة، خاصة قاعدة الـ "y/ý"، لو كان الأمر بيدي لمحوت ذلك الحرف من اللغة، إضافة إلى استحالة ملاحظة الفرق عند سماعك أحدهم يتحدث.

حين أقرأ أتأمل الكلمات وأحاول تذكر شكلها، تلك هي الطريقة المثلى لمعرفة كيفية كتابتها، حيث إني أجهل القواعد ولا أملك أدنى فكرة – مثلًا – عن سبب كتابة "Christ" وليس "Cryst" كما ننطقها، أو "Wonder" بدلًا من "Wander" ولكني أتذكر شكل الكلمات لذا ليس من المهم معرفة القاعدة.

الرياضيات هي الأصعب على الإطلاق، إن كان هناك أمرًا واحدًا يمكنني اختيار عدم تعلمه فسيكون الرياضيات، أنا متأخر جدًا في الرياضيات، فبينما بدأ الآخرون في تعلم القسمة ما زلت أتعلم الطرح، أعرف فقط أسهل القواعد ولا يمكنني التقدم، لا أتذكر حتى كيفية إجراء الحسابات، يعرف معظم زملائي جميع جداول الضرب، بينما أعرف فقط جدول واحد واثنين وعشرة. عندما أذاكر الرياضيات، أشعر كأن الأرقام مصنوعة من قطع صغيرة، تجري في جميع الجهات بمجرد النظر إليها.

لا أجد شيئًا أكثر إحباطًا من الرياضيات، حتى اضطراري للجلوس على مقعدٍ حاد في جنازة، مرتديًا حذاء ضيقًا وملابس تحك الجلد وتؤذيه. عندما أحاول تعلم الرياضيات أشعر بالاختناق، كأنها تجبر روحي على الغرق.

لا تجدي معي الأمثلة، أحيانًا تجلس معي أمي تحاول شرح القواعد لكني لا أفهمها، لا أريد فهمها، ولا أستمع إلى ما تقول، أومىء برأسي وأتظاهر بالنظر حيث تشير لي، ثم عندما أضطر للإجابة أحاول استنتاج الإجابة الصحيحة بناءً على رد فعل أمي.

- إذا ما الإجابة هنا؟

أنظر إلى المثال كأنني أستوعبه بشكل كامل.

- ممم.. سبعة؟

- لا.

- خمسة؟

- كلا، فأنت استعرت عشرة من الصف الأعلى!

أصدر صوتًا يوهم استيعابي المسألة أخيرًا.

- أجل، تسعة؟

أخمن الرقم تسعة في العادة، لأنه الأصعب، تسعة أو سبعة، أما رقمي المفضل فهو ثمانية، لأنه مصنوع من حلقتين "8" وكتابته مسلية، كما أحب كتابة الرقم خمسة، أرى الأرقام مثل نقاط على زهر وأحب التفكير فيها بهذا الشكل، ربما لهذا السبب سبعة وتسعة هما الأصعب، فلا أراهما على الزهر مطلقًا.

- "چون".

- نعم.

أتظاهر باستيعاب كل شيء بحيث لا يبقى احتياج لمزيد من الشرح، لكني أشعر بضياعٍ تام، كأنني نائم بالداخل رغم أني مستيقظ، أشعر هكذا عندما يصيبني الملل أو الضيق، لكني أشعر به أيضًا عندما أفكر في شيء شيق، تطلق المعلمة على ذلك "أحلام اليقظة"، لكنه ليس هكذا دائمًا، أعرف كيف هي أحلام اليقظة، فأنا أفعل ذلك طوال الوقت، لكن الأمر يختلف أحيانًا، بحيث لا أفكر في شيء ولا أحلم بشيء.

أحاول التفكير لكني أفشل كأن الأفكار عالقة ولا تستجيب لي، كأنها جميعا محتجزة في غرفة واحدة، أو لعلي أحمق وهذا كل ما في الأمر.

يظنون أني لا أريد الفهم، لقد حاولت كثيرًا ولكني فشلت، العجز عن الكتابة أو الجمع ليس بأمر ممتع، فليس من الممتع أن تكون أحمق، وأنا لست

مُقصِّرًا، وجلوسي في الخارج محاولًا تعلم الطرح أو جلوسي مع أمي في الغرفة متظاهرًا بمطالعة الكتب ليس بأمر مسلٍ، سيكون التعلم أكثر يسرًا بحيث يتسنى لي الخروج واستكمال اللعب. أكره القيام بذلك مقدار كرهي لشرب بول الآخرين أو أكل سمك المصباح.

لن تحب معلمتي العمل بورشة، وقضاء يومها في إصلاح الأشياء، ولن يحب أبي البقاء في المنزل يغزل أو يضع مساحيق التجميل، إذا فلماذا علي القيام بما لا أهوى عمله؟ ناهيك عن عدم تمكني منه، أنا حقًا أعجز عن فهم ذلك! يردد الجميع أنه يتوجب علي التعلم.

- سوف تحتاج لهذا عندما تكبر.

أشك في ذلك، لن أحتاج جدول الضرب، وأشعر أن أهمية ذلك تماثل أهمية معرفة عدد خصلات الشعر لأنواع الكلاب المختلفة، أو خامات الملابس التي أرتديها، إنه كحفظ مجموعة من أرقام التليفون، لماذا لا توجد مدرسة بلا رياضيات ولا قواعد؟ مجرد لعب وقصص. عندما أكبر، هل سأكون مضطرًا للالتزام بالقواعد إذا لم تعجبني؟ لست شيئًا غير نفسي فهل هناك مكان لي؟ أعرف بعض القواعد وإن لم أكن أعرفها جميعًا، يمكنني التحدث أفضل من الجميع، أعرف الكثير، كما أنني مرح، أستطيع قول أشياء مسلية، وربما أقص القصص عندما أكبر، وتكون هذه مساهمتي.

أحب المشاركة في الأحداث لكني غريب بعض الشيء، لست مثل الآخرين، لا أتقن فعل شيء له قيمة.

ينتابني شعور سيئ حيال نفسي ولا أشعر بالرضا، شعور تمتلئ له عيني بالدمع بمجرد التفكير في الأمر، لذا لا أفكر فيه.

يمل الجميع مني عاجلًا أم آجلًا، ألحظ ذلك في نظراتهم، حيث تمتلئ عيونهم بالضجر. أمي تسأم مني، والمعلمات بالمدرسة، وحتى الأصدقاء يصيبهم السأم أحيانًا، لقد سئمت نفسي أكثر منهم جميعًا، فأنا لا أحب كوني هكذا، وكأني منسحق داخليًا ولا يمكنني التعامل مع ذلك، لا أعرف ماذا يتوجب علي فعله، لقد ضللت طريقي داخل نفسي ولا أجد مخرجًا.

هكذا أنا، لا أتظاهر، ولا أحاول أن أكون مزعجًا، لماذا سيصدقني أحدهم؟ إن لم أكن ظريفًا فسأكون مجرد غبيًا لا يرغب أحد في التواجد معه، سأصبح مثل "طرزان المطاطي"، وأنا أطمع في حب الآخرين، وأن يسير كل شيء على ما يرام.

نذهب إلى ورشة المدرسة مرة كل أسبوع، وهناك توجد كل أنواع الأدوات والماكينات.

أحب تعلم كل ما يتعلق بهذه الماكينات، وأحب صنع الأشياء، وأحب رائحة الأشجار، فهي تصدر رائحة جيدة عندما يتم قطعها.

أذهب كل صيف إلى معسكر، وهناك أبني لنفسي كوخًا، لكني أريد إتقان ذلك بصورة أفضل، بحيث أصنع لنفسي مبنى من طابقين، له باب يمكن غلقه، كما أريد تعلم كيفية بناء أشياء لألعابي المصغرة، ومنزل لـ"أكشن مان"، كذلك سيكون من الجيد تعلم كيفية بناء برج حمام مُزوَّد بشبكات، فأنا أرغب في الاحتفاظ بالحمام، لكني أجهل كيفية بناء ذلك وليس هناك من يساعدني،

حاولت من قبل لكن كلما بدأت في البناء ينهار كل شيء. هناك الكثير من الأمور التي لا يمكنني القيام بها، مثل تركيب المفصّلات، ودق المسامير في العصي الرفيعة دون كسرها، ووقف التسريب، وتمييز نوعية المسامير المناسبة لكل عمل. أريد تعلم الكثير من الأمور المتعلقة بالنجارة، إذا أتيح لي الاختيار فسوف أصنع رمحًا لامعًا ودرعًا، وخيمة هندي، لكن لا يتاح لنا اختيار ماذا نبني، ولا نتعلم شيئًا عن الماكينات وصناعة الأشياء، نحن في الواقع لا نصنع أي شيء، الأمر الوحيد الذي نقوم به هو نشر أخشاب على هيئة حيوانات، ويمكننا فقط الاختيار بين حصان وبقرة، لكن ما يزال الأمر مسليًا، لأننا نتمكن من استخدام المنشار، لكن المرح يدوم فترة قصيرة، فنحن نقضي معظم الوقت في صنفرة الحيوانات بورق الصنفرة، وهو عمل صعب ومزعج، حيث يتوجب عليك صنفرة الحواف جيدًا، بالورق السميك أولًا ثم بالورق الأرفع، ولا ترضى عنك المعلمة مطلقًا.

- لا، ما زال يحتاج لمزيد من الصنفرة.
- لقد انتهى.
- مممم.. تحتاج لمزيد من الصنفرة باستخدام الورق الناعم.

عندما ننتهي من الصنفرة نضع صبغة بنية اللون على الحيوان، ونصنع مسندًا له حتى يتمكن من الوقوف، وفي النهاية نحفر أسماءنا على القاعدة باستخدام آلة معينة، وهو فعل شيق، فاستخدام تلك الآلة ممتع لكن الصنفرة لا بُدّ وأن تنتهي في آخر الأمر.

لا أعرف ما يسمح لنا القيام به، ولا أتعلم سوى صنفرة ألواح الخشب، يستحيل أن أحتاج ذلك عندما أكبر، لن يهتم أحد ببقرة خشبية مدهونة باللون البني، فهي لا تصلح كهدية أو أداة زينة، كما لن تضع أمي شيئًا مثل هذا في غرفة المعيشة، ولا أريدها في غرفتي، ولن يمكنني إعطاءها لأحد، إنها لا تستحق حتى الإحراق، إنها عديمة القيمة تمامًا.

الأمر الوحيد الممتع حقًا في تلك المدرسة هو حصة الألعاب الرياضية، حينها نتمكن من ممارسة الألعاب المختلفة والتمرينات: تسلق الحبل، والقفز من فوق الحصان. لكن لعبة "طرزان" هي الأكثر إمتاعًا، حيث تتم مطاردتي ويتوجب علي عدم ملامسة الأرض.

معلم الألعاب هو لاعب كرة طائرة محترف بالفعل، يحاول تحبيبنا في عالم الكرة الطائرة بكل السبل، وقد نقيم مسابقات الكرة الطائرة أحيانا، لكنها رياضة لا تناسب إلا الفتيات، فلا يسمح فيها بضرب شيء عدا الكرة، لذا أجدها رياضة سخيفة وأعتقد أن معظم الصبيان يوافقونني الرأي.

يحدث بعض المرح في غرف تغيير الملابس بعد حصة الألعاب، حيث يذهب الصبية للاستحمام أولًا ثم الفتيات. نضرب بعضنا البعض بفوط التنشيف ونتبادل الكلمات النابية، ونمسك بأعضائنا ونسحبها للخلف ثم نضم أفخاذنا فنبدو مثل الفتيات.

هناك الكثير من المضايقات عقب اللعب، ويكون الأمر صعبًا بالنسبة للصبية ذوي الأجسام السمينة، فيتعرض "دوري" السمين لكثير من السخرية ويحاول الجميع ضربه.

- ممكن أقرصك يا "دوري".

- اتركني وشأني.

- أوه، أنت ناعم الملمس.

- توقف!

انتقل "دوري" إلى ضاحية "فوسفوجيور" حديثًا، ولما اعتبروه غريبًا أصبح بالتالي صديقًا لي، يطلقون عليه أحيانًا "الأزرق الصغير" لأن هناك كرتون عن فيل ما يدعى "الأزرق الصغير" يعرض في التليفزيون البريطاني.

لكن "دوري" فتى رائع، فعادة ما يكون وحده بالمنزل – مثلي – لأن والديه منفصلان، فأقضي كثيرًا من الوقت معه في منزله ونقوم بالمقالب التليفونية.

⧗

يخجل بعض الصبية من التعري، لذا يتعرضون لكثير من المضايقات، يخبئون أعضاءهم ويسرعون أثناء ذهابهم إلى غرفة الاستحمام ومغادرتها، وقد يلتقط أحدهم ملابسهم الداخلية ويلقيها في الماء، أو يخفي فوط التنشيف الخاصة بهم.

إن كان أحدهم مغفلًا حقًا فسيتعرض لخطر إلقاء ملابسه الداخلية في المرحاض أو إلقائها في غرفة التغيير الخاصة بالفتيات، وذلك أكثر شيئًا محرجًا على الإطلاق، خاصة إن كانت ملابسه الداخلية تحمل صورًا مخجلة، مثل رسومات طفولية، يتعرض "طرزان المطاطي" لذلك طوال الوقت، ويعاني من أن الجميع بلا استثناء يضايقونه، لذا أعتقد أنه لا يحب حصة الألعاب الرياضية.

عندما نستغرق وقتًا طويلًا في ارتداء ملابسنا تأتي مشرفة غرف التغيير وتأمرنا بالإسراع، كذلك تأتي من حين إلى الأخر للتأكد من أننا لا نتجسس على الفتيات في غرفة التغيير الخاصة بهن.

لا أضايق أحدًا مطلقًا، لكني أيضًا لا أتدخل عندما يتعرض أحدهم للمضايقة أمامي، فإذا تدخلت سأتعرض للمضايقة أنا أيضًا. يتعرض الجميع

للمضايقة في وقت ما، كل ما يتطلبه الأمر هو ارتداء بعض الملابس الغريبة أو استخدام فوطة تنشيف سخيفة الشكل.

نذهب يوم الجمعة إلى القاعة الكبيرة، وهناك نجلس على الأرض ويجعلنا المدير نغني. نغني "فليبارك الرب"، و"على ضفاف نهر أوكسارا"، وسائر تلك الأغنيات. أردد كلمات بلا معنى. أتناسى الكلمات وأحاول إفساد اللحن:

"يجري النهر في خطوط، ويأكل الأباطرة الأرز،

يقف بلا ظل، يتبرز في الحقول!

يتبرز على العلم، يتبول في الضوء،

المنيّ في "ثينجفيلر" والخراء في الحقول.

للأمام للأمام ولا تتبرزوا أبدًا.

للأمام، للأمام، الرجال والبقر سواء!

انضم لفرقة مضغ اللبان،

شبك يديك،

حارب الأصدقاء ودافع عن البلاد!".

إن بدا الأمر وكأنني أتعمد ذلك يأتي المعلم مسرعًا، ويضربني ويأخذني بعيدًا، لذا يفضل أن يكون التغيير قريبًا من الأصل، حينها لا يدرك الأمر سوى الجالسون بالقرب مني، فيضحكون وأصير مسليًا وخفيف الظل.

كل ما في المدرسة ممتع عدا التعلم.

■

ذهبت إلى متجر تعاوني، فيه كل ما يخطر على البال، كان معي بعض المال وأردت شراء شيئًا لأمي، لكن ما لدي من مال لم يكف لأكثر من بكرة خيط، مع ذلك أظنها ستسعد به، فلديها صندوق مليء بشتى أنواع الخيوط، تلتف جميعها حول بكرات، وليس لديها خيط مثل هذا، فهو في حقيبة ورقية صغيرة بيضاء. كنت أريد التخفيف عن أمي فهي مرهقة دائمًا.

كنت على وشك العودة من الريف حيثما قضيت الصيف بأكمله، وربما تشعر بالإرهاق لعدم بقائي هناك فترة أطول.

أشعر أنه تم إرسالي إلى البيت، لست متأكدًا، لكني أشعر بذلك، خاصة بعد ما فعلت.

يقع الحقل في قرية أعلى تل، يمر فيها نهر، ويواجه هذا الحقل حقلٌ آخر مهجور، ثم يليه جبل أسود كبير، يوجد سد قديم على النهر أمام الحقل، وأسفل الحقل يوجد حقل آخر تسكن به عائلة مختلفة، وتحيط بالمكان مرتفعات ومنخفضات كثيرة.

هذا هو "الغرب": قرب "بجاركالوندور" و"ريخولار"، لقد زرت تلك الأماكن أيضًا.

يقومون بتصنيع الطحالب، فلديهم ماكينات ضخمة تشبه الجرارات، يقودونها إلى البحر ويسحبون الطحالب. أما "بجاركالوندور" فهو فندق، ينزل فيه أبي صيفًا، لكنني لم أذهب إليه.

زوجة المزارع خالتي، وهي امرأة شديدة الحزم.

عندما ذهبت إلى الحقل أول مرة، سألتني إن كنت أعامل جدتي بطريقة سيئة وإن كنت أعرف أن ذلك أمر خطأ، كنت أعرف ذلك، لكني لا أسيء معاملتها، فأنا وجدتي أصدقاء، نلهو معًا وتفرح عندما ألعب بالقرب منها.

لدى المزارع وزوجته صبيين، يدعون "إنجفي" و"نجورور".

"إنجفي" في مثل عمري لكن "نجورور" مراهق، وهو عضو بنادي الشباب ويجيد ممارسة الرياضات، يمكنه القفز بمقدار طوله من دون حاجة للجري، يوجد العديد من أقراني هناك في الريف، والمنزل هناك يبدو تقليديًا لكن له رائحة غريبة؛ رائحة الحيوانات.

توجد أمام المنزل حديقة جميلة حيثما تقوم زوجة المزارع بزراعة الأزهار، وفي مقابلة المنزل، وعلى طول الحقل توجد مباني أخرى: حظيرة بقر، وبيت للخراف، وإسطبلات أخرى.

في الحقل فتاة تدعى "هيلجا"، في مثل عمري، إنها مرحة جدًا، ليست كسائر الفتيات، فهن عادة متزمتات، لكن "هيلجا" مثل الصبيان، أجد اللعب معها أمرًا مسليًا.

نلعب على الطريق بين الحقلين، يوجد هناك منزل صغير وبعض السياج.

يلعب الأطفال بطريقة مختلفة في الريف، ليس لديهم "أكشن مان"، بدلًا منه يلعبون بقرون الكبش وعظام الحيوانات، إذا وجدت قرنًا بلا علامة يمكنك أن تعلمه بقطع فيصبح ملكك، بالضبط كما يفعلون بالحملين، عندما يولد حمل يقومون بقطع جزء من أذنه ويضعون عليه علامة، هكذا يميز كل مزارع خرافه، يسمى ذلك "علامة الخروف"، يميز الأطفال قرونهم بعلامات الخراف الخاصة بهم، فالبعض يقطع قطعًا صغيرًا، وقد تكون العلامة حفرة أو تجويف.

العظام أيضًا كالحيوانات. فعظام الفك كالأبقار. وعظام الخراف كالخيول. يمكنك وضع خيط حول العظام وسحبها خلفك، من بين ساقيك. العظام الصغير كلابٌ وقطط.

أحب هذا النوع من اللعب ولا أجده سخيفًا، بإمكاني قضاء اليوم كله ألهو وألعب في الحقل، أصنع الطرق وأقوم بإصلاح السور، يُصنع السور من الأعمدة والأسلاك، ويحتاج صنع سور جميل لبعض المهارة.

يوجد نظام اقتصادي بسيط على المنحدر، حيث يتم التعامل بالمقايضة، بعض الأشياء أثمن من مثيلاتها، وتعتمد القيمة على العرض والطلب، فتكون الأشياء النادرة ثمينة ومهمة، بينما الأشياء المتوفرة لا قيمة لها.

العملة الرسمية للمنحدرات هي بذرة "الخرخاشة" الصغيرة، تسمى "زهرة المال"، لكنها في الغالب عديمة القيمة، لأن لدى الجميع الكثير منها، فهي تنمو بشكل عشوائي بين الحصى في القرية.

أتشارك الحقل مع "هيلجا"، فنحن ثنائي الحقل، يضايقنا الصبية ويدعوننا بالحبيبين لكننا لسنا كذلك، أغاظنا صبي مرة بإشاعة تقبيلي لـ"هيلجا" لكن ذلك غير صحيح، لا يمكنني تقبيلها، أفضل تناول كأس من بول البقر الدافئ عن تقبيل فتاة، لسنا سوى ثنائي حقل نحاول جعل حقلنا مميزًا.

لكننا نلعب مختلف الألعاب، نطارد بعضنا البعض ونلعب الاستغماية ونقوم باستخدام الكاوتشات الكبيرة وكأنها سيارات. نثبت عصاية بمسمار في منتصف الكاوتش، ثم نثبت بها عصاية أخرى تعمل كيد لقيادة الكاوتش، ثم نقوم بدفعها أمامنا فتجري مثل إطارات السيارات، ونتنافس على الوصول إلى حظيرة البقر، ونرى كم سنقطع من مسافة دون أن نعلق.

لست مجبرًا على العمل في الريف لكن عليّ مد يد العون، فمن واجبك المساعدة في أعمال المنزل. تستفزني المكنسة الكهربائية، وعادة ما يتم انتقادي بعد استخدامها، أحاول تنظيف المنزل باستخدامها على أتم وجه لكن زوجة المزارع تأتي وتشير إلى الأرض:

- إنه في كل مكان، لم يكتمل العمل بعد.
- لكني نظفت المكان كله.
- هل أنت كسول ولا تريد المحاولة؟

- كلا.

- إذا فأنت أعمى مثل الخفاش، انظر، إن الزغب والفتات يملأ الأرض.

تشير إلى كل البقاع، أحتاج للانحناء وتدقيق النظر لأرى الفتات.

كما أن علينا الاعتناء بالبقر، يتم إخراجه إلى الحقل بعد حلبه صباحًا، ثم يتوجب إدخاله مرة أخرى في الليل، نتبادل القيام بذلك، يجب استخدام السوط لقيادة البقر، وهو عبارة عن عصا بها رباط، لا حاجة لضرب البقر، فهو يسير في انسجام، لكن القيادة أمر مسلي، وهي مهمة حقيقية، أفضل بكثير من جمع برازه.

البقر لطيف، وهادىء دومًا، ويبدو كأنه يفكر في أمر مهم، وإن كنت أراهن أنه لا يفكر في شيء غير الحشائش، ولا يسند إلينا رعاية أي حيوانات أخرى.

تكون الخراف فوق الجبل صيفًا، فلا نراها كثيرًا، إلا إذا تسلل أحدها ناحية الحدائق، حينها نضطر إلى سوقه إلى الجبل.

للخراف رائحة كريهة كما أنها دائمة العبوس، وتجري بسرعة، تذكرني بالقطط الخجولة، التي تجري مبتعدة عندما ترى أحدهم، وكأنه سيؤذيها.

توجد الكثير من الكلاب في الحقل، يقوم المزارع بتزويجها ثم بيعها، ويتعامل معها بحزم ويقوم بتدريبها لحراسة الخراف، هناك طلب كبير على كلابه، وأفضل كلب لديه هو "سبوت"، كلب ذكي جدًا لدرجة فهمه أي أمر يصدر إليه، عند خروج الخراف إلى الحقل يخبره المزارع بما عليه فعله، يستمع بانتباه ثم يجري إلى هناك ويقوم بكل ما طلب منه بشكل سليم.

الزوجان في الحقل متدينان جدًا، يؤمنان بالمسيح، أما أنا فلا أؤمن به، وهما دائمًا ما يتلون الصلوات.

على الجميع تلاوة الصلوات في الصباح والمساء، كما يجب شكر النعمة قبل الأكل وغلق أعيننا وطأطأة الرؤوس عند الصلاة.

يحظر علينا ترديد الكلمات السيئة في الريف، وإن فعلنا نضطر لتنظيف أسناننا بالصابون، رددت بعض الكلمات عندما ذهبت إلى هناك أول مرة لكن سرعان ما توقفت، من الغريب تنظيف الأسنان بالصابون فذلك يترك مذاقًا كريهًا، عندما أعود إلى المنزل سوف أجعل الخالة "جونا" تنظف أسنانها بالصابون، لأنها تردد الكلمات السيئة طوال الوقت، فعندما تطلق ريحًا تقول:

- سحقًا لتلك الغازات اللعينة.

لدى ثنائي الحقل إيمان قوي بالله، لا أعرف شيئًا عن الله غير تلك الأمور التي أخبرتني بها جدتي، قالت إنه جيد جدًا وإنني إذا آمنت به وأحسنت صنعًا فسأذهب إلى الجنة بعد وفاتي.

يقول "أنطون": "إن لا حياة بعد الموت، فقط نتعفن في المقابر ونصبح طعامًا للديدان"، لا أعرف ما الحقيقة، إذا كان الله موجودًا فلم لا يظهر مطلقًا؟ مما هو خائف؟

لا أعرف الكثير من الصلوات، ذات مرة، تم جمعنا وجلسنا على ركبنا أمام صورة المسيح المعلقة فوق السرير الكبير، ثم بدأ المزارع في تلاوة الصلاة، وطلب

من الله أن يوقف المطر الكثيف حتى يتمكن من زراعة البذور، تحدث المزارع بغرابة واستخدم كلمات لم أسمعها من قبل، كأن الله صديقه.

- نجتمع أمامك اليوم يا مولاي، فنحن عاجزون أمام الطقس، تعلم ما تحمله صدورنا، أنت مولانا، وتعلم أهمية هذا الزرع لنا، لذا نسألك يا الله أن...

بدأت في الضحك، حاولت السيطرة ولكني فشلت، وجدت الأمر سخيفًا لكنهم تضايقوا وأجبروني على البقاء في غرفتي وحدي لقرون، ولم يسمح لي بحضور وقت الشاي.

نتناول في الريف طعامًا ظريفًا، عادة ما يكون طعام الصباح خبز وعصيدة، تناول الطعام هناك مختلف عن تناوله بالمنزل، كالمقلوبة، وهي زبادي "سكاير" الأيسلندي ممزوج بالعصيدة، ومذاقها ليس سيء، في وقت الشاي نحصل على فطائر "الكلاتر" المصنوعة من بقايا العصيدة، ولها مذاق جيد.

ما يزال هناك أشياء لا يسعني تناولها، مثل سمكة "المصباح"[1] واللحم الملح، كما أن لبن الطحالب مقزز، ولا أحبذ تناول حلوى اللبأ، لكنني أتناوله إن كان الاختيار الوحيد المُتاح على العشاء. لا يسمح لي بترك المائدة قبل إنهاء طعامي، من الجيد أنهم لا يقدمون الخيار مطلقًا.

---

[1] سمكة «المصباح المضيء» (Flashlight fish) تصدر ضوءاً أبيض من جيبين أسفل عينيها يساعدها على السباحة في المياه المرجانية أثناء الليل. ينتج هذا الضوء نوعًا من البكتيريا يعيش في هذين الجيبين، تُعرف باسم البكتيريا المضيئة.

في إحدى المرات كان العشاء عبارة عن أسماك المصباح، فتظاهرت بالمرض واضطررت لتناول الماء المحلى، إنه أسوأ مشروب على الإطلاق، محلى بطريقة مبالغ فيها حتى إنه يسبب الإعياء.

كما أجبرت على تناول سجق اللحم المملح ذات مرة، إنه أبشع طعام رأيته في حياتي، هو عبارة عن دهن، قمت بتقطيعه لقطع صغيرة حتى أتمكن من بلعه دون مضغ أو تذوق، وعندما أوشكت على الانتهاء تقيأت كل شيء تناولته.

تُرسَل الحلوى لنا من المنزل أحيانًا، لكنهم يأخذونها ويحتفظون بها في حجرة المؤن، تضع زوجة المزارع قطعًا صغيرة منها في صحن كبير، ويسمح لنا بتناول قطعة واحدة إذا أنهينا عشاءنا، ونمنح العلكة في العطلة الأسبوعية. سألت "إنجفي" ماذا يحدث للحلوى عندما نعود نحن الأطفال إلى المنزل.

- أتناولها في الكريسماس.

نستحم مرة في الأسبوع، لا يوجد ماء دافئ في الريف، فيتم تسخين الماء في مقلاة كبيرة ثم يصب في حوض الاستحمام.

يستحم كل اثنين معًا، واضعين القدم في القدم، يكون الماء قليلًا يكاد لا يصل إلى الأفخاذ، عند الاستحمام لأول مرة كان شريكي "إنجفي"، أدرت ظهري له ووضعت مؤخرتي في وجهه.

- هل تريد الشيكولاتة؟

أخرجوني من الحمام فورًا، وحبست في غرفتي.

- كنت أمزح!

- الوقاحة ليست مزاحًا، فلتجلس هنا وتفكر في الأمر وتسأل الله أن يغفر لك ويعلمك حسن التصرف.

لا أطلب شيئًا من الله، لقد طلبت منه مرارًا تغيير لون شعري كي لا أكون أصهب، أو جعله أفتح قليلًا، لكنه لم يفعل أي شيء، لا يستمع إليّ، أعتقد أنه ظريف تجاه الآخرين كلهم عداي، أعتقد أنه لا يسمعني على الإطلاق كما أعتقد أنه لا يكترث بأمر أمطار الريف.

عندما تغلق زوجة المزارع الباب، أردد اللعنات بصوت منخفض كي لا تسمعني.

- اللعنة.

عادة ما يتم حبسي في غرفة الخياطة، لا يوجد هناك سوى ماكينة خياطة كبيرة، وبعض البكرات، ومكاييل مختلفة.

أُجبِرنا جميعًا ذات مرة على الذهاب إلى الكنيسة لقداس ما، ألبستنا زوجة المزارع قمصانًا بنصف كم وياقات، عندما قمنا بارتداء المعاطف بدا الأمر وكأننا جميعا نرتدي معاطف جديدة.

كان القداس مملًا جدًا، يتوجب علينا الجلوس في ثبات، ذهبت إلى الكنيسة من قبل في جنازة، وكان الأمر مملًا، لكن هذا مختلف، تحدث رجل ما بصوت

مرتفع، وردد كلمات غريبة فشاركه الحاضرون ورددوا معه، ووقفوا يضمون أيديهم في الهواء.

- هالالويا.
- المجد للرب.
- فليتقدس اسمه.

بدأت السيدة الجالسة إلى جوارنا في النحيب، لم أر من قبل امرأة ناضجة تبكي عدا جدتي "آنا" لكنها كانت مختلة ومشوشة.

وجدت الأمر سخيفًا، كانت زوجة المزارع تجلس بجانبي تراقبني، إنها مثل معلمتي "سفانديس"، أردت قول شيئًا مضحكًا أو سخيفًا، لكن لم أجرؤ.

في النهاية ذهب "إنجفي" إلى الرجل، الذي قام بوضعه في حوض وبلله، كان أمرًا غريبًا، ثم جرى احتفال وعدنا إلى المنزل في الحقل.

سألت "إنجفي" فيما بعد عن غمسه في الماء، قال إن الرجل غمسه في الماء وأخبره أن يصعد عندما يرى حمام أبيض.

- هل رأيته؟
- لا، لكني قلت إني رأيته حتى لا أختنق تحت الماء.

■

هناك وادي إلى جوار الحقل حيث تلقى المخلفات وتحرق، وكذلك الأشياء القديمة، يحظر علينا الذهاب إلى هناك لكني أتسلل أحيانًا خلسة، فكومة المهملات مغرية، أقلب بين الأشياء وأتفحصها، تتصاعد الأدخنة باستمرار من البرميل الحديدي الكبير الذي تحرق فيه المهملات، جمعت بعض الزجاج والمواد الأخرى وصنعت بنفسي منزلًا وقلعة على الطرف البعيد من الوادي، ثم ذهبت إلى الطرف الآخر وقمت بغارة جوية مستخدمًا الصخور وكتل التراب الجافة التي تتبعثر عند الاصطدام، وأحيانًا أشعل النار.

توجد بين الأشياء نعجة ميتة، بها ثقب في أمعائها ويخرج منها الديدان، جمعت الديدان في علب من الصفيح ووضعتها في النار، تتعرض للغليان في الصفيح ثم تنقسم وتتبعثر.

ربما أصبحت مزعجًا وشعر الجميع بالسأم مني، لا أدري، لا أدرك الأمر إلى أن يغضب الآخرون، حينها أدرك أنني ارتكبت خطئًا ما، عندما يتضايق أحدهم أو يغضب، أشعر بثقل في قلبي.

هناك كومة من الإطارات وسط المهملات. إطارات سيارات وجرارات، آخذ الإطارات وأدحرجها على المنحدر حتى تقع في البحيرة.

أخذت الإطار الصغير أولًا ثم الأكبر.

كانت رؤيتها تتدحرج أمرًا شيقًا، كان المنحدر شديد الميل وطويلًا، والإطارات تجري وتقفز بسرعة كبيرة، ثم تجري مسافة فوق البحيرة فيتدفق الماء في كل اتجاه.

ثم أخذت إطارات الجرارات، كانت الأصعب على الإطلاق لكنها الأمتع.

غضب المزارع بشدة حتى ظننت أنه سوف يضربني، فارتبكت وبكيت أمام الجميع.

لم أتعمد تدمير شيء، كنت ألعب، كما كنت أنوي مساعدته لاسترداد الإطارات، فلو كنت أنوي تدميرها لقمت بحرقها قبل إلقائها في الماء.

بعد أيام قليلة أخبروني أن علي العودة إلى المنزل، كم كان ذلك سخيفًا!

⧗

وصلنا أخيرا إلى "ريكيافيك"، لقد تغيرت كثيرًا منذ أن رحلت، لها لون جديد، والرائحة غريبة وغامضة، توجد منازل لم ألحظها من قبل. أعتقد أني غبت طويلًا، ربما لأعوام.

وجدت أبي في انتظاري بمحطة الأتوبيسات، معه سيارة جديدة اشتراها ماركة "مازدا".

قال بجفاف:

- مرحبًا.

- هاي.

أشعر بالخجل أمامه، أشعر أني لن أكون مستعدًا لمقابلته قبل أعوام، كما أنه غاضب بشدة.

- تحدث الأيسلاندية، لا تقل "هاي".

أدلف إلى السيارة، لها رائحة جديدة، ما زالت الأغلفة البلاستيكية تغطي المقاعد، لا ينزعها أبي بل يتركها تتآكل شيئًا فشيئًا.

النوافذ الخلفية مستديرة.

نجلس في صمت، فأداعب البلاستيك بأصابعي وأتطلع من النافذة، عندما نصل إلى حيِّنا يستمر شعوري بالتغير الكبير في كل شيء، وكأنني لم آت هنا من قبل، بل رأيت صورًا للمنازل فقط، أو كأني سافرت إلى خارج البلد.

كل شيء جديد، رحلت في الربيع والآن هو فصل الخريف، أصبح الشجر أطول ولم تعد رؤية الأوراق ممكنة، ظهرت حديقة جديدة، وتحولت التربة التي كانت متجمدة إلى أحواض من الزهور. توجد عمدان وعلامات مرور جديدة.

الوقت يمر هنا حتى أثناء غيابي، وهذا غريب.

في المنزل، أشعر كأني ضيف غير مألوف، أشعر أن علي الجلوس في غرفة المعيشة، وطلب الإذن قبل الحصول على شيء من الثلاجة أو الذهاب إلى الحمام، أنا غريب عن هنا.

لم تكن أمي غاضبة مني لكنها ليست سعيدة أيضًا، تبتسم ابتسامة خفيفة وتقبلني.

- مرحبًا بعودتك يا بني.

أُقدِّم الهدية لأمي، لكنها لا تسعدها كما توقعت، ربما كان علي شراء نوع مختلف من الخيوط، أو لون آخر.

تبدو حجرتي مختلفة، كانت نظيفة، والأشياء مرتبة.

جلست فوق السرير.

كنت أجد صعوبة في التنفس.

▲

قالت "رونا" الثائرة وهي تحمل صندوق أحذية في يدها:

- ماذا فعلت لعرائسي؟

تمتمت:

- لا شيء.

- اللعنة، أنت لا تطاق.

- ماذا؟

أعلم عما تتحدث، فلقد اختفت عرائسها.

تسأل أمي:

- ماذا يحدث؟

- كان يعبث بأشيائي، وأخذ عرائسي، فأتيت خصيصًا لأخذها.

يكسو وجه أمي تعبير يائس، يحدث هذا عندما تمل تمامًا من أفعالي.

- عليكِ الحفاظ على أشيائكِ فهو يعبث بكل شيء.

تواجهني "رونا":

- ألا يمكنك الابتعاد عن أشيائي؟

- أجل، بالطبع.

- لم عليك العبث بها دائمًا؟

- لا أعرف.

- يا لك من أبله!

لا أتعمد التدمير، لكن تفحص الأشياء أمر ممتع، ولقد تركت "رونا" العديد من الأشياء الشيقة خلفها، يتم تخزينها في خزانة، عندما أكون وحدي بالمنزل أقوم باستكشاف المكان، أحاول معرفة من هم هؤلاء الأشخاص؟ من أين أتوا؟ كيف يعيشون؟ من هم أشقائي؟ لدي شقيق لا أعرف عنه شيئًا، يدعى "عمر". ولـ"ستيبي" شقيق أكبر يسكن معه في المنزل نفسه، ولـ"جومي" شقيق يأتي لزيارته أحيانًا، يعمل كوكيل للعملاء، ولـ"أنطون" شقيقين.

لا أعرف "أنطون" جيدًا، ألعب معه فقط لأنه وحيد دائمًا، وليس لديه من يشاركه اللعب، أعتقد أنه يعتبرني مزعجًا وغبيًا، يشاركني اللعب فقط لأنه لا يعرف كيف يعتذر مني، كما أنه يحتاج لأحد يشاركه، يكبرني "أنطون" في العمر، لو لم نكن نقطن بالحي ذاته لما تحدثنا على الأغلب.

"أنطون" غريب الأطوار، لا يشبه الآخرين، لكنه مثلهم، يرتدي بنطلونات من قماش التريلين، ولديه مرض جلدي، يدعى "إكزمنينين"، لا يمكنني نطق أسمه، أحيانًا يسألني "أنطون" عن اسم مرضه.

- "إكزمنينين"؟

- ماذا قلت؟

- "إكزمنينين"؟

يجد عدم مقدرتي على نطقه أمرًا غريبًا.

تضايقه الفتيات بمناداته "طوني تريلين"، ويثير هذا غضبه فيجري إلى منزله.

- هل سيعود "طوني تريلين" إلى أمه؟

يصحن بينما يجري.

لكنه ذكي جدًا، ويعرف الكثير، أصاب بالحيرة حين أستمع إليه، أخبرني ذات مرة أن العام رقم ٢٠٠٠ سيأتي في أحد الأيام، وجدت ذلك مذهلًا، فأنا لا أعرف في أي عام نحن.

يظن "أنطون" أني أحمق، لم يقل ذلك صراحة، لكني أعرف ذلك. يمكنني الاستنتاج من الطريقة التي يتطلع بها إلي، كما أن والده لا يطيقني، وهو لا يحب الأطفال عمومًا، لكنه لا يتحملني أنا على وجه التحديد.

ذهبت مرة للبحث عن "أنطون"، واستقبلني والده.

- هل "أنطون" بالمنزل؟

- وما شأنك؟

قال ذلك، ثم أغلق الباب.

والدة "أنطون" قصيرة وسمينة، وهي بالتأكيد أكبر عمرًا من أمي، أما والده فنحيف طويل القامة، يصاحب "أنطون" أمه أغلب الأوقات حتى إنه يسير

معها إلى المحلات، أحيانًا تمسك يده فيتوقف الأطفال عن اللعب ويضحكون، هناك ما يثير السخرية في رؤيتهما معًا.

- هل يسير "طوني تريلين" مع صديقه القزم؟

تصبح أحمقًا في نظر الجميع حين تسير مع والدتك في الخارج، أفضل شرب زجاجة من البول وتناول الحشرات النافقة عن الذهاب مع أمي إلى المحل.

لا يسمح لي عادة بزيارة "أنطون"، فكل شيء في غرفته يبدو جميلًا حتى إنه يخشى لمسي لأي شيء، كما تملأ منزله رائحة غريبة. عندما أذهب للسؤال عنه لا يسمح لي بدخول غرفة المعيشة، بل نخرج للعب في الخارج.

رغم ذلك أعرف أشقاءه أكثر من معرفتي بأشقائي.

لدي شقيقة تدعى "كريستين"، تعيش بالنرويج، لا أعرف كيف تبدو، عندما تتصل يحدثها أبي بصوت مرتفع لدرجة مزعجة، يسألها عن الطقس في مدينة "تروندهايم"، ويخبرها عن الطقس في أيسلندا، عندما تحدثها أمي تسألها عن الجميع، وكيف تسير الأمور، لا يهتم أبي بذلك، ما يهمه هو طقس "تروندهايم"، وأن يعرف الجميع هناك كيف هو الطقس هنا، إذا كان لدينا زوار يخبرهم أبي عن ذلك بحماسة، وكأن الجميع ينتظر معرفة أخبار الطقس.

- كان الطقس باردًا في "تروندهايم" الأسبوع الماضي.

يجد أبي النرويج أكثر البلاد تميزًا في العالم، إذا زارنا أحدهم وكان عائدًا من الخارج ويحاول إخبارنا عن رحلته، يعلق أبي بأمر أو آخر عن النرويج ثم يأخذ في إخبارهم عن رحلته إلى هناك، لا يتميز بلد آخر بهذا الطقس اللطيف والأبنية الجذابة والمناظر الطبيعية الخلابة، يحاول الزوار الحديث عن بلاد مختلفة لكن أبي يحول مجرى الحديث إلى النرويج، ويرى أن سفر المرء إلى بلد غير النرويج مضيعة للوقت، ولا يوقر هؤلاء الذين يسافرون إلى الدنمارك.

تسأل أمي:

- هل قضيت وقتًا طيبًا؟

- أجل، قضيت وقتًا عظيمًا.

فيسأل أبي:

- وما المميز هناك؟ كيف كان الطقس؟

- لم تنخفض درجة الحرارة عن العشرين قط.

فيرد أبي:

- لقد وصلت الحرارة خمسة وعشرين بالأمس في مدينة "تروندهايم".

تعلق أمي مازحة:

- هل قابلت الملكة؟

فيتدخل أبي:

- لن تصبح "كوبنهاجن" دافئة مثل "أوسلو" أبدًا.

ثم يسأل أمي:

- كم كانت الحرارة عندما كنا هناك؟

تجيب أمي:

- لا أذكر.

وتضيف بفظاظة:

- ذهبنا في جولة إلى قلعة "كرونبورج"، كانت خلابة.

فيعلق أبي بصوت مرتفع:

- لكن هل ذهبت إلى الكاتدرائية في مدينة "تروندهايم"؟

- كلا.

عندها يهز أبي رأسه في يأس. لديه اقتناع أن تلك الكاتدرائية هي أكثر المباني جاذبية في العالم، لا تملك أهرامات مصر ولا برج إيفل الفرنسي نصف جمال كاتدرائية "تروندهايم"، فمن لم يزرها لم ير شيئًا.

يبدأ في الحكي عن رحلته إلى النرويج، فتتنهد أمي، لقد سمعنا جميعًا تلك القصة مرات عديدة. يصمت الزوار ويبتسمون بحرج.

●

أفتشُ بين متعلقات جدتي "آنا"، فلا أجد دليلًا على وجودها سوى بعض الصور لامرأة عجوز سمينة ذات شعر أبيض وأشعث، إلى أن وجدتُ شريطًا بين أشياء "رونا"، كان تسجيلًا لحفل تظهر فيه "رونا" وصديقاتها سكارى، يستمعن إلى الموسيقى ويتحدثن، لا يمكن سماع حديثهن، حتى تقول إحدى الفتيات فجأة بصوتٍ مرتفع:

- هل أنتِ وحيدة دائمًا؟

تتساءل سيدة عجوز مريضة:

- ماذا؟

تكرر الفتاة السؤال بصوتٍ أكثر ارتفاعًا:

- هل أنتِ وحيدة دائمًا؟

فتجيب العجوز بحزن:

- أجل.

- هل يسيء الجميع معاملتك؟

توافقها العجوز.

- ولا تحصلين على الطعام مطلقًا؟

- أجل.

تضحك الفتيات.

العجوز التي يضايقنها هي جدتي "آنا"، لا أفهم سبب إحضار "رونا" لها إلى حفل.

تدل أشياء جدتي على أنها كانت في حالة صحية سيئة للغاية، هناك العديد من الخراطيم الطبية، والحقن، وبقايا الأدوية، أخذ إحدى الحقن، وأستخدمها كرشاش مياه أو مطفأة حريق لـ"أكشن مان".

◉

أبحث عن معلومات عن هؤلاء الأشخاص، وأجدها بين مقتنياتهم. أنقب بين الأشياء وأتفحص خزانتهم، أتأمل الصور وأقرأ التلغرافات، لا يخبرني أحد بأي معلومات، وإذا سألت أمي، تصاب فجأة بفقدان ذاكرة.

- كيف التقيتِ بأبي؟
- كان ذلك منذ زمن بعيد، لا أتذكر الآن.
- أين كان أول منزل لنا؟
- أخبرتك بهذا من قبل.
- أين كان؟
- في منطقة "سكيبهولت".
- وأين ذلك؟
- أووووه، كف عن إزعاجي.

كأن الماضي اختفى بين الضباب، لا يريد أحد تذكره، إذا سألت أبي يجيب بكلماتٍ لا معنى لها، وفقًا لحالته المزاجية حينها، أحيانا يتحدث إليّ وكأنني معاق، أو كما نخاطب الأطفال الصغار، لم أعد طفلًا رضيعًا، أحيانًا يتحدث عن شيء غير الذي سألته عنه، عادةً ما يكون أمر سمعته من قبل.

في بعض الأحيان يمسك بيدي بقوة، ويداعب جبيني باليد الأخرى بينما يقُصَ عليّ قصةً مملة عن الأيام الخوالي، وكيف كان الجميع فقراء في صغره، وكيف كانوا يشعرون بالبرد، وخاصة هو.

يُعيد على مسامعي القصص نفسها مرارًا وتكرارًا، كلها قصص حزينة وعلى الأغلب عاطفية، تتعلق إحدى القصص بكيفية قتله الحشرات الطائرة على النافذة مع أخيه، ثم عثورهما على عصفور ميت، مما أثار بكاءهما، ينظر بعمق في عيني كأن القصة تحمل رسالة عميقة عن الحياة.

يخبرني بتلك القصة كثيرًا، لكنني لا أفهم الهدف منها، مجرد قصة سخيفة، فقتل الحشرات أمرٌ مقبول.

أحاولُ إخفاء يدي خلف ظهري حتى لا يتمكن من الوصول إليها، فأنا أتضايق عندما يمسكها بقوة، إنه تصرف مزعج ولئيم، يضغط على يدي حتى تؤلمني، أبدو كآلة موسيقية يحاول أن يعزف عليها أغنية حزينة وبائسة.

أسوأ شيء هو اضطراري لطلب المال من أبي، حين أرغب في شراء شيء ما أو الذهاب إلى السينما، أحاول طلب المال من أمي بدلًا منه.

- أمي، هل بإمكاني الحصول على بعض المال للذهاب إلى السينما؟
- اسأل والدك.

لا تحمل أمي المال مطلقًا.

تؤلمني معدتي ويجف حلقي حين أطلب المال من أبي، يمر الأمر بسلام أحيانًا ويقوم بإعطائي المال، عندما يكون في حالة جيدة، لكن إن كان في حالة مزاجية سيئة، فالأمر ليس هينًا، عندما أقترب منه يمد ذراعه نحوي، فأعطيه يدي، يمسك بها ويبتسم، أشعر أنه يعلم أني سأطلب المال فأحاول إيجاد سبب آخر لذهابي إليه، ربما يريد مني إخباره بحبي له ومثل هذا الهراء، لا يجب قول مثل هذه الأشياء للأهل، وإن كان هناك بعض الصغار الذين يفعلون ذلك ويحصلون على حلوى في المقابل.

ربما يريد مني طلب سماع إحدى قصصه القديمة، وكأن علي فعل شيء لأجله، وإلا سيملّ مني.

إنها تمثيلية من صنعه، حيث الأب معطاء وحزين بينما الابن سيئ وناكر للجميل.

- هل تود إجراء محادثة مع والدك؟

- أجل.

- أخبرني عن أمر شيق.

- هل يمكنني الحصول على المال للذهاب إلى السينما؟

يصاب بالإحباط، لم يكن يتوقع ذلك، يبدو الأمر وكأنني صفعته على وجهه بخرقة مبللة، ينزعج ويتضايق.

يتنهد أولًا.

أصمت وأنظر في الأرض، وأتوقع ما سيحدث.

- دار العرض؟ ألم أعطك المال لذلك مؤخرًا؟

يقول "دار العرض" بدلًا من "السينما"، يزعجني ذلك لكني لا أُعلِّق حتى لا تطول المحادثة عن وقتها الضروري، ولا أريد أن أتحدث إليه أكثر من ذلك.

- إنه فيلم مختلف.

يتنهد مجددًا ويخفض بصره في حيرة، ينتابني شعور أن رحلتي إلى السينما سوف تنتهي قبل أن تبدأ، أذهب إلى هناك مرة شهريًا.

بعد فترة من الصمت المتبادل، يستجمع قواه لإخراج محفظته.

- كم من المال تحتاج لذلك؟

يبدو صوته حزينًا، لقد جرحته.

أخبره بالتكلفة فيخرج المال ويضعه في يدي، ثم يضم أيدينا معًا ويبتسم ابتسامة واهنة.

لقد جرحته ولكن ليس بالقدر الكافي لتدميره، ما زال معطاء وينفذ لي طلبي رغم أنانيتي وقبحي.

نقف هكذا لدقيقة، لا يترك يدي بل يضغطها من جديد، يطبق شيئًا ما على صدري ولا يمكنني التنفس، تؤلمني أمعائي، أشعر بالإعياء، كالمُجبر على تناول طعام يكرهه، أريد الصراخ، وأن أطلب منه التوقف عن هذا الأذى، لكنني أتمالك نفسي.

- أحتاج لتكلفة الأتوبيس كذلك.

تلمع عيناه بالدموع، يحرك رأسه في دهشة وإحباط.

- كم؟

تتغير نبرة صوته، كمن يتحدث إلى شخص لا يعرفه، شخص أحمق ومزعج، من المؤكد أنه يخاطب المجرمين هكذا في عمله، الطريقة التي بوجه بها سؤاله تبدو وكأن بعض المجرمون يطلبون منه الفدية لتسليم شخص عزيز عليه، وهو يدرك أنه لن يستطيع سداد تلك الفدية.

أتفوه بالتكلفة في خجل، لقد تسببت في جرحه بشكل قوي، يعطيني المال ولا يمسك بيدي، ويملأ الحزن عيناه.

أهمس:

- شكرًا.
أحاولُ أن أبدو ودودًا.
يرفع كتفيه في استهجان.

أصاب بالحيرة عندما أرى أبي في مثل تلك الحالة، وكأنما أحزانه، وكل مشاكله، وما يواجهه في العمل، يتجمع وينصب عليّ.

أقرر عدم طلب المال من أجل الحلوى، فهي رفاهية يمكن الاستغناء عنها في مثل هذه الحالة.

أحيانًا يبدو وكأنه أدرك كم أنا مثير للملل والإحباط بعد تلك المواقف، لكن الحال ليس هكذا دائمًا، أحيانًا يمد إليّ ذراعيه، ويحتضنني ويهمس في أذني بشيء لا أتبينه، عهد ما عليّ قطعه أو الموافقة عليه، كأن أعمل جاهدًا، أو ألا أنفق المال كله في الحال.

أناضلُ للتحرر من بين ذراعيه، يتركني ببطء، ويهمس ويُتمتم بأمور ويداعب جبيني، أبتسم بأدب، وأهز رأسي وأنا أعده بكل شيء وأي شيء.

لكني لا أتمكن في الأغلب إلا من جرحه وإحباطه، أتركه وحيدًا مصابًا بالسأم، بينما أذهب إلى السينما لأستمتع مع أصدقائي.

لا أدري ماذا يريد مني، أعتقد أنه يشعر بالسوء حيال العمل ولا يجد من يتحدث معه، ربما يريد مني احتضانه، أو يود لو أصبح مثل "أنطون"، هادئٌ ومطيع، وأرتدي بنطلون من "التريلين"، وأن أذهب معه إلى أماكن مختلفة مثلما يرافق "أنطون" أمه.

أعرف أبي، لكني لا أعرف من يكون، ولا يعرفني جيدًا هو الآخر، نادرًا ما يكون على طبيعته معي، أتعاطف معه قليلًا فيما يتعلق بعلاقتي به، أعتقد أنه يشعر أحيانًا أني لا أستحق الاهتمام، لا يمدح أفعالي مطلقًا ويقلل من شأني عندما لا يسمعه أحد، عندما يشعر بالحزن يبدو كأنما يريدني أن أحزن أيضًا.

يسألني أحيانًا عما أفعل، وعندما أبدأ في الحديث يتوقف عن الاستماع إليّ، ويستمع إلى الراديو، أو أي شيء آخر، بينما أتحدث، يصيبني هذا بالكآبة، وأعتقد أن ذلك ما يريده.

يجده الآخرون رائعًا، يخبرني الجميع كم هو شيق، أو مجتهد في عمله، وكم أنا محظوظ لكوني ابنه، هم لا يرون حاله في المنزل، ربما يتبدل بمجرد وصوله إلى المنزل، يبدو أنه سعيد ومرح خارج المنزل، ويصبح مثيرًا بين الغرباء الذين لا يعرفهم.

يأتي أحيانًا ليصطحبني في طريق العودة من ملعب كرة القدم في موعد العشاء، وأحاول أن أجري إليه حتى لا يقابله أصدقائي.

يطلق عليها "كرة الركل" بدلًا من "كرة القدم"، ويسمي الكرة "المثانة" أو "جلد الخنزير".

- أهذه مثانتك يا "چون"؟

يجده أصدقائي مضحكًا ومسليًا، لكني لا أريد منه تسليتهم، بل تسليتي.

أتفحص ملابس عائلتي، وأقرأ التلغرافات التي يرسلونها، وتلك التي يتسلمونها، تركت "كريستن" العديد من الأسطوانات في حافظات بلاستيكية، أستمع إلى أسطوانة "فروكين فراكين" للمغني "سفين إنجفارس" من حين إلى آخر، أحاول تخيل شقيقتي بينما أستمع، لا أعرف عنها الكثير، أما شقيقي "عمر" فلم يترك شيئًا، كأنما ابتلعته الأرض، لا أتذكره على الإطلاق، هو كالكتاب المغلق بالنسبة لي، عندما يأتي للزيارة أحييه بشكلٍ رسمي وأُعرِّفه بنفسي، أعرف "رونا" أكثر من الجميع، فهي شقيقتي الحقيقية الوحيدة، يمكنني على الأقل التعرف عليها عند رؤيتها صدفة في الطريق.

لكن الأكثر أهمية بالنسبة لي هو معرفة أبي وأمي، هؤلاء الأغراب الذين يعيشون معي، ولا يتفوهون بما يكشف عن هوياتهم، من هو أبي؟ كيف يشعر؟ بماذا تفكر أمي خلال الوقت الطويل الذي تقضيه في المطبخ؟ متى قابل أبي أمي؟ ولم تزوجا؟ كيف تسير أمورهما؟ وكيف يشعران حيالي؟

أُنقِّب في الخزانات، وأقرأ الخطابات، وأتشمم الملابس، وأتأمل الصور، وأحاول إيجاد حل للغز وجودي.

△

تسألني "رونا":

- أين عرائسي

- لست أنا من أخذهم.

- بل أنت.

- كلا، إنه "أكشن مان".

تضحك "رونا"، فتسأل أمي من المطبخ:

- ماذا حدث؟

- هذا الصبي مختل، يقول إن "أكشن مان" أخذ عرائسي.

- دعيه وشأنه.

أجد أحيانًا بعض الأشياء بينما ألعب مع "أكشن مان"، وهو صديقي، ولعبتي المفضلة، لدي "لون رانجر" أيضًا لكنه ليس مميزًا مثل "أكشن مان"، وهو راعي بقر أيضًا، كنت لأفضل اختيار "تونتو"، فهو هندي أحمر.

يقوم "لون رانجر" بالمهام الخطرة، كثيرًا ما يقع في مشاكل ويحتاج "أكشن مان" لإنقاذه.

قمت بصناعة باراشوت من البلاستيك وسمحت لـ"لون رانجر" باختباره، قمت بإلقائه من فوق سطح المنزل، لكن كلتا ساقيه تعرضتا للكسر.

تحول "أكشن مان" إلى طبيب، وأخذ "لون رانجر" إلى المنزل وأصلح ساقيه مستخدمًا الشريط اللاصق.

لا أعرض "أكشن مان" للخطر أبدًا بل أحسن الاعتناء به.

كان معي عندما وجدت العرائس، اثنتين من العرائس، لإحداهن شعر أشقر طويل وللثانية شعر داكن قصير، قمت بأخذ العرائس إلى الخارج، لم أتعمد إفساد شيء، لكن ذلك حدث دون قصد، قررتُ التظاهر أن بعض الأشرار قاموا باختطاف العروستين، وقيدوهن بالقرب من النار، ربطت العروستين برباط من الأعلى ثم أشعلت النار، كان على "أكشن مان" القيام بعملية الإنقاذ. ولكن بينما أعدّه لذلك، اشتد اللهب وأحرق العروستين.

أقمتُ جنازة وحفرتُ قبرًا وقمتُ بالدفن، ثم وضعتُ صليبًا بجوار القبر، لم يحضر الجنازة سوى "أكشن مان" و"لون رانجر".

لا يمكنني إخبار "رونا" بما حدث، وإلا ستغضب، كنت لأغضب أنا أيضًا إن قام أحدهم بأخذ "أكشن مان" وتدميره.

أخرج من المنزل أثناء وجود أمي و"رونا" في المطبخ.

بدأ الربيع، واختفى الجليد وأشرقت الشمس لكن مازال هناك هواء بارد، أذهب إلى منزل صديقي "ستيبي"، إنه رفيقي في النادي الهندي، تتكون القبيلة من "ستيبي" ومني فقط، لا يُسمَح للآخرين بالانضمام للنادي الهندي.

حين نكبر سوف ننتقل إلى "أريزونا" ونعيش مثل الهنود الحُمر الحقيقيين، يملك "ستيبي" رداءً هنديًا، صممته له أمه، وإن كان لا يستطيع ارتداءه الآن حيث أصبح ضيقًا عليه.

أطرق الباب فتفتح والدته.

- هل "استيفان" موجود؟

أتوخى الحذر حتى لا أدعوه "ستيبي"، إن فعلت ذلك تنكر أمه وجود أحد بذلك الاسم في المنزل، فهي تريد منا مناداته بــ"استيفان".

- هل ترتدي سروالك التحتي؟
- أجل.

أرفع بنطلوني لترى، والدة "ستيبي" امرأة جيدة، إنها صارمة لكنها حسنة النية، لا تريد لي أن أصاب بالبرد، العديد من أولياء الأمور لا يريدون لأبنائهم اللعب معي، ويمنعونهم من ذلك بشكل مباشر.

أسأل أيًا منهم:

- هل تريد اللعب؟

فيقول:

- كلا، لا يمكنني اللعب معك.

- لم لا؟

- منعتني أمي من اللعب معك.

أو ربما يستخدم الأطفال ذلك العذر لأنهم لا يريدون اللعب معي، يمنع معظم أولياء الأمور أبناءهم من اللعب معي من وقت لآخر، عدا والدة "ستيبي"، وهي الوحيدة التي تستطيع قراءة خط أبي.

أعود أحيانًا إلى المنزل فأجد ملاحظة على الترابيزة كتبها أبي، ولا أتمكن من قراءة خطه، ولا أحد من المارة في الطريق يستطيع، وحدها والدة "ستيبي" تتمكن من ذلك.

لا أقوم بالمقالب ضدها مطلقًا، لم ألق البيض على باب منزلها، ولم أضع خرطوم مياه في شباكها، ولم أدس طائرًا ميتًا في صندوق بريدها أو فضلات القطط في حذائها أو جيب معطفها.

لكني دمرت مقطورتها عندما كنت صغيرًا، لم أقصد ذلك لكني كسرت كل الأضواء والنوافذ، لا أعرف السبب وراء ذلك، أحيانا أقوم بأمور دون إدراك سبب قيامي بها، أقوم بها ولا أدري ما أفعل حتى يتم الأمر.

يأتي "ستيبي" إلى الباب.

- هل تريد اللعب؟
- أي نوع من اللعب؟
- في مكان ما بالخارج.

نمشي في القرية كأننا من الهنود الحمر، و"ستيبي" هندي مشاغب، رغم أنه يجبن أحيانًا، هربنا من المنزل في إحدى المرات وكان يفترض أن ننام في إحدى كهوف الإسكيمو، كان بإمكاننا البقاء هناك طالما هناك جليد، لكن "ستيبي" اشتاق لمنزله، وعندما تعاركنا حول الأمر، بدأ في البكاء، فأخذته إلى منزله. وفي مرة أخرى قررنا الذهاب في مغامرة، ووضعنا زبدة الفول السوداني على الخبز والعصير في الزجاجات، ارتدى "ستيبي" زيه الهندي وارتديت عصابة الرأس الهندية الخاصة بي، وأخذنا السكاكين الهندية، كان من المقرر أن نبقى بالخارج طوال اليوم ونحاول الوصول إلى مكان لم يصل إليه أحد من قبل، لكن "ستيبي" بلل بنطلونه في منتصف الطريق واضطررنا للعودة.

- هل نشعل النار في أحد الأشياء؟
- هل لديك كبريت؟

أعرض عليه علبة الكبريت، كانت ممتلئة.

- يا للروعة.

عندما نذهب إلى القرية نختبئ في الخندق، لا يدع الهنود أحدًا يراهم وهم يتسللون، نسلك الخندق داخل القرية، ونحاول من وقت لآخر إشعال النار لكن الحشائش تكون قصيرة فتخمد النار سريعًا، نمر بمدرسة "فوس فوجس" في طريقنا إلى الغابة، ولا يرانا أحد.

في الطريق نرى نعجة ميتة، قد غرقت في الخندق، أنغزها بالعصا في ظهرها ثم أرفع رأسها من ماء المستنقع الحالك، إنه منظر مقزز؛ ليس لها عينين، ثم نكمل طريقنا.

أمام الغابة كومة كبيرة من الحشائش الذابلة، نختبئ خلف الأشجار ونشعل نارًا، فلا تنطفئ سريعًا بل تنتشر وتكبر، يصعد الدخان الأبيض إلى السماء، نشعل النار ثم نبتعد لنختبئ في مكان ما وننتظر لنرى إن كان بعض الكبار سوف يأتون، عندما لا يأتي أحد نشعل نارًا في مكان آخر.

لا يلزم النار وقتًا طويلًا حتى تغطي مساحة واسعة، يملأ الدخان المنطقة، ننظر أنا و"ستيبي" إلى بعضنا البعض، تملؤنا الحماسة والقلق، نعلم أنه يحظر علينا إشعال النيران، لكن ذلك أمر شيق وليس خطيرًا، لا أعرف شخصًا مات بسبب حرق بعض الحشائش، فهم يشعلون النار في بلدة "فوسفوجر" كل ربيع، دائمًا ما يتم حظر الأشياء التي يستمتع بها الأطفال، كما يرى الكبار الأمور أكثر خطورة مما هي عليه.

يسألني "ستيبي":

- ألا يتوجب علينا التوقف الآن؟

- انتظر.

أجمع بعض الحشائش الذابلة وأشعل فيها النار، وأجري حول المكان مشعلًا النار أينما أمكنني، فيبدو التوتر على "ستيبي".

- كن حذرًا.

يصيب الدخان عينيّ وتصعب عليّ الرؤية، أصبحت الحرارة غير مُحتملة، ولا يمكنني التنفس، النار حولي في كل مكان، أشعرُ بلسعةٍ في ساقي وعندما أنظر أجد بنطلوني مشتعلًا، أخمد النار بيدي، تركت النار علامةً على ساقي، لكن خوفي أكبر من الألم، ما الذي فعلته؟

- "چونسي"؟

أعجز عن التفكير، وأجري جهة الصوت، الدخان كثيف، ولا أرى شيئًا، لا أرى "ستيبي" حتى أصطدم به.

- مذهل!

- هل أنت مجنون؟

يرتعش صوته خوفًا، ونأخذ في الجري، ومن خلفنا النار تملأ المكان مثل المحيط، مثل حائط كبير يريد عبور القرية ويدفع الدخان أمامه.

نجري إلى الغابة ونلقي بأنفسنا خلف شجرةٍ ضخمة، أتفحص بنطلوني، يوجد ثقب كبير بسبب الحريق، بحجم كف يدي، كما أن جلد ساقي منتفخ وملتهب.

- هل أُصبتَ بأذى؟

- أجل.

لا أشعر بالألم بل مجرد وخز، فالهنود الحُمر لا يشعرون بالألم، يمكنهم الجري بساقٍ مكسورة، وتصويب السهام بذراعين مكسورتين، وإن قمت

بتعذيبهم لا يعترفون مهما كان حجم الألم، أتظاهر بأني في حالةٍ جيدة حتى وإن لم تكن تلك الحقيقة.

- نظرت إلى ساقي فوجدت النار تشتعل فيها.
- لقد تسببت في حرق شعرك كذلك.

لا أصدقه، يشير إلى رأسي فأتحسسها، توجد آثار حروق، سوف تغضب أمي، تملأ الدموع عيناي عندما أفكر في الأمر، سوف تعرف أمي أنني من أشعل النيران في المكان، وسوف تصفعني بشدة، فجأة تتحول أفكاري عن الشجاعة إلى خوف يصيبني بالشلل، لا يوجد هندي أحمر قوي كفاية لمواجهة أمه، لا أحتمل الأمر وأبدأ في البكاء.

نتسلل لنهرب من الغابة، وننظر حولنا جيدًا قبل أن نقفز من فوق السياج، نحاول السير على الرصيف بطريقةٍ تقليدية حتى نصل إلى المنزل، لن يشتبه بنا أحد فنحن لا نبدو كمن يشعلون النيران بل نبدو كولدين جيدين عائدين من زيارة جدتهما، أتظاهر بالذهول عند رؤية الدخان، ونتطلع وكأننا نتعجب من قيام أحدهم بمثل هذا التصرف الطائش.

فجأة نسمع سيارة مسرعة وصوت "سارينة"، تمر سيارتا إطفاء حريق بأقصى سرعة بينما تضيء أضواء الإنذار الخاصة بهما، وتلحق بهما سيارة إسعاف، نسرع خلفهم، لا نريد أن يفوتنا هذا، بعد دقائق تصل الشرطة، يتجمد الدم في عروقي، سوف يتم القبض علينا، وسنذهب إلى السجن، أريد الهرب والاختباء في إحدى الساحات القريبة لكني أعجز عن الحركة، ترتعش شفتي

السفلى وأعجز عن السيطرة عليها، إنني مُغطى بأدلة الجريمة، أنا حقًا مُتلبس، أستعد للاعتراف والتعهد بعدم تكرار ذلك كي يتركوني لكن الشرطة لا تلتفت إلينا، يواصلون السير بأقصى سرعة.

- علينا العودة إلى المنزل.
- تمهل.
- "چونسي".
- أريد المشاهدة، هيا بنا.

نقترب من السيارات، يا له من مشهدٍ مثير، تعم الفوضى المكان، ويرتدي ضباط الشرطة ورجال إطفاء الحريق ملابس من المطاط الأصفر ويجرون في كل مكان، النيران ضخمة بشكلٍ مُبهر، مما يشعرني بالفخر، يستخدم رجال الإطفاء خرطومًا قويًا، لا يلاحظنا ولا يمنعنا أحد، فوق إحدى سيارات الإطفاء يوجد صندوق به مكابس خاصة، يستخدمها الرجال لإطفاء الحشائش المشتعلة، أقررُ شيئًا، ومن دون مقدمات ألتقط أحد المكابس وأدخل إلى ساحة المعركة، أحاول إطفاء النيران بكل عزم، يومئ أحد أبطال الإطفاء برأسه راضيًا عني، أوجه أحد الرجال حاملي الخراطيم إلى مصدر آخر للنيران.

- هناك.

يوجهون الخرطوم إليه، أجري دون خوف وأحارب النيران، أشير إليهم أن الوضع جيد، فيوجهون الماء في اتجاه آخر، يشاهدني "ستيبي" بعينين يملأهما الإعجاب، أنا بطل، لا أخشى النار رغم أني كدت ألقى حتفي محترقًا، سوف أصبح

رجل إطفاء حين أكبر، سوف أنقذ الناس وأذهب إلى المدارس لأعلم الأطفال عدم اللعب بالنار، أعاون رجال الأطفال حتى نتمكن من إخماد الحريق.

مع الوقت يتجمع الناس للمشاهدة لكن لا أحد يجرؤ على الإشتراك في الإطفاء، يصيبني البلل بالكامل ويغطيني الرماد الأسود، ثم أعود إلى "ستيبي".

- حسنًا، لقد انتهينا الآن.

أعلنها بفخر.

أشعر بيد ثقيلة على كتفي، أصاب بالذعر عندما أنظر لأجد ضابط شرطة قوي وخلفه آخر أضخم منه، أظن أن أحدهم رآنا نشعل النار ووشى بنا، أحاول التظاهر بالدهشة والبراءة.

- مرحبًا يا أطفال.

أشعر بدقات قلبي تتسارع، سوف أرتدي السوار الحديدي، أحاول تأليف بعض القصص الوهمية عن يومنا في ذهني، إن رآنا أحدهم في القرية فسأقول إننا ذهبنا لرؤية الخنازير من أجل مشروع دراسي، سيجعلنا ذلك نبدو كطفلين ملتزمين مهتمين بالدراسة، وهذا النوع من الأطفال لا يشعل النيران.

إن اتضح أن أحدًا لم يرنا فسندعي أننا كنا في طريقنا لزيارة صبي معاق، شقيق أحد زملائنا بالفصل، وفي هذه الحال سنظهر بمظهر الصالحين الأخيار.

لكن لم يكن هناك داع لاختلاق الأعذار.

- كنتما خير عون يا أولاد.

هذا ما قاله الشرطي.

تنفست الصعداء، لم يشك أحد فينا، وأصبحنا أبطالًا، جاء رجال الإطفاء لتحيتنا، وربت أحدهم على رأسي بمودة.

- ليت كل الصبية يحسنون التصرف.

- هل رأيتما من أشعل الحريق؟

كنت جاهزًا بالإجابة، إنه ردي المعتاد في مثل تلك المواقف، ذلك ما أقوله للكبار عندما يشكون أني أتلفت شيئًا ما، وعادة ما يجدي هذا الرد، فهو مقنع تمامًا.

- كان أحد المراهقين، رأيته يجري مبتعدًا.

من السهل لوم المراهقين لأن الكبار يرونهم عديمي النفع، كما أنهم مزعجون، هذا ما يعتقده الجميع.

أومأ الشرطي برأسه، لقد اقتنع تمامًا.

يسأله مصور يتبع إحدى الجرائد:

- هل يمكنني التقاط صورة لك مع الصبية؟

- ابتسامة خفيفة لو سمحتم.

نقف مع الضباط ورجال الإطفاء، ويلتقط المصور صورة لنا.

- ممتاز.

بعد عددٍ لا نهائي من جمل الشكر والمديح، يأخذنا الضباط إلى المنزل، يرافقني أحدهم حتى نطرق الباب.

يتجمد وجه أمي عندما تراني.

- ماذا فعلت؟

- ساعدت بعض رجال الإطفاء في إطفاء حريق صغير.

يدعم الضابط حديثي، ويخبر أمي كم هي محظوظة بصبي مجتهد وهمام مثلي، كما يقص عليها كيف ساعدتهم في إطفاء الحريق.

أعلق:

- لقد بدأه أحد المراهقين.

أرى أن أمي لم تقتنع تمامًا، فهي عادة لا تصدقني كأن بإمكانها استشعار كذبي، لكن قصتي ليست زائفة تمامًا، لقد ساعدت في إخماد الحريق بالفعل.

أستحم، وتنظف أمي شعري وتزيل الأجزاء المحترقة من دون أن يتفوه أحدنا بكلمة، قررت ألا تسألني عن شيء، تعرف أنه من الأفضل معرفة القليل، لكني أدرك أنها تعرف أني المتسبب في الحريق، أحاول قول أي شيء لكني لا أنجح.

في الصباح التالي، نجد صورة لي ولـ"ستيبي" في الصفحة الأخيرة من جريدة "الأخبار اليومية" تحت عنوان "حريق هائل في منطقة "فوس فوجيور""، يقول المقال إن وحدة الإطفاء نجحت بالكاد في إنقاذ الغابة من التدمير التام، وإن الأشجار التي تمت زراعتها حديثًا تعرضت لتدمير شديد، كذلك تعرضت المنازل المجاورة لخطر حقيقي، فتم إخلاء معظمها لتأمينها واحتاج أحد السكان للذهاب إلى المستشفى بسبب الاختناق، وفي أسفل صورة لي مع "ستيبي" يوجد تعليق.

"قام صبيان بمساعدة رجال الإطفاء في إخماد الحريق".

لم أحاول إظهار الصورة أمام أمي.

"يبدو منطويًا على نفسه، وتطوره الاجتماعي متأخر مقارنة بعمره، يبدو عاجزًا عن التفكير في نتائج أفعاله، محاولاته لتنظيم أفكاره واستيعاب عالمه ضعيفة ولا تجدي، إضافة إلى المسؤولية الواقعة على البيئة المحيطة، فإني أشك بدرجةٍ كبيرة في وجود تلف ما في عقله".

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٧/٣/٧)

⧗

أتسلل عبر الردهة ولا يشعر بي أحد، أفتح خزانة المطبخ برفق وألتقط بكرة خيط الطعام، تستخدم أمي هذا الخيط لتثبيت السجق، أقطع جزءًا ثم أعيد البكرة إلى مكانها.

أتسلل عائدًا، وأضع حذاء أمي على جانبي الممر، أسند الأحذية على الحائط بحيث يكون الكعب جهة الخارج، وأربط الخيط بينهما بثبات، ثم أعود إلى المطبخ وأختبئ أسفل الترابيزة.

يمر بعض الوقت قبل أن تظهر جدتي "جورون"، ترتدي روب حمام، كما ترتدي بنطلونًا سميك وحذاء على جورب رجالي أسود كجورب أبي.

من المضحك رؤية سيدة عجوز مثلها ترتدي جورب أبي.

جدتي "جورون" كفيفة، تفتح عيناها وتعمل بشكل طبيعي لكنها لا ترى شيئًا، لا ترفع قدمها عندما تسير مثلما يفعل الناس بل تجرهما على الأرض، تلمس الأرض بباطن قدمها برفق لتختبر ما أمامها.

جاءت تمشي في الممر مُستخدمةً يداها لمعرفة الطريق، جاهدتُ لكتم ضحكتي، ثم مرت قدمها على الخيط الذي علق بها، ولم تدرك الأمر على الفور فوقع الحذاء وأخذت تسحبه خلفها، قبل أن تنحني وتتفحص الأمر.

- ما هذا؟

أنفجر ضاحكًا، فهو منظر مضحك، وتبتسم جدتي.

- أهذا أنت يا "چون" الصغير؟

تحرر قدماها من الخيط وتتجه إلى الحمام.

جدتي عجوز، عمرها أكثر من 90 عامًا، ولدت عام ألف وسبعمائة وشيء ما، تملأ التجاعيد وجهها ولها شعر أبيض، تسكن معنا في الحجرة المجاورة لحجرتي.

ترعاني جدتي عندما تذهب أمي إلى عملها، تجلس في غرفتها تحيك وتستمع إلى الراديو طوال اليوم، ولا تشغل ذهنها بي، فلا تخرج من غرفتها إلا لاحتساء القهوة.

عندما تركت "رونا" المنزل أخذت جدتي غرفتها، لـ"رونا" حبيب تسكن معه، يدعى "جريتار"، وهو صلب البنية، ويحب الاستماع إلى فرقة "رولنج ستونز" الغنائية، يجمع الصبية بالحي على أنه أقوى شاب يعرفونه، لكنه مسلي أكثر من شقيق "أنطون" وشقيق "جومي" رغم أن شقيق "جومي" يملك سيارة رباعية الدفع من طراز "لادا سبورت".

لا يحتاج "جريتار" إلى سيارة رباعية الدفع فلديه شعر طويل، وهو مرح ويحب التحدث معي.

لقد تقيأ على أبي، كان ذلك في إحدى المرات بعد ذهابهما للرقص، حين اضطر أبي إلى الذهاب لاصطحاب "رونا" و"جريتار" إلى المنزل حيث لم يتمكنا من القيادة بعد أن أسرفا في الشرب.

عندما وصلوا إلى المنزل مال "جريتار" نحو أبي ليشكره لكنه تقيأ على كتفه بدلًا من ذلك، لم يقل أبي سوى:

- تصبح على خير.

ودخل المنزل مغطى بالقيء.

ضحك "رونا" و"جريتار" كثيرًا، وكنت لأضحك أيضًا إن رأيت ذلك، لن أجرؤ مطلقًا على التقيؤ على أبي.

تحاول "رونا" أن تصبح أمًا.

●

تعاني جدتي من ارتفاع في ضغط العين، وتوجد سحابة على عينها، لكن ما زال بإمكانها التمييز بين الليل والنهار، في وجود إضاءة قوية ترى الأشخاص كظلال، تسمع بشكل جيد، ودائمًا ما تظن أن أحدًا معي رغم أني دائمًا ما أكون وحيدًا.

ألعب وحدي ولكني أتحدث نيابة عن "أكشن مان" والجنود الصغيرة.

تستطيع جدتي القيام بمعظم ما يقوم به الأشخاص الطبيعيون معتمدة على أناملها وذراعيها بدلًا من عينيها؛ ترتدي ملابسها، وتميز بين الملابس باللمس.

يوجد على التليفون قرص إضافي به أرقام أكبر حجمًا حتى تتمكن من إجراء مكالمات هاتفية.

أستمتع بمضايقة جدتي، فهي لا تغضب أبدًا، حتى عندما خدعتها وجعلتها تستنشق أمونيا الخبز مثلما فعلت "رونا" بي، كذلك أختبئ أحيانًا في خزانتها وأفاجئها عندما تمر بالقرب مني، قبضتها قوية مقارنة بعمرها، لا بُدّ أنها العجوز الأقوى في "أيسلاندا".

أحاول الإمساك برقبتها لكنها تمسك يدي.

- هل تظن أنك سوف تتمكن مني؟

أضحك وأجري بعيدًا.

يوجد شريط لاصق من الجهتين، وضعته مرة أسفل حذائها، وعندما بدأت في السير ظل الحذاء يلتصق بالأرض فاضطرت لرفع قدميها، لا أعرف أيهما كان مثيرًا للضحك أكثر، التعبير الذي رأيته على وجهها، أم الصوت الذي كان يصدره الحذاء في أثناء السير، لكنني ضحكت كثيرًا.

تترك أمي قهوة في الترمس صباحًا من أجل جدتي، وتضع جدتي إصبعها في الفنجان بينما تصب القهوة لتعرف مدى امتلاء الكوب، ثم تضع إصبعها مجددًا بينما تصب الحليب لتتأكد من الحصول على الكم الذي تريد.

وضعت ذات مرة مسحوق التنظيف في الفنجان، وعندما تذوقت القهوة بصقتها على الفور.

- هناك مشكلة ما في هذه القهوة يا "چون"، هل قمت بأمر ما؟

ضحكت ولم تغضب، فنحن نلهو معًا، جدتي مسلية، تعطيني الحلوى وأحيانًا بعض المال.

عندما يكون معي المال أذهب إلى الكشك وأشترى لبان أو زجاجة مشروب غازي، توجد رسوم كرتونية داخل اللبان، عن صبي يدعى "جو المدفعجي"، لا

أستوعب الرسوم لكني أجد أن جمع الحلقات أمر مسلي، كما أجمع كروت كرة القدم رغم عدم اهتمامي بها، فلها رائحة طيبة.

لا أدري من هو الأفضل بين لاعبي الكرة، لا أعرف إلا أن "كيفن كيجان" لاعب ماهر.

ما تزال صورتي المفضلة هي التي يظهر فيها ذلك اللاعب جالسًا على الأرض مُبتسمًا بينما تتدلى كرته من فتحة الشورت، ضحكت كثيرًا عندما رأيت تلك الصورة أول مرة.

ترسلني أمي إلى المتجر أحيانًا لشراء السجائر، وتسمح لي بشراء شيء لي بالباقي، في إحدى المرات كانت هناك خمسون قرشًا متبقية فاتصلت بأمي للاستئذان في إنفاقها بالكامل، وبالفعل وافقت، لكن المكالمة كلفتني الخمسين قرشًا، أتصرف بحمق أحيانًا.

أحب قضاء الوقت مع جدتي، عادة ما أقضي اليوم في المدرسة أو في الخارج للعب، لكني أقضي المساء مع جدتي خاصة عندما يذهب أبي وأمي لممارسة إحدى ألعاب الورق، تُقبِّلني جدتي وتشاركني ترديد الصلوات قبل النوم، وترسم الصليب على صدري، مما يبث الطمأنينة في نفسي.

■

لا تخرج جدتي من المنزل، أقصى ما تفعله هو الجلوس في البلكونة عندما يكون الطقس معتدلًا، أذكر خروج جدتي خارج البيت مرة واحدة فقط، حين كنا نبني الجراچ، كنت ألعب هناك، وقررت أن أجري وأقفز فوق السطح، عدت خطوة للوراء فوقعت من أعلى سطح الجراچ، وسقط على الأسفلت وجرحت رأسي، من الجيد أني تمكنت من إدارة جسدي في الهواء حتى أستند على ذراعي، فلو سقط على ظهري لأصيبت جمجمتي بشرخ حاد.

لم أجرؤ على الحركة في البداية، كنت أظن أني كسرت بعض عظامي، كما كانت الصدمة تسيطر عليّ.

التف حولي الأطفال وكذلك بعض الكبار الذين شهدوا الواقعة، وشكلوا دائرة حولي.

لم يكن الأمر سيئًا، كل ما في الأمر أني أصبت رأسي، وجبهتي، كما تجلط جلد كفي، لكني لم أستمتع بالاستلقاء أرضًا واهتمام الجميع بي ورؤية قلقهم عليّ، اقترح البعض الاتصال بسيارة إسعاف، كما قال أحدهم إن عليّ الثبات على وضعي.

ثم أتت جدتي، جري أحدهم إلى منزلي ليخبر أهلي عما حدث، وكان أبي وأمي في العمل.

كان تجاهل الجميع لي فجأة وتحديقهم فيها أمر مريب، وساد صمت قاتل، لم يكن أحد يدري من تكون، كانت ضئيلة بشعر أبيض أشعث، ترتدي نعلًا عفا عليه الزمن، وكأنما أتت من الماضي في آلة زمن وتصادف أن هبطت في منطقة "فوس فوجر".

ضاعف كونها كفيفة الأمر غرابة، كانت تسير مُترددة تتحسس خطاها، سيظن من لا يدري بحال عينها أنها مشتتة، عجوز ضائعة، لو لم تكن كفيفة لرأتني محاطًا بكل هؤلاء الناس.

مشت في اتجاهنا. وعندما كادت تدهسنا، التفتت ونظرت في الاتجاه المعاكس، وكأنها تتأمل الحديقة، ولم ينطق أحد.

- "چون"، هل كل شيء على ما يرام يا عزيزي؟

كان من المضحك أني نسيت أمر الجرح في رأسي، وضرورة الحفاظ على وضعيتي، كما نسيت صدمتي، ووقفت وذهبت إليها.

- أنا هنا يا جدتي.

- هل أنت بخير؟

- أجل، مجرد جرح في رأسي ليس أكثر.

- هذا جيد يا عزيزي.

تأبطت ذراعي وعدنا إلى المنزل، ثم هاتفنا أبي الذي جاء واصطحبني إلى غرفة الطوارئ.

عندما لا أجد من يلعب معي، ولا أريد اللعب بمفردي، أذهب إلى غرفة جدتي وأتحدث إليها، تخبرني بقصصٍ مسلية عن الماضي، حينما كانت جدتي صغيرة كان الناس يسكنون في مساكن من الطين، لم يكن هناك راديو أو تليفزيون، أو سيارات، ولم يكن هناك كهرباء، كان الجميع فقراء، يعملون طوال الوقت، كان الناس يموتون باستمرار لعدم وجود أطباء لرعايتهم، كان الأطفال يموتون بكثرة، وكانوا أحيانًا يطلقون على طفلين الاسم نفسه تيمنًا بشخص ما حتى ينجو الاسم في حال توفي أحد الطفلين، كان سيكون الوضع مماثلًا لو كان اسم شقيقي "چون" بدلا من "عمر"، ذلك الاسم الذي ورثته عن جدي.

في طفولتها أيضًا كان الجميع يعاني من القمل، يجلسون مساءً للثرثرة والتقاط القمل.

كانت جدتي وأصدقاؤها يتنافسون في جمع القمل من رؤوس النائمين، ليرون أيهم حصل على أكبر عدد.

أصبت بالقمل مرة، كان القمل حينها منتشرًا في مدرستنا بسبب العديد من الحشرات التي أتت من مدينة "بلسيوجروف" الأيرلندية، تم إرسال خطابات إلى جميع المنازل، اضطرت أمي لغسلي بنوع خاص من الصابون الطارد للقمل، لكن في الماضي لم يكن لديهم مثل هذا الصابون، لم يكن لديهم أي نوع من

الصابون، كانوا يغسلون شعورهم بـ"كيتو"، وهو عبارة عن بول قديم، لا أظن أحدًا يقوم بذلك الآن.

كذلك تعرف جدتي قصصًا خيالية، وتقصّها عليّ أحيانًا، هناك قصة البقرة "بوكيولو"، وقصة الأشقاء الحمقى "چيسلي" و"إريكيو" و"هيجلي"، للأشخاص أسماء غريبة في القصص الخيالية، كما يوجد بها جن وأقزام.

لقد رأت جدتي الجن، كما رأت قزم ذات مرة فوق الجبل في حقلهم، تظهر الأقزام ليلًا فقط، فعندما تمسهم أشعة الشمس يتحولون إلى حجر، ولذا يختبئون في جحورهم بالنهار.

كانت جدتي تشاهد الخرفان حينما رأت جنية تقف إلى جوار صخرة، وعندما اقتربت جدتي منها وجدتها تقوم بترتيب ملابس طفل رضيع، لكن الجنية لاحظت وجود جدتي فجمعت الملابس في عجالة وسارت نحو الصخور ثم اختفت.

- هل كان هناك باب بين الصخور؟
- كلا.
- لماذا دخلت داخل الصخرة؟
- يعيش الجن في الصخور، ويتسلقونها كما يريدون.
- يا للعجب!

لم أر أقزامًا أو جنًا، كما لم أر أشباحًا، حاولت التلصص على الجن في صخرة القزم الكبيرة في طريق "ألفهولسفيجور"، استلقيت هناك لساعات منتظرًا لكني لم أر شيئًا.

تقول جدتي:

- لا يريدون لأحد أن يراهم.

- لماذا؟

- لأنهم يخافون من البشر.

أتفهم ذلك، فسوف يجبرهم البشر على القيام بأمور لا يريدون القيام بها، مثل الذهاب إلى المدرسة، لو كنت جنيًا أو قزمًا لحرصت على عدم جذب الانتباه كي أحيا في سلام.

لا تهتم جدتي بعيدٍ أو يومٍ مُميز في العام.

- ألا تشتاقين إلى عيد ميلادك القادم؟

- كلا.

- لم لا؟

- لقد حصلت على العديد من أعياد الميلاد.

- ماذا عن الكريسماس؟

- كلا.

تضحك وكأن انتظار الكريسماس بشوقٍ أمر أحمق.

- ألا تحبين الحصول على الهدايا؟

- كلا.

تبتسم.

أمر مذهل، فأنا أنتظر عيد ميلادي دائمًا لكني أكثر تحمسًا للكريسماس، حتى إنني لا أنام لعدة ليال قبله من فرط حماستي.

أستيقظ مبكرًا في الكريسماس، ويمر الوقت ببطء كأن اليوم لن ينتهي أبدًا، يستغرق هذا اليوم عدة أيام، عندما أنظر إلى الساعة أراها تشير إلى الثانية، أنتظر إلى أن أشعر بمرور عدة ساعات ثم أنظر مجددًا فأجدها تشير إلى الثانية والثلث فقط.

- لا بُدّ أن هناك ما تتطلعين إليه يا جدتي؟

- الموت.

- لم؟

- أتطلع إلى مقابلة منقذي.

تتحدث جدتي أحيانًا عن أشياء مملة، وتكرر المواضيع وكأنها لم تخبرني بها من قبل، لكنها القصص نفسها، كلها قصص عن أشخاصٍ ماتوا، إنها قصص مؤثرة، تسبب الحزن لجدتي عندما تحكيها، فتصبح مثل أبي.

لا أحب قصة "موت مولي". أجدها مزعجة للغاية، وهي قصة امرأة ظلت مريضة لوقت طويل، وعانت الكثير قبل موتها.

- شوَّه الألم وجهها... وجلس ابنها الصغير بجانب فراشها وأمسكت بيده.

لا أهتم بالاستماع إلى تلك القصة الغبية.

- كان صدرها يتحرك بعنف وكأن كل نفس هو نفسها الأخير.

أذهب لإحضار بعض مكعبات الكاكاو، لا تأكلها جدتي لأنها تظن أن لها مذاق سيء، وهكذا هو رأيها عن الكوكاكولا أيضًا.

- بفففف، إنها مجرد طين وسكر.

لم تشاهد جدتي التليفزيون قط، فلم يظهر الاختراع إلا بعد إصابتها بالعمى.

مسكينة جدتي.

هناك مصباح غريب على الترابيزة، تدور الظلال عندما تشعله ويمكنك رؤية أنواع كثيرة من المناظر الطبيعية، إنه يشبه الأفلام، ومكتوب عليه "مايوركا" من الجنب.

ذهب "جومي" إلى "مايوركا" من قبل مع والديه، وعندما عاد كانت هناك طبقة من اللون على جلده، كان الأمر ملفت لأنه أشقر.

أحببت مشاهدة صوره في "مايوركا"، كان لديه ألبوم كامل، ترى فيه الشاطئ، وحديقة الحيوان، وكل شيء، يظهر في إحدى الصور ممسكًا ببغبغان ضخم، يشبه "كي كي" من "سلسلة المغامرات" لـ"إينيد بلايتون"، يا له من أمر شيق! كما رأيت في غرفته ملصقًا كبيرًا يحمل صورته ومطبوعًا عليه كلمة "مطلوب للعدالة" ومكتوب أسفل الصورة "جائزة مادية 50.000$"، لكن كل هذا ليس حقيقيًا.

سافرت للخارج مرة واحدة، ذهبت مع أبي وأمي إلى الدنمارك والنرويج، وهناك ذهبت إلى حدائق "تيفولي"، وحديقة الحيوان، لكن لا توجد صور لذلك.

لا أظهر في كثير من الصور بالمنزل، هناك صورة لي مع أبي وأمي لكن وجهي غير واضح، فقد كنت أقرأ "مجلة ميكي"، وتوجد صورة لي أثناء طفولتي مُعلَّقة في غرفة التليفزيون، كما توجد أخرى لجدتي "آنا" وهي تحملني، لم أجد لها العديد من الصور كذلك، لا يلتقط أبي وأمي صورًا لي، والصورة الوحيدة الجيدة التقطها "جومي" بالكاميرا الخاصة به في عيد ميلادي.

ذهبت في الدنمارك إلى مركز رعاية الأطفال مع بعض الغرباء، كان ذلك مسليًا، حيث كنا نتجول في الغابات ونصطاد الضفادع، كما ذهبت إلى النرويج مع والدي لزيارة شقيقتي "كريستين".

أود امتلاك ألبوم مليء بصوري، أتفحصه وأتذكر كل أوقاتي الجميلة، يمكنني عرضه على الأصدقاء وإخبارهم بقصص تلك الصور.

تحمل الكثير من الأشياء في منزل "جومي" اسم "مايوركا"، مثل منافض السجائر والأطباق على الحوائط، ويوجد ثور أسود ضخم له قرون كتب عليه اسم "توريس" في غرفة المعيشة، فوق رف مرتفع، لقد اشتراه والداه من "مايوركا".

عندما عاد "جومي" من "مايوركا" منحني ملاحة وسلاح قرصان صغير، يمكنه إطلاق طلقة واحدة في كل مرة لكن طلقاته رائعة.

"جومي" صديقي، يحسن معاملتي دائمًا، ولا يتشاجر معي أو يسخر مني عندما أقوم بأشياءٍ حمقاء، كما أن والداه يُحسنان معاملتي كذلك.

أدعوه إلى عيد ميلادي وعادةً ما يدعوني إلى عيد ميلاده أيضًا، كانت زيارتي الأولى لمنزله في يوم عيد ميلاده، كان قد انتقل إلى الحي للتو، لم أجد من ألعب

معه يومها وعرفت أن صبيًا قد انتقل إلى هذا المنزل فذهبت للسؤال عنه، وفتحت أمه الباب.

- هل يوجد صبي هنا؟

أدخلتني أمه، فوجدت حفل عيد الميلاد وحصلت على الحلوى والعصير، ثم أصبحنا أصدقاء.

أمارس بعض الخدع أحيانًا، فأنا أحب مضايقة الأشخاص المزعجين، أضايق هذا الرجل الذي يسكن إلى جوار "جومي"، فهو دائمًا ما يزعجنا نحن الأطفال، عندما تقع الكرة في حديقته يأخذها ولا نتمكن من استردادها، وخسرنا بسببه العديد من الكرات.

لذا قمت بالتبول في كرة ذات ثقب، ثم تناولت كرة أخرى وأخذت أسددها إلى أحد حوائط منزله، كنت أعلم أن هذا الصوت سوف يستفزه، ثم قمت بإلقاء الكرة المليئة بالبول في حديقته، وخرج على الفور.

- هل يمكنني الحصول على كرتي؟

- كلا لن تستعيد كرتك أبدًا.

- أنت مزعج ورائحتك كريهة.

عندما أمسك الرجل بالكرة انطلق البول وأغرقه بالكامل، فضحكت وهربت مسرعًا، كما ألقيت قنابل نفاذة الرائحة على حديقته عدة مرات.

أتلذذ كذلك بمضايقة "بوش فريوجون" الذي يسكن معنا في الحي نفسه، وهو ليس بمزعج بل عادة ما يتصرف بلطف تجاه الأطفال، كل ما يفعله هو

التنظيف أمام منزله، وينظف أحيانًا الرصيف، حتى إنه قام بتنظيف الطريق عدة مرات، يريد كل شيء نظيفًا، لذا من المسلي مضايقته، قمت بإلقاء الرمل على الرصيف المواجه لمنزله والطين على بابه، كما سرقنا أنا و"ستيبي" البيض من مطبخ أمي، وألقيناه على بابه ونوافذه.

أدق أجراس المنازل أحيانًا ثم أجري وأختبئ، أو أضع كرات الثلج في أنابيب العادم، ولا ضرر من ذلك، فكل الصبية يفعلونه.

لكن تأتي بعض أفعالي مفاجئة، فهناك أشياء لا أخطط لها ولا أعرف لما أقوم بها، تحدث هذه الأشياء دون قصد، كنت ألعب – مثلًا – بسياراتي المصنوعة من علب الكبريت في القبو، وكان هناك إطار نافذة يستند إلى الحائط، ينوي أبي تركيبه بغرفة المعيشة، ودخلت إحدى سياراتي خلف الزجاج ولم أتمكن من استعادتها، فأخذت زجاجة فارغة وكسرت الإطار، لم أقصد تدميره، لم أتعمد ذلك، يومها غضب أبي بشدة وصفعني.

كثيرًا ما أثير غضب الناس، وأكون أحيانًا على علمٍ بالسبب، لكن كثيرًا ما أجهله، عادة ما يعجزون عن إدراك أن ما فعلته لم يكن مقصودًا.

نزور في كل ليلة رأس سنة جديدة خالتي وزوجها، وهما يسكنان في مبنى سكني في حي "بريثهولت"، نتناول الطعام معهما ونشاهد سيرك "بيلي سمارت"، ثم نطلق الألعاب النارية.

لديهما الكثير من الأولاد، ويجيدان طهو البطاطس المقلية الأصلية، أما أمي فتطهو النوع الصناعي فقط، عندما نتناول الدجاج على العشاء نأكل معها البطاطس من علبة، تكون البطاطس نحيفة وصلبة.

في إحدى المرات، بينما نتحرك للعودة إلى المنزل، كنت أسير أمام أبي وأمي ببضع خطوات، وكان أولاد خالتي بالبلكونة، يحملون رشاشات المياه، كنت ألوح لهم ولكي يروني بشكل أفضل قمت بتسلق إحدى السيارات، لكن صاحب السيارة العجوز جاء راكضًا، وكان غاضبًا بشدة، أمسك بي بقوة وصرخ بوجهي، فأصبت بخوف شديد وبكيت.

تضايقت أمي لكن ليس مني، بل من الرجل، كان هذا شعورًا لطيفًا منها، حتى إنه فاجأني، لم أقم بإفساد أي شيء، كل ما في الأمر أني لوحت لهم مودعًا.

عندما أرتكب خطئًا غير مقصودًا ينتابني الحزن بعدها لجهلي بما ارتكبته! ربما أنا سيء، وربما هناك "چون" جيد وآخر سيء يدفع "چون" الجيد لارتكاب جميع أنواع الحماقات، وربما هو الشيطان يسيطر عليّ.

ألعب عادةً في مناطق البناء، أعلم أن ذلك محظور لكنه ممتع، الأمر أشبه بالتواجد داخل قلعة لكن عليك الحذر حتى لا تطأ قدمك فوق خشبة مُرصَّعة بالمسامير، إنه أمر فظيع، لقد وطأت قدمي عصي بها مسامير عدة مرات، كنت ألعب مع "جومي" مرة، فخطا فوق مسمار بقوة شديدة حتى إن المسمار اخترق قدمه، وخرجت رأس المسمار من حذائه، شرع "جومي" في الصراخ وأخذوه إلى حجرة الطوارئ.

كما تسلقت مرة منزلًا ريفيًا كان يجري بناؤه حتى وصلت إلى سطحه، كان البناء مُحاطًا بالسقالات، عندما وصلت إلى السطح اكتشفت وجود عمال داخل المنزل، رأيت رؤوسهم من فوق السطح، ووجدت أدواتهم هناك.

كان الأمر لعبة بين الهنود ورعاة البقر، مارست فيها دور الهندي الأحمر المطارد ومارسوا هم دور رعاة البقر، زحفت فوق السطح وأخذت مطرقة، دون أن يلحظني أحد، ثم قذفتها على رأس أحدهم، لم تكن ضربة قوية ولم تسل أية دماء، لكنه ثار، فأصابني الرعب وجريت مبتعدًا وقفزت من فوق السطح.

لا أعرف لماذا أرتكب تلك الأخطاء غير المقصودة، أقوم بتلك الأمور فجأة، يسألني أبي عن السبب ولا أعرف بما أجيبه.

يسألني غاضبًا:

- لماذا فعلت هذا؟

أتمتم:

- لا أعرف.

هذا كل ما يمكنني قوله.

- بالضبط، أنت لا تعرف أي شيء أبدًا.

هذا صحيح. لا أعرف شيئًا، ولا أحب التعلم ولا مصادقة الأطفال الآخرين، ولا أُقوِّمُ نفسي، لهذا السبب لا أذهب للصيد مع أبي مطلقًا ولا أُصاحبه في رحلاته عندما يذهب إلى الغرب.

⧗

- هل تريد اللعب؟

يسألني "جومي":

- أي نوع من الألعاب؟

يعرف "جومي" العديد من الألعاب، ويتميز بالهدوء والنضج، كما يعرف أمورًا كثيرة، كل شيء في غرفته منظم ويستطيع إبقاءه على هذا الحال، أما غرفتي فهي عبارة عن أكوام من الأغراض غير المعروفة.

كذلك لديه موهبة صناعة المجسمات وطلائها، رأيت في غرفته كثير من السيارات والطائرات التي قام ببنائها بنفسه، ظننت الأمر في البداية غاية في السهولة، فقمت بشراء طائرة للتركيب من "بلاي هاوس"، لكني لم أتمكن من تركيبها قط، لطخت يداي بالصمغ وكذلك أجزاء الطائرة، كانت من نوع "سوبرمارين سبيت فاير" – ""Supermarine Spitfire" ، ملأتها بالقطن والجاز وأشعلت فيها النار ثم ألقيتها من فوق السطح.

- تلعب لعبة الذاكرة؟

هذا ليس ممتعًا، فهي لعبة عليك فيها أن تتذكر الصور، أما أنا فلا أتذكر مطلقًا وأخلط بين الصور، إنه شيء مزعج، مثل "ماستر مايند"، أكثر لعبة

مزعجة أعرفها.

- فلنلعب بنك الحظ!

- حسنًا.

بنك الحظ لعبة ممتازة، أحب ألعاب الترابيزة، تلك التي تشمل زهرًا وأوراقًا مالية مخصصة للعب، أحب الاحتفاظ بالكثير من الأوراق المالية، لكن "ريسك" هي لعبتي المفضلة، تستهلك وقتًا طويلًا، وألعبها بمفردي، رسمت لنفسي بعض الخرائط على ورق الرسم المدرسي، يبلغ نصف حجم لوح اللعب، ورسمت فيه بلدانًا جديدة ولونتها، كما وضعت قواعد وقوانين جديدة، في لعبة "ريسك" خاصتي، توجد أوراق مالية، أخذتها من لعبة "فيشيريس"، أحصل على كمية معينة من الأوراق المالية مقابل كل بلدة أسيطر عليها، كما يمكنني بيع العساكر، ويمكنني شراء المدافع التي تسير على اليابسة أو توضع فوق البواخر باستخدام الأوراق المالية، يمكن استخدام المدفع مرة واحدة فقط، ويكلفك الإبحار لمسافة طويلة مبلغًا أكبر، وإذا كنت تملك كمية ضخمة من الأوراق المالية فيمكنك شراء قنابل نووية، تلك التي تقتل مدينة كاملة بكل سكانها.

أحب تكوين جيش كبير، عندما يكون لدي جيش أكبر من جيوش الجميع، أهاجمهم على نحو مفاجئ وأنتصر في غفلة منهم، أبحر نحوهم بأسطولي ثم أطلق القنابل النووية لأدمر أكبر بلدانهم.

ألعب "ريسك" و"فيشيريس" بمفردي كثيرًا، يمكن للعبة أن تستمر للأبد لأنني أملك البنك ويسعني طبع أوراق مالية جديدة، كما يمنح البنك قروضًا لكل من يعاني من نقص الأوراق المالية.

أحب اللعب بمفردي، حيث لا يتدخل أحد ولا يوقف اللعب أو يتصرف بحماقة، يمكنني قضاء الليلة مستيقظًا لألعب وحدي، تستغرق اللعبة وقتًا طويلًا، أربح أحيانًا لكني كثيرًا ما أخسر كذلك.

ألعب داخل المنزل في الشتاء، وفي الربيع يبدأ اللعب في الخارج، كما أنه لا توجد مدرسة في الربيع، نادرًا ما أتواجد في المنزل صيفًا، أخرج في الصباح وأعود على موعد العشاء، لا يوجد أحد بالمنزل عدا جدتي "جورون"، وهي تفضل الجلوس في غرفتها، تحيك الثياب وتستمع إلى الراديو. تعمل أمي في كافيتريا مستشفى المدينة، تعد الطعام للمرضى، وغالبًا ما تحضر معها عشاء لي في علب بلاستيكية، كما تجلب أحيانًا سلطة الفواكه التي أحصل عليها كتحلية بعد العشاء.

عندما أخرج في رحلة يومية تعد أمي لي الغداء، فتضع الحليب أو مشروب الفاكهة في زجاجة، وسندوتش جبن في خبز فرنسي وخبز من الدقيق، فأنا أحب الجمع بين النوعين.

أذهب عادةً إلى الغابة الكبيرة، ليست ببعيدة، فهي تقع بالقرب من كنيسة "بوستاوا"، عندما يرافقني "ستيبي" نلعب "الهنود الحمر ورعاة البقر" أو نعقد اجتماعًا لنادي الهنود الحمر، وعندما يرافقني "كريستيان بور" نلعب أنواعًا عديدة من الألعاب، حينما أذهب بمفردي أتجول قليلًا، وأقذف خنجري على الأشجار وأتلصص على من يسيرون في الغابة.

يدخل البعض إلى الغابة للتشاجر أحيانًا، يكون من المُسلِّي التسلل والاختباء بالقرب منهم لسماع ما يقولون، وأحيانًا يتبادلون القبلات، ذات مرة رأيت رجلًا

وامرأة يتعانقان إلى جوار شجرة، لم يتحدثا، بل كانا يصدران أصوات العناق، كنت قريبًا منهما، خلف الرجل مباشرة، لم ترنِ المرأة لأنها كانت مغلقة العينين، أعتقد أنهما كانا يمارسان الحب، فقد تبادلا القبلات ثم أخذ يضغطها نحو الشجرة مرة تلو الأخرى، أردت مفاجأتهما والسخرية منهما بطريقة ما لكني لم أجرؤ.

أذهب أحيانًا إلى هضبة "أوسكيوليث"، إنه مكان شيق لكن بعيد، كما يكون الأمر شاقًا عندما تمطر، لا أذهب إلى هناك إلا في الطقس الجيد، توجد هناك غابة أخرى، أفضل ما يمكن فعله هو اللعب في الطائرة التي يستخدمها رجال الإطفاء للتمرين، يمكنني دخولها، توجد بها آثار حريق لكن بها أيضًا مقاعد ومقصورة القيادة، إذا سرت فوق ظهرها يسقط محدثًا ضجة، وإذا جريت نحو المقدمة يتلاشى الصوت تدريجيًا، ويصطدم بالأرض فتلقي بي إلى الأمام.

يوجد بـ" أوسكيوليث" العديد من الأنفاق والخنادق التي تركها الجيش البريطاني، أقام والديّ عقب الحرب في ثكنات هضبة "سكولافثرهولت"، حيث توجد كنيسة "هالجريم" الآن، تشاركا ثكنة مع زوجين آخرين، وهناك نشأ شقيقي عُمر، لم يكن هناك مدفأة، بل مجرد فرن في المنتصف.

تقص أمي قصصًا عن تلك الفترة أحيانًا، تجري أحداث قصتي المفضلة في الكريسماس، كانت أمي تقوم بتنظيف المكان مع السيدة التي تشاركهم السكن، وعندما خرجت إلى المدينة عاد أبي إلى البيت مع بعض الخشب لإشعال نار للتدفئة، حيث عثر على عصا تليفون قديم.

كانت العصا طويلة جدًا لدرجة أنه لم يتمكن إلا من وضع طرف واحد منها في الفرن، وعندما عادت أمي كان أبي يجلس أمام النار كالمُخدر، يتأمل ألسنة اللهب، كانت العصا معالجة بمادة "التاراند" وكان باب الفرن مفتوحًا لذا امتلأ المكان بالدخان الأسود، الذي ستضطر أمي إلى تنظيفه.

صرخت أمي.

- ماذا كنت تفعل بحق الجحيم؟

لم يلحظ أبي شيئًا، حيث كان يتأمل النيران.

- تأملي انصهار العصا البديع في النيران.

إنها قصة مضحكة، كان أبي عظيمًا في تلك القصة، أريد أن أصبح مثله عندما أكبر، هناك الكثير من الأمور التي أتمنى القيام بها مع أبي، ليته يشعر بالرغبة في قضاء الوقت معي ويستمتع به، بدلًا من اعتقاده الدائم بأني مزعج.

كنت في المنزل ذات مرة مع أبي بمفردنا، حيث ذهبت أمي إلى لندن، كنا نشاهد التليفزيون عندما طلبت منه إعداد الفشار، كان الفشار مملحًا بطريقة زائدة، يستحيل معها تناوله، وجده أبي طيبًا لكني لم أستطع تناوله، ثم ترك الغرفة فتبعته، ورأيته يضيف السكر للفشار حتى يخفي طعم الملح، تذوقت الفشار فوجدته ازداد سوءًا، كان يجمع بين الطعم المالح والحلو، عندئذ قرر أبي وضعه تحت الماء لإزالة الملح والسكر، لكن هذا لم ينجح وتحول الفشار إلى عجين مبلل فاضطررنا للتخلص منه، لقد أثار ذلك دهشة أبي.

كان ذلك أمرًا مسليًا، كما اتسم أبي بالمرح في هذا الوقت، لا بُدّ أنه على هذه الحالة دومًا في العمل.

طلبت منه أمي إعداد شربة اللحم، وأخبرته بما يجب وضعه من مكونات، فوضع أبي كل شيء في القدر، لكنه ظن أنها طلبت منه وضع رقائق الذرة فوضع علبة كاملة منها، نتج عن ذلك شربة تشبه عصيدة الرقائق وبداخلها اللحم واللفت.

- ما الذي فعلته؟
- ألم تطلبي مني وضع ذلك؟
- رقائق الذرة؟ هل يبدو هذا منطقيًا؟

تذوق أبي الشربة.

- أجد مذاقها جيد.

أتمنى لو كان أبي هكذا دومًا، وأن يسمح لي بقضاء مزيد من الوقت معه، يكون الأمر ممتعًا عندما يتحلى أبي بمزاج جيد، يتصرف حينئذ بتلقائية دون ادعاء، مما يشعرني أني محبوب، أكره عندما يتحدث معي بغلظة، أو يُغيِّر معنى حديثي ويسخر مني.

⦿

أذهب أحيانًا في الصيف إلى نهر "إليوار" بصحبة "كريستيان بور"، اعتدت الذهاب إلى هناك منذ أن كنت صغيرًا، حتى إني كدت أغرق مرة حين وقعت في النهر، لكن رجلًا جاء وأنقذني.

نصطاد السلمون أسفل الجسر، إنه عمل سهل، حيث نصنع دائرة من الصخور بالقرب من اليابسة فيعلق داخلها السمك، ثم نمد أيدينا، ونمسك به ثم نلقيه على الشاطئ، جاء صحفي ذات مرة والتقط لنا صورة، نشرت مع خبر مفاده أن لا أحد يصطاد في هذا النهر عدا صبيين ذكيين.

شعرت بالفخر عندئذ، وحكى أبي ذلك إلى رجل في الطريق وناقشه فيه، قال إني ورثت مهارة الصيد منه، كان أبي فخورًا بي، وهو شعور رائع.

حينما كنت صغيرًا، قدت دراجتي حتى الميناء واصطدت سمك من نوع "العقرب"، كنت حينها أملك عجلة ماركة "فيلاموس" زرقاء، أما الآن فلدي عجلة "شوبر"، وضعت سمك "العقرب" في حقيبة وأخذته إلى المنزل، ثم أعطيته لأمي.

- لقد اصطدت لنا العشاء.

قلتها بفخر.

أخذت أمي السمك وألقته في القمامة سرًا، ثم أخرجت بعض السمك التقليدي من الثلاجة وقامت بطهيه، لكنها قالت إنه سمك "العقرب"، لم تخبرني بالحقيقة إلا فيما بعد، تناولت هذا العشاء بشهية مفتوحة، كان أفضل سمك "عقرب" تناولته على الإطلاق.

يقال إن مذاق السمك يتحسن عندما تصطاده بنفسك، تقص أمي قصة سمك "العقرب" أحيانًا فنضحك جميعًا، أحب القيام بأشياء تنال رضا أمي، فلطالما سببت لها الضيق

عندما نفرغ من اللعب، تعطينا والدة "جومي" الكعك والحليب.

- كيف حال أمك؟

- بخير.

يختلف أمي وأبي عن سائر الآباء والأمهات، فهم أكبر سنًا وعادةً ما يحتاجان للراحة، كما أنهما كثيرًا ما يصيبهما الضيق بسببي، فليس من السهل احتمالي، لا يحتاج آباء الأطفال الآخرين للقيلولة، لكنني مختلف، وربما يحتاج والدي للراحة بسبب هذا الاختلاف.

يلتقي الأطفال جميعًا عقب العشاء في ساحة انتظار السيارات ويلعبون "صيادين السمك"، إنها لعبة ممتعة، حيث يشارك فيها جميع الأطفال كما أنها أكثر سهولة من كرة القدم، فكرة القدم تصيبني بالملل، لا يحبذ الأطفال مشاركتي عندما يلعبون كرة القدم، وهو ما يصيبني بالملل كذلك، فالمشاركة أفضل من الاستبعاد، عندما أُستبعَد يتوجب عليّ الاكتفاء بالمشاهدة ولا أعرف ماذا عساي أفعل.

- هل يمكنني المشاركة الآن؟

- كلا، انتظر قليلًا.

عندما أملُّ من الانتظار أتقيأ في الملعب، يمكنني التقيؤ وقتما أشاء، تعلمت ذلك حينما كنت أتدرب على الجمع بين التجشؤ والتحدث في آن واحد، فالتجشؤ أثناء الحديث أمر ممتع، أقبض عضلات معدتي فيتحرك الطعام للأعلى، وحينها أتمكن من التحكم فيه، وأستخدم تلك الخدعة في الملعب عندما يجبرونني على الانتظار طويلًا فلا يتمكنون من اللعب.

- يا لك من مقزز.

نبدأ بعدها نشاط جديد يمكنني المشاركة فيه، وعندما يمر وقت طويل تقف أمي على أول الشارع وتناديني، كما يبدأ الآخرون في العودة إلى منازلهم.

أُنظِّف أسناني وأُقبِّل جدتي قُبلة المساء ثم أذهب إلى غرفتي، لكني لا أخلد إلى النوم مباشرة، بل ألعب "فيشيريس" لبعض الوقت، ثم أصعد إلى السرير وأقرأ كتابًا استعرته من المكتبة عن "بادينجتون"، ولا أستطيع التوقف عن القراءة قبل انتهاء الكتاب، حينها أخلد إلى النوم، أغمض عيني وأتخيل أني في مدينة غريبة، كنت كثيرًا ما أفعل ذلك.

أجدني واقفًا في الطريق، ولا أحد سوايَّ، على غير العادة.

أعرف هذا الحي، إذا سرت يسارًا أمر بمنزل متعدد الغرف والنوافذ، لا يسكن به أحد.

يمكنني صعود السلم المؤدي إلى السطح، يوجد بالأعلى كل أنواع المُخلّفات، يبدو كمقلب قمامة، أستلقي هناك أحيانًا وألقي بالقمامة على الجنود المارين، لكن عليّ الانتباه كي لا تصيبني الطلقات.

إذا سرت يمينًا أجد قصرًا كبيرًا، أصعد إليه بواسطة درج، وفي الداخل توجد غرفتين سفليتين، فارغتين، لا أحد يسكن القصر.

أمام المدخل يوجد سلمين مؤديين إلى "السندرة"، كل سلم يقع في جانب، لكنهما يلتقيان قرب القمة، حيث يؤديان إلى المكان نفسه.

لا شيء بالأعلى سوى بلكونة تُطل على الطريق.

يوجد بالطابق الأسفل خلف السلم باب سري من خشب السلم نفسه، لن تتمكن من فتحه إن لم تكن تعلم بوجوده، إذا ولجته وجدت دهليزًا يمر خلال المنزل الكبير، وينتهي داخل خزانة إحدى الغرف.

لا يوجد مخرج من هذا الحي إلا في نهاية الطريق، تجد هناك سياجًا مرتفعًا، لكن عليك أولًا النجاة من ثلاث رشاشات مدفونة في الأرض، لا يمكنك رؤيتها، لكن يمكن ملاحظة غطائها المحدب بصعوبة، إذا ما اقترب أحد تبرز فجأة من الأرض وتطلق الرصاص عليه.

لكن علي الانتباه جيدًا، فقد تتواجد بالحي أحيانًا أُسود ودببة قطبية، تختبئ بغرف المنزل أو في الظل حيث لا يمكن رؤيتها.

أشرع في الجري إلى المنزل، فيراني دبين قطبيين ويجريان نحوي، ألتفت خلفي وأواصل الجري في الطريق حتى القصر، لكنهما يواصلان مطاردتي، عندما أدخل من الباب السري إلى الممر أتنفس الصعداء، وأسمع أصوات تذمرهما وخدشهما الباب، إن بإمكانهما تشمم رائحتي، أخيرًا هربت.

أفتح الخزانة بحرص، وأنظر فلا أجد أحدًا بالغرفة، أخرج وأغلق الباب خلفي برفق، أخشى حاسة سمع الأسود القوية، فهي تأتي مسرعة عند أقل صوت.

أتطلع من النافذة، ما تزال الدببة تبحث عني في ساحة المنزل.

أرى الممر خاليًا، فأجري إلى السلم وأتسلقه إلى الأعلى، حين أصل إلى القمة تلحق بي الأُسود، تصدر أصواتًا مخيفة وتحاول الوصول إليّ، لكن هذا مستحيل فأنا في مكان مرتفع.

أخيرًا أصل إلى السطح، فأغلق الباب الحديدي، أنا في أمان هنا، لا يمكن للحيوانات المفترسة الصعود، وكذلك الجنود، حينئذ تهدأ أعصابي وأخلد إلى النوم.

△

- هناك مشاجرة عقب اليوم الدراسي.

هذا خبر عظيم.

- شارعي "كورلاند" و"كخارلاند" ضد شارعي "هورولاند" و"هولدولاند".

معارك الشوارع أمر معتاد في "فوس فوجر"، تستخدم فيها السيوف والدروع، يتعارك فيها الصبية المتهورين، ولا يُسمَح فيها باستخدام أسلحة حديدية.

تلقَّى أحدهم في إحدى المرات ضربة بعصا حديدية فأُصيب بارتجاج في المخ.

تُقسَّم الفرق حسب الأحياء، لديَّ أصدقاء في شارعي "هورولاند" و"هولدولاند"، لكن لا مجال للصداقة في معارك الشوارع.

أسرع إلى المنزل بعد اليوم الدراسي لأعد نفسي.

أتوقف عند أحد مواقع البناء لجمع ما يصلح لصناعة سيف، أختار لوح خشبي سميك.

يملك بعض الأطفال سيوفًا مميزة الشكل ودروعًا مُزخرفة، لقد ساعد والد "جومي" ابنه في إعداد الدرع، صنع له درعًا ضخمًا مثلثًا أسود اللون تتصدره صورة نسر، وبه ذراع جلدي من الداخل ليمسك به الدرع، ولديه سيف خارق أيضًا.

لا يعرف أبي شيئًا عن النجارة ولا يملك وقتًا لمساعدتي، أرغب في الحصول على سيفٍ حقيقي، سيف لا ينكسر بمجرد البدء في استخدامه.

أَلفُّ خيطًا حول اللوح الخشبي ثم أُثبِّته بشريطٍ لاصق، سيكون هذا هو الذراع الذي سأحمله منه، عندما لاحظت وجود بروز قمت بتثبيته أفقيًا، ليقي ذراعي الإصابة، كذلك ثبَّتُه بالشريط اللاصق، أعرف أن دق المسامير في قطعةٍ رفيعةٍ من الخشب أمر طائش، حيث لا يوجد متن ينغرس فيه المسمار، كما أن الخشب ينكسر بسهولة، لذا فضَّلتُ استخدام الشريط اللاصق.

هذا اللوح يَفوق معظم السيوف طولًا مما يجعله سلاحًا أفضل، سوف تتفوق ضرباته على الأسلحة القصيرة.

ضربة السيف لا تعني الكثير، فالقواعد تختلف عن قواعد الحرب، لن تقتلك ضربة السيف في معارك الشوارع، فالسبيل الوحيد هو الانسحاب.

الأمر مختلف عن لعبة "اضرب واهرب" أو "عسكر وحرامية"، ففي تلك الألعاب عندما تصيب أحدهم يموت، وإن كان أغلب الصبية لا يعترفون بذلك.

يجب توخي الحذر، فـ"فوس فوجر" مليئة بعصاباتٍ لا أعرف معظم أفرادها، وقد تصبح معارك الشوارع خطرة.

عادةً ما تكون عصابات مُراهقي مول "جريمسباير" خطيرة، لديهم دراجة بخارية ويستخدمون القبضات الحديدية، يأخذون الرهائن ويسجنونهم في قبوٍ ما، وهناك يجري تعذيبهم، يسببون لهم الجروح ثم يضعون عليها الملح، وبهذا لا يلتئم الجرح أبدًا، سمعتُ أيضًا أن بعض العصابات تُسبب الندوب للأشخاص، وإذا أردت الانضمام إلى عصابةٍ ما فعليك القفز بين الأسطح وشرب البول.

لن أسمح لأحدهم بأسري، يتقابل الفريقان المتقاتلان في ملعب كرة السلة في "هوراولاند"، ويأخذ كل فريق جهة من الملعب، لا توجد فرق للفتيات، لكن بعض الفتيات تأتين وتجلسن في المدرجات للمشاهدة، يشكل وجود الفتيات دافعًا قويًا، فيُزيد من شجاعة الفرق، كما أن لا أحد يتألم أو يشكو أثناء تواجد الفتيات.

يضم فريقي خمسة صبية، أنا و"ستيبي" و"جومي" و"علي چينز" و"كريستيان بور". يسكن "كريستيان بور" في "هوراولاند" لكنه لا يملك أصدقاء هناك، إضافة إلى كونه صديقي، لذا ينضم إلى فريقي.

لدى "ستيبي" و"جومي" سيوف ودروع مُميّزة، حتى إن "جومي" يملك خوذة حديدية، أما أنا فأملك اللوح الخشبي و"كريستيان بور" مُسلَّح بذراع مكنسة، ولا يملك "علي چينز" سيفًا لذا يحمل بدلًا منه حبلًا طويلًا بعقدة في نهايته، النسخة الحديثة من هراوات العصور الوسطى المُسنَّنة.

يفوقنا الفريق المُنافس في العدد بفردين، ولا أعرف منهم إلا "بجوجي"، وهو صديق لي، نلعب أحيانًا بـ"أكشن مان" معًا لكنه جبان وتسهل إخافته، لا أخاف "بجوجي" لكن زملاءه مخيفون، خاصةً الأخوين المبتسمين، أميزهما من المدرسة، يُعرف عنهما الجنون والشجار الدائم، لكن فريقهم يضم صبيًا ضخمًا، يكبرنا بعامين، لذا أعترض على الفور.

يرد أحد الأخوين:

- لا يُسمَح بانضمام الصِبية الأكبر سنًا.
- لديك "كريستيان بور" بفريقك.

هذا صحيح. من الناحية النظرية، كان يجب أن يكون بفريقهم. كما أنه طويل القامة لدرجة تفوق الصِبية الأكبر سنًا، لديهم أسلحة مماثلة لأسلحتنا، بعضهم يحمل سيوفًا ودروعًا مميزة، أما الآخرون فيحملون عوارض خشبية، ولا يحمل أي منهم سلاحًا حديديًا.

تَنُصّ القواعد على الصياح بتلك التنبيهات في ساحة القتال للتأكد من معرفة الجميع بها.

- يمنع الضرب على الرأس.
- يمنع إلقاء الحجارة.
- يمنع " الإجازة".
- يمنع " الإجازة"؟ لماذا؟

يدور نقاش حول الأمر، تعني "الإجازة" أخذ راحة، يصيح الصبية الذين لا يستطيعون القتال بشكل جيد: "إجازة" عندما يوشك أحد على إصابتهم، فيتسنَّى لهم هكذا الحصول على استراحة قبل العودة إلى المعركة لاحقًا بحال أفضل، ولكن البعض يُفرط في استخدام " الإجازة" مما يجعل اللعبة مزعجة وغير عادلة.

يوافق الفريقان على إلغاء " الإجازة" تمامًا بعد الكثير من المجادلة، لكن يتم الاتفاق على الانسحاب حال الإصابة بحالة ذعر، مع عدم إمكانية المشاركة مرة أخرى.

نتفق على جميع القواعد ثم تبدأ المعركة.

نبدأ ببطء، ونتخير خصمنا، أجري مباشرة نحو "بجوجي" مُصدِرًا أصواتًا ترهيبية ورافعًا لوحي الخشبي كي أضربه بكل قوتي، ومثلما توقعت، يستسلم أمام عزيمتي القوية، لقد سقط أرضًا قبل أن تصيبه الضربة ووضع سيفه فوق رأسه صارخًا:

- أستسلم! أستسلم!

يخرج "بجوجي" ويجلس للمُشاهدة، أبحث الآن عن خصمي التالي، ألاحظ أن "كريستيان بور" يحارب الصبية الأكبر سنًا فأجري نحوه، لكنني أتلقى صفعة على ظهري في الطريق، وتدمع عيناي من شدة قوتها، عندما ألتفت أرى أمامي أحد الأخوين يجزّ على أسنانه مُمسِكًا بغُصن شجرة، أشعر بظهري

يؤلمني، لقد ضربني بسلاحه بقوة، تمنع القواعد الضرب بمثل هذا العنف، لكني لا أعترض لوجود الفتيات، فلا أرغب في لفت الانتباه.

نتقاتل لفترة ليست بالقصيرة، نبلي خلالها أسلحتنا ونكتشف نقاط الضعف والقوة في الخصم، إنه قوي وعنيد، لكنه سبب لي أذى لذا يحق لي القيام بالمثل، كان يدرك ذلك لذا أخذ يقاتل بحذر، بدون أن يزيل تلك الابتسامة المستفزة عن وجهه، كان عليّ التفكير بسرعة.

أتخذ قرار مفاجئ وأضرب أصابعه بسلاحي فيصرخ ويسقط سلاحه، فأرفع سلاحي عاليًا استعدادًا لضربةٍ أُخرى.

- هل تستسلم؟

يجيبني ممسكًا بأصابعه:

- ما خطبك؟

أتظاهر بالاستعداد للانقضاض عليه.

- هل تستسلم؟

- لقد أصبت أصابعي.

- هل تستسلم؟

يوشك أن يخسر، عليه الاستسلام، يمكنني ضربه مرة أخرى لكني لن أفعل.

فجأة، يأتي أخوه من خلفي ويضرب ذراعي بسلاحه، يسقط سلاحي، فأجري صاعدًا التلة لكنه لا يلاحقني، وينشغل بإسعاف أخيه، بعدها يمسك بسيفي، وينظر إليَّ فأنظر إليه، يمسك بسلاحي من الطرفين ثم يكسره فوق

ركبته، عندها تضطرب أنفاسي، وأشعر بالغضب، فلقد تخطى القواعد، هذان الأخوان غير أسوياء، لقد كدت أقضي عليه، كان بإمكاني ضربه إن شئت.

أتفحص ساحة المعركة.

أرى "جومي" في طريقه إلى المنزل، يبكي لأن أحدهم كسر درعه، غالبًا فعلها الصبية الأكبر سنًا، لديه سيف قوي مصنوع من خامة مماثلة لخامة المطرقة، أما "ستيبي" فيقاتل أحد الصبية بحذر، ويجري "علي" على المنحدر، ليقف وحده في ملعب الكرة.

يجري "كريستيان بور" نحوي.

- هل أنت بخير؟

- أجل، قام هذا الأحمق بكسر سيفي، كما ضربني أحدهم على ظهري.

- إنهم غير أسوياء.

يستعيد الأخوان توازنهما، وينظران نحوي في غضب.

أهمس:

- فلنهرب.

أجري هاربًا ويلحق بي "كريستيان بور"، نبتعد عن شارع "هوراولاند" ونصعد إلى شارع "بوستا فيجيور".

تخطر على بالي فكرة، فهناك عبر شارع "بوستا فيجيور" - حيث تقف الأتوبيسات - توجد شجرة كريسماس.

نختبئ خلف أتوبيس، ونتفحص المكان. لا أحد يلاحقنا.

- فلنلقن هذين المخبولين درسًا.

أتسلل إلى الشجرة وأنزع بعض الفروع، ويقوم "كريستان بور" بالمثل، بعد قليل يصبح لدينا مجموعة كبيرة من الفروع.

نختبئ خلف الزرع ونتفحص ساحة المعركة.

لقد رحل "ستيبي"، وما يزال "علي" في ملعب الكرة، وتبقى في فريق الخصم الصبية الأكبر سنًا والأخوين، يجلسون جميعًا فوق التل يتحدثون.

يسألني "كريستيان بور":

- هل نذهب للقضاء عليهم؟

يتملك مني الغضب، هذان المخبولان، كيف يتسلل أحدهم خلفي ويضربني ويكسر الأخر سلاحي.

- أجل.

- واحد، اثنين...

نقفز صارخين مُلوِّحين بأسلحتنا الجديدة، فتصرخ الفتيات ثم يضحكن.

لا يعرف الخصم من أين أتت العاصفة، فيهبون واقفين، وأجري نحوهم مُلوِّحًا بسلاحي بقوة، يجرون نحو "هولدولاند" ويختبئون في الحديقة، ونصرخ احتفالًا بالنصر، لقد سيطرنا على التل، ويأتي "علي" لينضم إلينا.

علينا أن نقرر إن كنا سوف نطارد الخصم، لكننا لا نتبعهم عبر الطريق نفسه، بل نأخذ طريقًا مختلفًا فنصل إلى الطرف الآخر من "هولدولاند"، ونزحف عبر الزروع والأشجار ثم نتسلل بالقرب من الحوائط.

أصبحنا داخل مقر العدو، كان "علي" غاضبًا أيضًا، فلقد ضربه أحد الصبية الأكبر سنًا، لذلك هرب، يريني "علي" موضع ضربة السيف على يده.

- لقد هشم يدي.

- جميعهم مخبولون.

بعد القليل من الاختباء والانتظار نلحظ اقتراب أحد الأخوين، لا بُدّ أنه عائد من المتجر في "جريمسبار"، فهو يحمل حلوى في حقيبة، والسيف في اليد الأخرى.

نختبئ خلف سيارة ثم ننقض عليه ونطرحه أرضًا، يمسك "كريستيان بور" برقبته ويضع وجهه في الوحل، نأخذ حقيبة الحلوى، ونجد فيها ثلاثة زجاجات من الكوكا كولا وثلاثة لفائف من العرقسوس.

أما أنا فأستولي على سيفه، كان سيفًا منحوتًا مميزًا، لا بُدّ أنه قضى الكثير من الوقت في صناعته، اليد موصولة بالسيف من خلال ثقب مخصص، أضرب

بالسيف على الرصيف عدة مرات حتى ينكسر، فلا يعلق الخصم لكن يبدو عليه الغضب، يكاد أن يبكي.

أشعر بالضيق لأن ذلك لم يكن جيدًا، فإفساد السيوف أمر قبيح، لكن ما زال ظهري يؤلمني، إضافة إلى أن ضربي من الخلف والابتسام لم يكن فعلًا لطيفًا، وكان بإمكانه الاستسلام.

عندما فكرت في "جومي" وجدت أن درعه صار الآن عديم الفائدة، ولقد بكى لأن والده صنع له هذا الدرع، الآن يتملك مني الغضب مجددًا ويزيل أي شفقة، هذا الصبي يستحق ذلك.

نقيد ذراعيه خلف ظهره بحقيبة الحلوى ثم نستولي على الحلوى ونهرب.

نخرج من "هولدولاند" مثلما دخلنا ثم نصل إلى "جيت لاند"، وندخل منطقة ألعاب "جريمسبار" حيث نجلس لالتقاط أنفاسنا واحتساء المرطبات، يكاد اليوم أن يكون أشد معارك الشوارع جرأة في التاريخ.

يسألني "علي":

- لقد بكى، هل رأيت ذلك؟
- أجل، إنه فاشل.
- لقد دمرت سلاحه.
- أجل هذا صحيح.
- كان علينا التبول عليه.

نضحك، لكن "كريستيان بور" يبقى هادئًا، ثم يتمتم:

- إنهم مجانين، سوف يأتون لضربنا.

أتفهم خوفه، فأنا أعرف "كريستيان بور" أفضل من الجميع، لقد قمنا بالكثير من الأشياء معًا، نحن أصدقاء مقربون، لقد قضينا وقتًا كثيرًا في منازل بعضنا البعض، ولم نتشاجر قط، لا يمكنك التشاجر مع "كريستيان بور" لأنه يزداد انغلاقًا على نفسه عند الغضب.

يسكن "كريستيان بور" مع والدته وشقيقته الكبرى "جريتا"، وهي مراهقة، من الممتع مضايقتها، يزورها الصبية دائمًا وتبادلهم الأحضان وتستمع إلى أغاني فريق "آبا".

والدا "كريستيان بور" منفصلان، ومنزله مُسلٍّ، كان يختلف كليةً عن منزلي، توجد هناك شموع ذات رائحة فوّاحة.

يوجد في الردهة كتاب بعنوان "متعة الجنس"، عن هؤلاء الذين يمارسونه طوال الوقت، رأيت في الكتاب رسومات لمختلف الأوضاع الجنسية، إنه أكثر كتاب مضحك رأيته، نتفحصه كثيرًا عندما لا يكون بالمنزل أحد سوانا.

لم يكن "كريستيان بور" فاشلًا، أو غبيًا، كل ما في الأمر أنه مختلف، له قامة طويلة وعِظام خد عريضة، وقد يظنه البعض مُتخلِّف عقليًا لأنه لا يتحدث إلا نادرًا، لكنه يشاركني فعل كل شيء، صنعنا أسلحة مطاطية قوية في إحدى المرات، مستخدمين في ذلك أذرع صفائح الطلاء، لفافات مطاطية حصلنا عليها

خِلّسةً من رجل البريد، كانت لفافات سميكة ومطاطية، وكانت الأسلحة قوية حتى إن مدى إصابتها يفوق مدى الرؤية، كانت أسلحة حقيقية.

يضايقنا بعض المراهقين الذين يسكنون بالقرب من "كريستيان بور" كلما خرجنا، إنهم حمقى ويضايقون الجميع، كانوا أعضاء في عصابة "جريمسباير"، لطالما ضايقوننا كلما ذهبنا إلى المتجر هناك، حتى فاض بنا الكيل منهم، ولاحظنا أنهم يتجولون أمام المتاجر، فتدرَّبنا طوال اليوم على التصويب على السور مستخدمين أسلحتنا القوية، تدرَّبنا كثيرًا حتى أصبحنا محترفين.

كنا في طريقنا إلى المنزل في المساء، ورغم الظلام فلقد تمكنّا من رؤية المراهقين جيدًا في إضاءة المتاجر، فاختبأنا خلف سور ملعب "جريمسباير" المعتم، وجهزنا أسلحتنا والذخيرة المتبقية ووجهناها تجاههم، ثم أمطرناهم بالطلقات مع تعمد التصويب على المناطق الحساسة، ثم لذنا بالفرار.

قاموا بمطاردتنا، فأسرعنا، لكنهم كانوا أكثر سرعة منا، وكأن بإمكانهم التحليق.

ألقيت بنفسي خلف بعض الشجيرات فمروا من جانبي، لاحظ "كريستيان بور" ذلك لكنه حاول الجري إلى منزله، فأمسكوا به، كنت مختبئًا هناك وسمعت كل شيء.

– من كان معك؟

– لا أحد.

لم يشي "كريستيان بور" بي، وتحمل عواقب فعلتنا كاملة، شعرت بالذنب بسبب ذلك، فعادة ما تكون الأفكار أفكاري، ولا يفعل هو إلا ما أقول.

لكموه في معدته وفي وجهه، وقاموا في النهاية بركله في المنطقة الحساسة بقوة حتى إنه تقيأ، وفي الصباح التالي، رأيت كدمة سوداء كبيرة حول عينه.

لم نتحدث عن ذلك مطلقًا، وعندما رحل المراهقون، توجه مباشرة إلى منزله وعدت أنا إلى منزلي.

لاحقًا في المساء، قامت والدته بالاتصال بنا، كنت في غرفتي وسمعت أمي تتحدث إليها، كان من الواضح أنها غاضبة، قالت أمي إن الذنب ليس ذنبي لكنني شعرت بالذنب.

أتمنى ألا يضربني أحد هكذا أبدًا، أتمنى ألا يملك أحدهم مبررًا لركلي في المنطقة الحساسة، لقد صدمتني كرة في المنطقة الحساسة من قبل، وكان هذا أسوأ ألم شعرت به في حياتي، أكثر سوءًا من ألم الأسنان، ومن الخطو فوق مسمار، يصعد الألم عبر المعدة حتى يصل إلى الصدر ثم الرأس، قبل أن يسيطر على كامل جسدك.

أتمنى ألا يحاول الأخوين جمع فريق من الصِبية الأكبر سنًا والأكثر تهورًا، فلدى بعضهم دراجات بخارية لذا يسهل عليهم اللحاق بنا في طريقنا إلى المنزل، شعرت عندها بالندم على كسر السيف، وعلى سرقة الحلوى.

يقول "كريستيان بور" فجأة:

- سوف أذهب إلى المنزل.

يقف ويرحل، وأبقى مع "علي" وحدنا في الكابينة، كان أمامنا طريق طويل، من بداية "جريمسباير" وحتى المنزل.

لم نتحرك مباشرة في اتجاه المنزل، بل قررنا التوجه إلى وسط المدينة أولًا ثم السير في الطرق السفلية مرورًا بمدرسة "فوس فوجس".

قطعنا الرحلة طويلة، نتسلل كفئرانٍ خائفة بين الساحات، ونجري لنختبئ عند سماع أي صوت، وتتسارع دقات قلبينا، رغم أني ما زلت أملك جزءًا من سلاح، وفجأة أدركت أني في حاجة للذهاب إلى الحمام.

- أحتاج إلى دخول الحمام.
- الآن؟
- أجل.

لا توجد حمامات عامة في الضواحي، عندما تكون بعيدًا عن منزلك كل ما يمكنك فعله هو الدق على أبواب المنازل وطلب استخدام الحمام، ويسمح لك أغلب الناس بذلك.

أتوقف أمام أحد المنازل وأدق الجرس، وتفتح الباب سيدة صغيرة.

- هل يمكنني استخدام الحمام؟

تتفحصني قليلًا، و"علي" خلفي.

- بالطبع، تفضل.

استخدمت الحمام وعندما أخرج أجدها في انتظاري.

- شكرًا.

- عفوًا.

تغلق الباب.

نستكمل رحلتنا، وعندما نصل إلى مدرسة "فوس فوجس" نتلفت لنتأكد أن لا أحد يلاحقنا، لا يشعر "علي" بالخوف فهو لم يقم بشيء يذكر.

- لم لا نذهب إلى المنزل الآن؟

- أنت محق، فلا أحد يلاحقنا.

نخرج من مخبأنا، أصبحنا الآن في أمان، في منطقتنا، نمر من خلال ساحة المدرسة، وفجأة نسمع صيحة.

- ها هم.

يجري الأخوان نحونا، فيتجمد الدم في عروقي، وأسمع صوت دراجة بخارية، يبدأ "علي" في الجري أعلى التل، ويطارده الصبي ذو الدراجة، إنه الأخ الأكبر غالبًا، أحاول التوقف عن التفكير في تلك التفاصيل، وألقي سلاحي وأشرع في الجري محاولًا الوصول إلى المنزل.

- هذا هو.

يلاحقونني لأنني كسرت السيف، إذا أمسكوا بي فسوف يشبعونني ضربًا، أزيد من سرعة الجري لكنهم يلاحقونني بسرعة أكبر، ويقترب صوت الدراجة مني.

أنحرف نحو سور منازل المدينة، وعندما أتلفت خلفي أرى الأخ الآخر يلاحقني، إنه الصبي صاحب السيف، يطاردني حتى الحديقة، لا أرى أثرًا للأخوين الآخرين، لن يمسكوا بي مطلقًا.

أخيرًا أصل إلى المنزل، أنا في المنزل الآن، لن يستطيعون ضربي هنا، ألاحظ ساعتها لوحًا خشبيًا بين الحشائش، فأنحني لألتقطه في سرعة خاطفة، وأرفعه ثم أستدير.

يتوقف الصبي أمامي، ينظر إلى اللوح الخشبي الذي أرفعه في الهواء، ما زال أخوه والصبي الآخر ذو الدراجة النارية يبحثان عنا، أسمع نداءهما لكني لا أراهما، هذا جيد، يصيح صاحب السيف ليناديهم، لم يكن يبتسم الآن، لقد كسر هذا الأحمق سيفي وضربني بحماقة على ظهري.

ننظر إلى بعضنا البعض، كنت متأهبًا لإلقاء العصا عليه، لكن يبدو أنه أدرك فجأة كونه بمفرده، بعيدًا عن منزله، ورأيت التردد باديًا عليه، أخذ ينظر خلفه ثم ينظر إلي مجددًا، كان خائفًا.

أتمتم قائلًا:

- أيها الأحمق الحقير.

كاد يؤذيني، بل إنه أذاني بالفعل، لقد شعر بمتعة في الأمر، لأن لديه أخوة، لديه كل شيء، لديه سيف مميز، ويملك أخيه دراجة، إنه أحد أفراد عصابة "جريمسباير"، سوف يبرحونني ضربًا، ربما ليس الآن لكن لاحقًا، في المدرسة،

أو ملعب الكرة، هم اثنين أو ثلاثة وأنا واحد فقط، يوما ما، بينما أسير في مكان ما سوف يظهرون، وسيلقي أحدهم بكرة على رأسي، ثم سيقومون بركلي في المنطقة الحساسة، ويضحكون عندما أبكي.

ينظر خلفه ثم ينظر نحوي، فأقوم بإلقاء العصا.

تصيب جبهته، ويمسك برأسه ثم ينظر إلى يده، كان هناك الكثير من الدم، لقد غطت الدماء كفه، أخذ الجرح ينزف بغزارة، فشعر بالخوف، وعلا وجهه اليأس، ثم بدأ في الصراخ والتلفت حوله بقلة حيلة.

أيها الأحمق، إياك أن تظن أن بوسعك إيذائي، فلست خائفًا منك، سوف أقتلك إن اقتربت مني، أنا أملكك، أنا أقوى منك، سوف أقتلكم جميعًا.

أجري نحو صوت الدراجة، وأقفز مباشرة تجاه القائد، كان مراهقًا يكبرني بخمس أو ست أعوام على الأقل، لكنه ليس مستعدًا، ولا يرتدي خوذة، فأضربه في رأسه بأقصى قوتي، ثم ألكمه في المنطقة الحساسة، فيسقط من فوق الدراجة، وتنحرف الدراجة إلى الرصيف لكنها لا تتوقف عن السير، فأصرخ، ويجري أحدهم خلفي ويحملني.

- هل فقدت عقلك يا صبي؟

كنت عاجزًا عن الرؤية، والدمع يملأ عيناي، أركل في كل اتجاه بينما أصرخ بأعلى صوتي مرة تلو الأخرى.

- سفلة، سفلة، سوف أقتلكم أيها السفلة.

▲

يملك المزارع ساقًا خشبية ويسير بمساعدة عكاز، إنه مزعج وكذلك زوجته.

لديهما ابنتان: "لوفي" و"إرنا".

"إرنا" لطيفة، تتحدث إليّ أحيانًا وتعيرني الكتب، مع أنه لا يسمح لي باستعارة الكتب لأنني قد أفسدها، لكنها تسرق من أجلي كتبًا مثل "طرزان"، و"آنا من ستوروبورج"، إنها كتب خلابة.

أما "لوفي" فمجرد فتاة كبيرة، لا تتحدث إليّ.

يختلف هذا الحقل عن الذي ذهبت إليه من قبل، لا أحب التواجد هنا، فالجميع يتحدثون بطريقة قبيحة، ويتلفظون بعبارات سيئة، كما أن مزاجهم سيء دومًا، لا أشعر بالراحة عند تواجدي معهم، بل إنني أخشاهم.

وعلى الجانب الآخر، فلست مجبرًا هنا على تناول طعام أكثر مما أريد، لا أحد يجبرني على ذلك، هذا جيد، لأنهم يأكلون الكثير من الطعام المقزز.

تسللت ذات مرة إلى المطبخ واختلست نظرة إلى الحلة لأرى ماذا يعدون للعشاء، لكني صعقت حتى أني قفزت إلى الخلف، حيث رأيت في الماء المغلي أربعة من حلمات الأبقار، ولقد تناولهم المُزارع في المساء.

انتقلت جدتي إلى دار للمسنين فور وصولي إلى الريف، وعند وصولي أرسلت لها بخطاب:

"جدتي العزيزة، علمت بانتقالك إلى دار للمسنين، وأنه صار لديك الآن غرفة جيدة مع سيدة، أتمنى ألا تكون مزعجة، الريف هنا ممتع، وهناك الكثير من الخراف، والقطط.

أراكِ قريبًا، حفظكِ الله"

⧗

يوجد في الحقل عامل يدعى "سكولي"، قليلًا ما يتحدث، يتحرك في الصباح الباكر لإصلاح السور وقيادة الجرار، عادةً ما يعمل بمفرده لكني أذهب أحيانًا لمساعدته، أحب التواجد معه لأنه لا يتحدث.

شعرت مرة بالمرض فأخبرت زوجة المزارع.

- لا تستمع إلى وسوسة الشيطان، أنت لا تعاني إلا من بعض الكسل، فلتذهب لمساعدة "سكولي" الآن.

لا أملك غير الطاعة، لكني كنت مريضًا حقًا.

كان الطقس باردًا وممطرًا، مددت لـ"سكولي" يد العون حتى تقيأت.

أخذني "سكولي" إلى المنزل ووبَّخ السيدة، كانت هذه هي المرة الوحيدة التي أسمعه يتحدث فيها.

- هذا من أفعالك السيئة أيتها اللعينة، لماذا ترسلين الصبي إلى الخارج بينما هو مريض؟

- ظننته يتكاسل.

- إنه مريض، وحرارته مرتفعة، لقد تقيأ بينما كان يضع الخطاطيف من أجل السلك الشائك.

- لم أعرف ذلك.

- لأنك مشغولة بإصدار الأوامر.

ثم خرج وصفع الباب خلفه، ونظرت السيدة إليّ.

- عد إلى فراشك يا هذا.

عندما وصلت إلى هناك، وجدت فتاة صغيرة، كان لديها إعاقة ما، لكنها رحلت سريعًا، أعتقد أنها رحلت لأنها كانت تصرخ كثيرًا، كنت أسمعها تصرخ أحيانًا في الليل فيصرخ فيها المزارع.

- توقفي عن العواء أيتها البلهاء.

تحدثت إلى أمي بعد قضائي أسابيع قليلة في الريف، فبدأت في البكاء.

- لا أريد البقاء هنا.

- عليك أن تتحلى بالهدوء، لا تبك.

- تعالوا وخذوني.

- لا يمكن أن يكون الحال بهذا السوء.

- إنه كذلك.

- أليس هناك كلب؟ يمكنك اللعب معه.

- كلا. أريد العودة إلى المنزل.

- كن فتى جيد.

لا تستمع إليّ مُطلقًا، وبكيت بحسرة حتى إنني لم أتمكن من الحديث، فأخذت زوجة المزارع التليفون وطمأنت أمي:

- إنه - كما تعرفين - يشعر ببعض الضيق، ويحتاج إلى هواء نقي.

وصلتني بعد أسبوع بطاقة معايدة من أمي، كتبت فيها: "ابني العزيز، من الجيد أنك مستمتع بوقتك في الريف".

شعرتُ بالانهيار وشرعت في البكاء، لم أشعر بالوحدة قط مثلما شعرت ذلك اليوم، لا أحد يهتم بي أو بحياتي.

△

يتوجب عليّ مشاركة الآخرين الأعباء هنا، كالمساعدة في أعمال المنزل والأعمال الأخرى، فأقود البقر إلى الحقل بعد أن يتم حلبها، وأُعيدُها من الحقل كذلك، وهو الأمر الأصعب على الإطلاق، حيث تجري الخرفان سريعًا وتدخل الخنادق للاختباء.

يقول المزارع:

- "چون"، هناك "سكاتيور" في الحقل.

"سكاتيور" هو نوع من الخرفان. فأخرج وأتفحص الحقل، وعندما لا أرى أي خرفان أعود إلى الداخل.

يتمتع الجميع برؤية أفضل مني.

- لا أرى أي خرفان.

يهب واقفًا وهو يردد اللعنات.

- اللعنة، الرحمة يا ربي.

أسير وراءه حتى الحقل.

يشير بغضب:

- هناك.

إذا قمت بفرك عيني أرى بشكل أفضل، أفعلها لكني ما زلت لا أرى الخرفان.

- أليست جميعًا أبقار؟

- لا تتحدث إليّ عن الأبقار، هل أنت أحمق أيها الصبي؟

لا أرى خرفان، ولا أعلم إلى أين أتجه الآن، فالحقل ضخم، أقف في مكاني وأنتظر، فيضرب ظهري.

- هل أنت متغطرس؟

- كلا.

- فلتقم بالأمر إذا، أيها الأحمق البائس.

يرفع سوطه متظاهرًا بالشروع في ضربي، أجري في الحقل بين الحشائش المُبللة الطويلة.

في النهاية أرى الخرفان، هناك حملين صغيرين، عندما يلحظان اقترابي يجريان، كانا أكثر مني سرعة، هربًا وغابًا عن بصري ثانية.

أقف وأحاول تخمين مكانهما، لكن يبدو كأن الأرض قد ابتلعتهما، أو لعلهما دلفا إلى خندق، أو جلسا بين الحشائش الطويلة، كانا الآن غير مرئيين.

ما زال المزارع اللعين يقف في المرج، كنت بعيدًا عنه الآن حتى أني لا أراه ولكني أسمع صراخه.

- عليك اللعنة أيها الصبي الأبله، فلتقم بالمهمة. هيا.. طارد الخرفان.

أعود إلى المكان السابق وأحاول العثور عليهما، أهرول ذهابًا وإيابًا وأقف قليلًا لأتفحص المكان، أرى شيئًا فأجري نحوه، لكنه مجرد سراب، ربما عادا من حيث أتيا.

أصيح عبر الحقل:

- أعتقد أنهما رجعا.

لا يجيب، أظنه عاد في الأغلب إلى المنزل، مما يعني أن الحملان عادا إلى مكانهما الصحيح أيضًا.

يمر الجرار عبر الحقل، ويقوم أحدهم بالضغط على البنزين عدة مرات بقوة، مما يساعد على إحماء المحرك، إنه "سكولي" العامل غالبًا.

أرمق الجرار وهو يتحرك، لا بُدّ أن "سكولي" جاء لإصلاح السور كي لا تهرب الخرفان مجددًا.

أسير نحوه، فأنا أحب مساعدة "سكولي"، نكسر الأعمدة ونبني السور ونقوم بإصلاحه، يمكنني إزالة المسامير بالكماشة أو تثبيتها بالشاكوش، تبتل قدماي في الحشائش، لكن لا بأس من ذلك، فالطقس ليس باردًا، وسوف تجف في الشمس.

يقترب الجرار، وألاحظ أن القائد ليس "سكولي" وإنما المزارع، كان يبدو عليه الغضب.

- أنت أحمق ملعون.

أحاول التفسير:

- لقد ذهبا، عادا من تلقاء نفسهما.

يقول:

- لا نفع منك، هل تدفعني لضربك؟

ويقود الجرار نحوي.

يحرك عصاه ويلوح بها تجاهي، وأسمع صوتها بالقرب مني، أشعر بالخوف وأشرع في البكاء، أنا أكره هذا الرجل، وأخافه، فبإمكانه صفعي بعصاه، لقد رأيته يضرب الكلب في الردهة من قبل، يحرك العصا بجانبه فتصدر صوتًا مخيفًا، أكره هذا الحقل اللعين وكل من به.

- اغرب عن وجهي، أنت عديم الفائدة.

أجري نحوه وأسحب العصا منه، وأحاول ضربه بها لكن يدي ترتعش فيتمكن من صد الضربة بيديه بسهولة.

- اذهب إلى الجحيم أيها الرجل الكريه.

أضرب الجرار حتى تنكسر العصا.

- هل فقدت صوابك أيها الفتى؟

- اخرس يا حقيبة القمامة المقززة.

ثم أُلقي بالعصا وأجري عائدًا، فيقود الجرار خلفي لكنه لا يستطيع النزول من الجرار دون عصاه.

كانت "لوفي" في المطبخ، استدارت ناحيتي عندما دخلت.

- ماذا هناك؟

صرخت وهجمت عليها أشد شعرها، واصلت ذلك حتى تسقط على الأرض وتصرخ.

صرخت أنا الآخر.

- أنا أكرهك.

مزقت القلادة التي ترتديها وألقيت بها بعيدًا. أريد تدمير كل ما يحبونه.

أقف وأتناول الأواني الفخارية وألقي بها أرضًا فتنكسر، وتتناثر أجزاء الزجاج على أرض المطبخ.

يأتي صوت زوجة المزارع من غرفة المعيشة:

- ماذا يحدث؟

- اصمتي أيتها العجوز المنفرة.

أريد الرحيل، أجري إلى الخارج، أنوي الذهاب إلى المدينة المجاورة "هوساڤيك"، ومن هناك سأعود إلى منزلي، أجري عبر الحقل، ويكاد الدمع أن يحجب عني الرؤية، أعلق بالسور الشائك فأصاب بجروح وأنزف، لكن لا يهم، أريد جرح نفسي بسكين، والدخول إلى أعماقي لإزالة الشيء المسؤول عن كوني صبيًا سيئًا أيًا ما كان.

أشعر كأن بداخلي قطة تقوم بخدشي من الداخل، أنا أكره الجميع، أكره هؤلاء الناس وتلك الخراف، كذلك أكره أبي وأمي لأنهما أرسلاني إلى هنا.

يأتي "سكولي" خلفي في السيارة ذات الدفع الرباعي، ليس هناك مكان أفر إليه، كما أنني منهك، وصدري يؤلمني، لا أستطيع التنفس، سوف أذهب إلى

مكان آخر ولن أعود مطلقًا، وإذا حاول جذبي سوف أقوم بعَضِّهِ، لكنه لم يحاول، وإنما أوقف السيارة وخفض الزجاج.

قال بصوت هادئ:

- هيا يا صديقي.

لم يكن غاضبًا.

أقول باكيًا:

- أريد الذهاب إلى منزلي.

- أجل، هذا واضح، لكن لماذا لا تأتي أولًا لتلتقط أنفاسك؟

أجلس في السيارة، لا أعلم ماذا أفعل غير ذلك، لا أعلم أين أذهب، لا أعرف لي طريقًا، لا يتحدث "سكولي"، ويكتفي بقيادة السيارة.

أراهم جميعا في الخارج بالحقل، أبقى بالسيارة ريثما يتحدث "سكولي" إليهم.

- ما سبب ذلك؟

- لقد ثار فجأة.

- دخل المطبخ وهاجم "لوفي" ثم حطم الأشياء.

تضيف زوجة المزارع:

- هناك خلل في عقله.

سأله "سكولي":

- أيعني هذا أنك لم تقل شيئًا يثيره؟

كان ذهني عالقًا، لا أعرف ماذا يحدث ولا أعلم ماذا يجب أن أفعل، أتمنى لو كنت بغرفتي، أشعر بالبرد رغم سطوع الشمس، أريد أن أستحم وأنام، أريد أن

أستلقي على الأرض وحدي، أو أدخل في الإبهام العملاق، في أعماق أعماقي، عبر القلب، ثم أخرج من الجهة الأخرى.

يأخذونني إلى الإسطبل، فلا يمكنني العودة إلى المنزل قبل أن أهدأ، تغلق زوجة المزارع العجوز الباب.

- اجلس هنا وفكر بما فعلت.

هناك نوافذ بالإسطبل لكنها مرتفعة، أجمع كل ما أجد من جرافات وأكسرها، ثم أخذ العصي والرؤوس وألقي بها على النوافذ إلى أن تتحطم، بعد ذلك أستلقي وسط كومة القش، وأبكي إلى أن أنام.

⊙

لا يتحدث شخص عن الأمر، وتستمر الحياة كالعادة، استنتجوا الآن أني عديم النفع وكسول فتركوني في سلام، لا أعلم إن كانوا قد تحدثوا إلى أمي ولا أكترث، فهي لن تفعل شيئًا على أي حال.

لا أحد يأبه بي.

منذ تلك الواقعة، أُبقي جيبي دائمًا ممتلئًا بالصخور التي أجدها في الحقل، أختار الصخور المستديرة الثقيلة، فقد أعلنت الحرب على الخرفان، أنا أكرهها، لماذا تتسلل إلى الحقل دائمًا؟ إذا رأيتها هناك فسأُلقي عليها الصخور، أحاولُ إخافتها من التواجد في الحقل، ولا أتردد في ضرب الحملان إن اقتربت منها، سيعلمها ذلك الالتزام بأماكنها، لاحظت أحدهما مرة يحاول العبور من بين السور فأصابه الرعب عندما رآني، تمكنت من ركله في المعدة بينما كان يحاول الهروب، وانتابني شعور جيد حينها، هكذا سيفكر جيدًا قبل التسلل، وإن فعل ذلك مجددًا فسوف أقتله وأقطع رأسه ثم أعلقها فوق عمود حتى يراه الآخرون، فيخافون جميعًا.

لدي أيضًا عصا تشبه تلك التي يحملها "هيجالتي" في قصة "آنا من ستوروبورج"، إنه مجراف، أستخدمه للقفز فوق الأشياء مثله، كما تساعدني

على التحرك أسرع وعلى القفز من فوق الخنادق، أحيانًا أسبق الخرفان عندما أطاردها بفضل تلك العصا.

هذه الماشية لعينة، فهي قذرة ومقززة وغبية، أكرهها أكثر من أي شيء آخر في العالم.

أكره كل من يعيشون في الحقل عدا "إرنا"، لكنها واحدة منهم، هم جميعًا سيؤون، أكره أمي وأبي كذلك لأنهم لم يهتموا بي، لكني أكره الخرفان أكثر من الجميع، فدائمًا ما تسخر مني، كل هذا بسببها، تهرب وتختبئ وتضطرني للجري خلفها، إنها تعرف جيدًا ما تفعله.

أضرب الأبقار، مستخدمًا سوطًا، إن عاندتني ولم تتحرك من أو إلى الإسطبل، أقوم بتحذيرها، أضربها، وإن استمرت في العصيان، أقوم بجلدها ثلاث مرات بقوة، أجعلها تجري عندما أقودها في الصباح، وعليها طاعتي وتنفيذ أوامري، وإن لم تفعل أضربها.

بقرتي المفضلة هي "سنو وايت"، وهي أكثرها ذكاء، إنها مطيعة دائمًا ولا تتمرد أبدًا، لكني أضربها أحيانًا بالسوط بدون سبب، فقط لأنها أمامي، لا أعرف سبب لفعلي ذلك، ربما أنا شرير، أريد أن أؤلمها لتشعر بما أشعر به.

قد يؤنبني ضميري أحيانًا لأنني أذيت "سنو وايت"، فأتسلل إلى الإسطبل وأطلب منها العفو، وتعفو عني دائمًا، أبكي أحيانًا وأعانقها فتقف ثابتة، لو

كان لديها ذراعين لعانقتني بالمثل، أنا واثق من ذلك، إنها تعرف الألم الذي أشعر به داخلي، تفهم ذلك عندما أضربها بالسوط، إنها صديقتي الوحيدة.

أنا شرير، والشر يتكاثر داخلي، أشعر أنني مثير للاشمئزاز، وجهي مثير للاشمئزاز، وجسدي كذلك، كما أن لديّ يدين قبيحتين وأقوم بقضم أظافري، وصوتي أيضًا مثير للاشمئزاز، لا أحب التحدث، ولا يمكنني مطالعة وجهي في المرآة، أحاول تجنب رؤيته، وعندما أنظف أسناني أفضل النظر إلى الأرض، أنا أكره نفسي، وأكره الجميع.

⧗

"[...] حجم "چون" طبيعي بالنسبة لعمره، وأبعاده جيدة، لكن له طلَّة غريبة، فعيناه عميقتان وبهما حول، كما يعاني من عدم الانسيابية عند استخدامه أعضاء جسده المختلفة"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٤/٢)

△

"لدى الصبي شعر أحمر فاتح قصير من الأعلى، ووجه به نمش، وجسد ممتلئ. يكون الطقس لطيفًا ومشمسًا عند مجيئه لكنه دائمًا ما يرتدي ملابسًا بنفسجية ومعطفًا، كما أنه يعاني دائمًا من نزلات البرد"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٥/٩)

""چون" في الخامسة من عمره، له شعر أحمر، بتصفيفة عتيقة، عيناه كبيرتان، لونهما أزرق، لكنهما متبلدتان، لحاجبيه ورموشه لون أبيض. إنه متأنق وجيد الهندام دائمًا"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٣/٣/٧)

⊙

جاء أبي وأمي لاحقًا في الصيف للزيارة، حيث كانا في رحلة وقررا المرور بي، كان ذلك في موسم درس التبن، خيَّما خلف الحقل لمدة يومين، وشارك أبي في عملية الدرس.

أحب الجميع أبي، حتى إنهم تعجبوا من إنجاب رجل مرح مثله لطفلٍ مريع مثلي.

ثم اصطحباني والدي معهما عند الرحيل، وشعرت أمي أنهم أشخاص غرباء.

جمعت أشيائي وجلست في السيارة، ولم أُودِّع أحدًا.

عندما عُدنا إلى المنزل، رأيتُ الصور التي قام أبي وأمي بالتقاطها هذا الصيف، كانت هناك صور لهم في معسكر مع آخرين، رأيتُ في الصور "كريستين" وأسرتها وآخرين، كما أن هناك صور لرحلة صيد، بدا فيها الجميع سعداء، ووقف أبي في إحدى الصور وأمامه الكثير من السمك، ورأيته في صورة أخرى يبتسم مع مجموعة من الأطفال.

لا أعرف لماذا لا يصطحبني إلى أي مكان، لا أعرف ما خطبي، يا له من أمر مزعج! كنت أفضل الذهاب للصيد معهما عن الذهاب إلى الريف.

عندما بدأت المدرسة في الخريف أرسلني المعلم للكشف على نظري، فتبين أنني أعاني من "إستجماتزم"، وقُصر نظر، مما يعني حاجتي إلى نظارة.

أخذني أبي لشراء النظارة.

عندما خرجنا شعرت بالانبهار، لقد تغير العالم، أصبح ممتلئًا بتفاصيل لا حصر لها، وبدلًا من الضباب صرت أرى ألوانًا واضحة، لقد كنت أرى العالم وكأن هناك طبقة من الماء بيننا، لقد تغيرت نظرتي للعالم في لحظة، كأنني في عالم جديد لم أره من قبل، لقد أتى أحدهم وبدَّل كل شيء، ما عاد ضوء المصابيح مُرتعِشًا، أستطيع الآن الرؤية إلى ما لا نهاية، أصبح "أسجا" جبل به منخفضات وثلج بدلًا من كونه مجرد كتلة مظلمة بعيدة، ابتعد الضباب وصارت خطوط المنزل والأشجار أكثر وضوحًا، وساحات صف السيارات، إن الضوء رائع. شعرت كأني ولدت من جديد.

تعافيتُ سريعًا ونسيتُ أمر الريف، لقد تم دفنه، اختفى في ضباب الماضي، كأن شيئًا لم يحدث قط.

كانوا يجلسون في غرفة المعيشة يضحكون، وبدت أمي سعيدة، وهي تصب لهم القهوة.

- خمنوا من أتى لزيارتكم؟

لقد تغيروا، حتى وجوههم أصبحت مختلفة.

لم أقم بتحيتهم، فلم أرد ذلك، لم أستوعب سبب سماح أمي لهم بالدخول، ذهبت إلى غرفتي وبقيت بها حتى رحلوا، ثم نزلت ووبخت أمي.

سألتها:

- ما خطبك؟
- انس الأمر.
- أكره هؤلاء الأشرار.
- لا تتحدث بهذه الطريقة.
- جميعهم مختلون.
- كلا، ليسوا مختلون، هم فقط مختلفون.

كررتُ التصريح بكرهي لهم، وهزت أمي رأسها اعتراضًا ولم تجبني.

هل ارتكبت خطأ ما؟ هل الآخرون دائمًا على صواب؟ كيف يجب أن أتصرف؟ ما هي القواعد غير المرئية التي تُخفى عني؟ ما هو "الطبيعي ؟ لا أعرف ماذا أرتكب من أخطاء، لا أعرف، لا أعرف كيف أُقيِّم الأمور، هل أنا أسعى لجذب الانتباه؟ هل أنا أناني؟ هل أنا جيد أم شرير؟ لماذا أحمل كل هذا داخل روحي؟ بينما تستريح أرواح الآخرين على أرائك فاخرة، في مكان أعلى، وكأن روحي تريد أن تلعنني، بينما ينام الآخرون أظل مستيقظًا وأقضم أظافري.

تم اعتباري كسولًا في الريف لأنني لم ألاحق الخرفان، لكني لم أكن كسولًا، بل إني أحب الجري، كل ما في الأمر أني لم أتمكن من رؤيتها، لم أكن أدري في أي اتجاه كان يجب أن أجري، لم أكن أرى ما يراه الآخرون، فما وجدوه طبيعيًا كان غامضًا بالنسبة لي، لا يظهر لي إلا بعد أن يخبرني به أحدهم.

●

أقوم بالاختباء في السيارة، فلا أريد لأحد أن يراني في ملابسي المضحكة، ملابس سخيفة بنية اللون وخامتها تلسع، كنت أرتدي قميصًا وسترة، وحذاء لونه بني قبيح كذلك، سوف يحملق الجميع بي، كأنهم يشاهدون قردًا يرتدي ملابسًا ظريفة.

تضحك أمي وتغيظني.

- من في ظنك سيراك؟

لا يهم، من الأفضل ألا يراني أحد، لا أريد أن أكون في داخل هذه الملابس الغبية، لقد أجبروني على ارتداءها، لا أريد الذهاب إلى هذا المسرح السخيف، كل المسرحيات مملة، عدا مسرحية "بيجيون بانكوا"، وهذه ليست "بيجيون بانكوا" بل مسرحية مختلفة، إحدى مسرحيات الكبار المملة.

أجلس على الأرض أمام المقعد الخلفي طوال الطريق.

عندما نصل إلى المسرح، أجلس في مقعدي وأتطلع إلى الأمام مباشرة، أتمنى ألا أصادف أحدًا أعرفه هنا.

يطفئون الأضواء وتبدأ المسرحية، ويبدأ معها تعليمي الروحي:

ترتفع من الأرض الطينية اليومية وتستحم في الأضواء السحرية للشمس الروحية، تمتص كل كلمة وكل حركة، يا لها من فاتنة.

تدعى المسرحية "المعجزة"، وهي مأخوذة عن كتاب يحمل اسم الكاتب "بوربيجيور بوروسون" نفسه، لقد كان مختلفًا، كان يُشبهني، حتى إن له شعر أحمر، ربما لست أحمقًا، وإنما معجزة، سوف يفسر هذا الكثير.

أشعر بتلك الروح المُعذَّبة ويجول ذهني ذهابًا وإيابًا، أشعر برغبة الروح العارمة في أشياءٍ لا يمكنها معرفتها، وتضعها فوق كل شيء آخر، كما أدرك كيف هو الشعور بعدم التكافؤ، والعجز الثقافي، وعدم القدرة على التأقلم مع الطبيعي والمألوف.

أرتفع عن مقعدي وأنجذب إلى المسرح حيث أمتزج بـ"بوربيجيور بوروسون" ونصير واحد، إنه أنا.

لقد وجدت رفيق روحي، الرابط بيني وبين وجودي، وجدته أخيرًا بعد كل ذلك البحث، هل يمكن أن أكون متبنىًا؟ لسبب ما يجب أن يكون "بوربيجيور" هو والدي، إن لم يكن بيولوجيًا فعلى الأقل عقليًا، روحي هي روحه، هل من الممكن أن تكون أمي قد خانت أبي؟

من الناحية الجسدية، كنت أجلس ثابتًا في ملابسي بنية اللون، صبي في الثانية عشر من عمره، لكن أحدًا لا يرى روحي وهي ترقص على الجدران فرحًا بحريتي التي وجدتها أخيرًا، لقد وقعتُ في الغرام.

منذ الآن فصاعدًا لن أكون الشخص نفسه مرة أخرى.

نسيتُ أن أختبئ أمام المقعد الخلفي في طريق العودة إلى المنزل.

■

يومًا ما سيأتي العام 2000، لا أعرف متي تحديدًا، ولا أعرف في أي عام نحن، لكني أعرف أني ولدت في يناير عام 1967، أعرف ذلك لكني لا أعرف معناه، ولا أعرف كم من الوقت مر منذ ذلك.

سوف أنتقل عندما أكبر إلى أريزونا، وأعيش حياة هندي أحمر حقيقي، سوف أمتلك حصانًا وأعيش في خيمة، وسأغيِّر اسمي، فأنا أكرهه، وسأحمل اسمًا هنديًا مميزًا مثل "النسر الكبير" أو "القدم الخفيفة" بدلًا من "چون جنار".

لن أستخدم القوس والرماح، بل أنبوبًا يُطلِق سهامًا مسمومة، لقد رأيت ذلك في برنامج على التليفزيون عن الهنود الحمر في جنوب أمريكا، نزلت بعد مشاهدة الحلقة إلى القبو، ووجدت أنابيب بلاستيكية، وصنعت سهام عن طريق لف الورق وجعل إحدى الناحيتين أنحف من الأخرى، ثم وضعت المسامير في تلك الناحية وقمت بتثبيتها باستخدام الصمغ.

كانت سهامي تصل إلى مسافاتٍ بعيدة، صنعتُ لاحقًا عددًا أكثر من السهام ووجدتُ أنابيب أكبر بإمكانها إطلاق سهامٍ أكبر، كما جعلت السهام أجمل شكلًا والحواف أكثر حدة، سرقتُ إبر خياطة كبيرة من صندوق أمي وقمت بتثبيتها في الأطراف بالصمغ والشريط اللاصق.

إن لم أتمكن من الانتقال إلى أريزونا فسوف أنتقل إلى حديقة "بينجفيلر" وأعيش في كهف "اللافا" وأُصبحُ خارجًا عن القانون، سوف أتناول العشاء على البحيرة وأصطاد الطير بسهامي، سوف أتلصص على الناس وأسرق ما أحتاج إليه منهم دون أن يروني، لن أسمح لأحد بأن يراني أو يعرف بأمر كهفي، وسأصنع ملابسي من جلد الغزلان، وسوف أستيقظ وأنام حسب رغبتي، وسوف يكون في كهفي نيران جميلة موقدة دائمًا، لن أذهب إلى المدينة إلا لزيارة المكتبة لاستعارة الكتب التي سوف أقرؤها في كهفي.

▲

صارت العوَّامة جاهزة، لقد صنعتُها بتثبيت الألواح إلى برميل زيت بواسطة بعض الحبال، ووضعت عصا طويلة في المنتصف كالساري، ثم وضعت فوقها مفرش وثبّته بالحبال، لقد سرقت المفرش من أمي، وها قد صار الآن شراعًا.

كتبت اسم المركب على الجانب، مستخدمًا دهان أسود وجدته في صفيحة، أسميتها "كونتيكي" تيمنًا باسم المركب الذي استخدمه "ثور هيرداهل" لعبور المحيط الهادئ، لكني لن أبحر بعيدًا مثله، بل سأذهب إلى البحر لاصطياد الأسماك من أجل العشاء، سوف أعبر "كولاڤيوثر" على أقصى تقدير وصولًا إلى "ريكياڤيك"، وهي ليست مسافة بعيدة، كما قد أستخدم المركب للتنقل بين البقاع، وزيارة "رونا" و"جريتار".

لقد انتقل "رونا" و"جريتار" حديثًا إلى "جالارنس"، حيث يعيشان الآن في منزل صغير بالقرب من حقل الطيور في "مور"، كان منزلهما عبارة عن إسطبل لكن "جريتار" أزال فضلات الأحصنة، وبدّل النوافذ وقام بإصلاح كل شيء.

يعمل "جريتار" في "مور".

يمكنني زيارتهما وقتما شئت، سأحاول الذهاب كلما أمكنني، وإن لم يوافق أحد على اصطحابي إلى هناك بالسيارة، فسأبحث عمن يقلّني، وسأقضى معهما العطلة الأسبوعية والإجازات، ذلك أفضل من البقاء مقيدًا في المدينة.

أقضي معظم الوقت على الشاطئ، أصنع هناك الكثير من المراكب من كل أنواع القمامة المُتاحة، وأضعها في البحر ثم أتظاهر أنها معرضة لهجوم، وأقذفها بالحجارة، وإن أبحرت بعيدًا فلقد نجت من الهجوم وهربت.

أخذ معي الهوت دوج أحيانًا وأقوم بشيِّه على نار.

يمكنني قضاء اليوم بأكمله على الشاطئ، أجمع الأشياء، وأشعل النيران، وأتسلق الصخر، وربما أقوم بربط حبل على أعمدة السور، فأتمكن من التأرجح، وقد أذهب في جولات استكشافية عبر الشاطئ.

أصبح مركبي جاهزًا، وكان الطقس جيدًا ومناسبًا للإبحار، كما كان الماء مستقرًا، لذا قمت بإنزال المركب إلى البحر، وعندما أصبح في عمق مناسب قمت بالقفز داخله.

قدتُ المركب بمجداف وجدته على الشاطئ، كان المجداف عبارة عن لوحٍ طويل.

سأستخدمه لدفع المركب بضرب جانب البحر أو الصخور، وسيساعد الشراع أيضًا.

من الصعب الابتعاد عن اليابسة، فالمياه تعيد المركب إلى الشاطئ، أرهقتني محاولات دفعه وإنقاذه من بين الصخور.

يوجد نهر صغير ينصب في البحر بعد مسافة صغيرة، إذا وصلت بالمركب إلى هناك يمكنني استغلال اندفاع النهر في دفع مركبي إلى مسافة أعمق في البحر.

عدت إلى اليابسة واستخدمت الحبل لسحب المركب إلى مصب النهر، وهناك قفزت في المركب.

جاء هذا بنتيجة أفضل، وفي دقائق قليلة أصبحت بعيدًا عن الشاطئ، كانت المياه عميقة حتى إني عجزت عن لمس القاع بالمجداف، لكن لم تكن هناك رياح كافية لملئ الشراع الآن، سوف تندهش "رونا" بالتأكيد عندما أُحدِّثها من "ريكياڤيك".

- مرحبًا.

- مرحبًا، أين أنت؟

- ممم، أنا في المنزل.

- المنزل؟

- أجل.

- منزل أبي وأمي؟

- أجل.

- كيف وصلت إلى هناك؟

- قمت بالإبحار.

يقشعر جسدي من فرط الحماس، ستكون مفاجأة "رونا" أمرًا رائعًا.

عندما قرر "رونا" و"جريتار" السكن معًا قاما في البداية باستئجار شقة القبو من أبي وأمي، واعتادت "رونا" أن تصعد كل صباح لتقرأ الجريدة وتشرب القهوة، ولما كانت حاملًا كانت تمكث في المنزل كثيرًا بينما يعمل "جريتار".

أعدت "رونا" في إحدى المرات سلطة في صحن وتركته بالمطبخ، فأحضرت بعض الحشرات البلاستيكية ووضعتها في الصحن، كانت تبدو حقيقية، فعلت ذلك ثم ذهبت إلى المدرسة.

عندما عدت من المدرسة، وجدت "رونا" تحبس نفسها في حجرة التليفزيون، لقد قضت اليوم بأكمله هناك بسبب خوفها من الحشرات، كانت غاضبة جدًا إلى درجة أضحكتني، كانت تفعل الشيء نفسه بي عندما كنت صغيرًا، لكني لو كنت أعلم أن هذا سوف يُفزعها حقًا لما فعلته، والحقيقة أن الخوف من حشرات في صحن سلطة بهذه الدرجة لهو أمر سخيف، فهي لا يمكنها أن تضرك؟

بعدما تطلعتُ حولي وتأملتُ المنظر وجلستُ وبدأتُ أتناول الغداء، أحضرت معي "كوكاكولا" وحلوى "مارس"، ثم استلقيت لأستريح، فالإبحار يستغرق وقتًا ليس بالقليل، ربما أتمكن فيما بعد من إضافة محرك لجعل الرحلة أسرع.

غادرت أحلام اليقظة فجأة بسبب حركة في الماء بجانب المركب، أهي أسماك قرش؟ لا أخاف شيئًا في الوجود مثل خوفي من أسماك القرش، لقد شاهدت فيلم "الفك المفترس"، وقرأتُ كتبًا عنها، أعرف أن بإمكانها مُهاجَمِة المراكب.

أخذتُ أتفحص المكان حولي، رأيت ظِلًّا أسود يتحرك تحت الماء مُتجهًا ناحيتي، وقف شعر رأسي، لم أر إلا واحدًا فقط لكن لا بُدّ أن هناك المزيد، أتمنى ألا يكونوا من فصيلة القرش الأبيض، يمكنها تمزيق المركب بسهولة، هل التهامي حيًا في منتصف "كولافورور" هو مصيري؟

كنت بعيدًا عن اليابسة بمسافة مخيفة، لقد اختفت "كجارنيهاس"، ولم تظهر "ريكياڤيك" بعد، لم يعد البحر هادئًا الآن، ظهرت الأمواج وبدأ المركب في الاهتزاز، تضرب الأمواج البراميل فيسري الصوت ويتضخم خلالها، ربما ليست بأمواج، ربما بدأت أسماك القرش في السباحة أسفل المركب، يصيبني الذعر مع كل صدمة وأتفحص المكان حول المركب بيأسٍ.

يميل جانب المركب فجأة، لا أشعر بساقي وأكاد أسقط في الماء، يصيبنى الخوف بالشلل، ثم ينفصل أحد البراميل ويسبح بعيدًا، كان هذا هو البرميل الوحيد الذي لم أُثبّته بمسامير، لم أشعر بمثل هذا الخوف في حياتي قط، كنتُ وحدي في مركبٍ على وشك الغرق مُحاطًا بمجموعةٍ من الأسماك الشرسة المتعطشة للدماء.

إنها ميتة بشعة أن تأكلني أسماك القرش حيًا، قرأت عن ذلك من قبل، حيث ترى ظِلًّا يمر من أسفلك أثناء السباحة في البحر، لكن وضعي أسوأ لأنني عاجز عن رؤية الماء، فلدي قصر نظر، ولا أرى أمامي لمسافة متر واحد في حمام السباحة، وها أنا الآن في بحر داكن، أثناء سباحتك سترى أسماك القرش بوضوح، تسبح أسفل السطح لدراسة ضحيتها من مسافة آمنة، كل ما

تستطيع رؤيته منها هي زعنفة الظهر السوداء عندما تظهر فوق الماء، قبل أن تختفي فجأة تحت الماء، ويعم الصمت، ولا يعلم أحد أين ذهبت، ثم تسبح القرش أسفل الضحية وتتأملها وهي تحاول التملص بلا فائدة.

تأتي الهجمة بدون إنذار، في أكثر لحظة غير متوقعة، يخرج الوحش من قلب الماء، بفك مفتوح، متسع وأسود كالجحيم، مزود بأسنان القرش الحادة، وفجأة، يعض الساق، ويقوم بتحريك الضحية بقوة إلى الأمام والخلف حتى تختلط عليها الأنحاء، ثم يتوقف فجأة مثلما بدأ، ويختفي في الماء، تأخذ الضحية لحظات لتتعافى من الهجمة قبل أن تكتشف أنها تسبح في دمائها، تتحسس ساقها فتجد حفرة كبيرة في الفخذ، ونزيف من الدم، كما تشعر بدفء الدم المتدفق وسط برودة الماء، عندها تبدأ في فقد قوتها، وتتشوش رؤيتها، فتبتلع المزيد من ماء البحر، وقبل أن تفقد الوعي، تأتي الهجمة الثانية.

يا إلهي! تشبثت بالمجداف، وأخذ قلبي يدق بقوة حتى إن دقاته رنت في البراميل، بوم بوم بوم...

كان الخوف خارجًا عن السيطرة، مزيجًا من الدوار والقلق والاضطراب النفسي، أفضل أن يتم تقييدي في كرسي طبيب أسنان على قمة كنيسة "هالجريمس" وتدور الدبابير حول رأسي وتزحف العناكب على وجهي عن التواجد هنا.

ضممت ساقي إلى صدري، كنت أخشى قفز أسماك القرش إلى المركب، شعرت بنقط العرق البارد على جبهتي وبصعوبة في التنفس، وبعيدًا رأيتُ قمة برج كنيسة "هالجريمس"، لقد مر بالفعل، وهذا يعني أني ذاهب نحو المحيط المفتوح.

- يا إلهيّ! لا تدعني أموت بهذه الطريقة.

أضم يدي وأغلق عيني.

- يا مولاي، لن تندم أبدًا على إنقاذي، فلسوف أتوخى الحرص والحذر بعد الآن، سوف أكون لطيفًا تجاه الجميع، ولن أكذب أو أسرق، ولن أكرر هذه الرحلة أبدًا، أعاهدك على هذا يا ربي.

شعرت بتحسن بعد الدعاء، وجلست متمسكًا بقاربي، الشراع! إنه الشراع اللعين يسحبني نحو المحيط.

حاولت الوصول إليه وتمزيقه، عندما فعلتها توقف القارب، وبدأت أتفحص الماء حوله.

سمعت صوتًا مفاجئًا خلفي، صرخت واستدرت، هناك شيء ما يختفي أسفل الماء، لقد بدأت أسماك القرش هجومها.

- النجدة! النجدة!

أصرخ في اتجاه مدينة "ريكياڤيك"، وفي اتجاه مدينة "كجالارنيس"، وألوح بالشراع الممزق.

- النجدة!

فجأة يخرج وجه من الماء، يفزعني الأمر حتى إني أسقط على ظهري.

إنه سبع البحر، كان ينظر إليَّ بعينين فضوليتين، كان قريبًا مني حتى أني رأيتُ شاربه، لم يكن يخشى أسماك القرش.

أخذنا نتأمل بعضنا البعض قليلًا، كنت أتوقع أن يرتفع في الهواء في أية لحظة، ويفتك به فك قرش أبيض ضخم، لكن ذلك لم يحدث، عاد إلى المياه مرة أخرى، ورأيت ظله يسبح تحت سطح الماء مباشرة، أم أن هذا قرش؟

رحت أتفحص المكان في حذر، ثم رأيت شيئًا طمأنني، هناك قارب مطاطي في طريقه نحوي، أخذ يقترب بسرعة كبيرة، مُخلِّفًا زبدًا أبيض وراءه.

إنها النجدة! كانت تقترب مني، لن تحصل أسماك القرش اللعينة على هذه الوجبة، هذا أفضل، رحت أمسح دموعي وأقف على قدمي، لن أسمح لأحد أن يرى خوفي.

وقفت على قاربي وابتسمت في سعادة لرجال الشرطة مثل ربان سفينة حسن النية يبتسم لحرس الحدود.

- صباح الخير.

حييته في سعادة ريثما يقف القارب بالقرب من قاربي.

لم يرد رجل الشرطة التحية، وقال أحدهم:

- اصعد إلى القارب.

تسلقت إلى القارب الخاص بهم، وحاولت أن أوضح أني في خير حال وأن لا داع لكل هذا الاضطراب.

- من أين أتيت؟

أجيب بفخر:

- من "ريكياڤيك".

يشير الضابط إلى قائد القارب ونتجه نحو "كجالارنيس"، ثم يتحدث في الراديو:

- المحطة؟

أسمع تشويشًا ثم تُجيب امرأة:

- أجل.

- لقد وجدنا الصبي، إنه بخير.

أسمع تشويشًا ثم صمت قصير.

- جيد، أين هو؟

- سوف نأخذه إلى "كجالارنيس".

أسمعُ تشويشًا ثم رنينًا.

- فليتم تسجيل اسمه من أجل التقرير.

- علم وينفذ.

وأعاد الراديو إلى الحزام المحيط بخصره.

- لقد رأيت سبع البحر.

أقول ذلك فقط لأقول شيئًا، ثم تركوني على الشاطئ في مدينة "موم" وهناك بدأت رحلتي، لكنهم دوَّنوا اسمي وعنواني قبل الذهاب بدون توديعي.

رأيتُ في اليوم التالي خبرًا عني في الصفحة الأخيرة من جريدة "التايمز".

"وحده على قارب انتحاري".

قمت بتمزيق المقالة، هذا غباء، كيف يطلقون عليه قاربًا انتحاريًا؟ ما كانوا ليتحدثوا هكذا عن "ثور هيرداهل" رغم أن قاربه تحطم على الصخور، أما أنا فلم يتحطم قاربي، وإنما فقدت برميلًا واحدًا فقط.

■

قامت أمي حديثًا بشراء ترابيزة دوّارة لغرفة المعيشة، طويلة ولها غطاء بلاستيكي، وبها راديو وجهاز تسجيل، تدعى "التاج".

الترابيزات الدوّارة أفضل من تلك الترابيزات المتعددة، لدى "جومي" ترابيزة من طراز "مارانتس"، بها جهاز تسجيل بالأعلى وأسفله كاسيت وراديو، كما أن بها إبرة من الألماس، وسماعة وجهاز للتحكم في خصائص الصوت، لكنني لا ألحظ أي فرق.

لا يملك أبي ولا أمي عدد كبير من الأشرطة، لقد استمعت إليها جميعًا، لديهما شرائط "بروبيرجيور بورورسون" وهي الأفضل، أحب سماعه يتحدث ويتلو قصصًا عن طفولته في الجنوب، أما "جولدن سلوبس" فمملة، يملك أبي ألبومًا يحمل اسم "بتر كب" وهو ممل جدًا.

"بتر كب" هي قصيدة طويلة من تأليف "چوانس أوركوتلوم"، يملك أبي جميع كتبه الشعرية، أقوم بقراءتها أحيانًا، وقصيدتي المفضلة هي "ستار ستيد".

كما يملك أبي كذلك كتاب لـ"شتين شتاينر"، أجده مسلي جدًا، كما أن بعض قصائده مضحكة للغاية، يتوجب علي دراسة الشعر في المدرسة لكنها

قصائد طويلة ومملة بشكل مبالغ فيه، ندرس من كتاب يحمل اسم "الشعر المدرسي"، يعتبر ملخصًا لكل الأشعار، لا ندرس إلا القصائد التي ألفها رجال بوجوه غريبة توفوا قبل وقت طويل.

تناقش معظم تلك القصائد أمورًا لا أفهمها، وذلك مطلع إحداها:

"الهواء منتفخ، والبحر ثقيل، أما الربيع فسميك ونعسان، لذا ذهب إلى "إيجيرت أولافسون" الذي كان يعاني من برد "سكور"". أنا أحفظه – المطلع – بالكامل، فلقد توجب عليّ ذلك في المدرسة، لكنني في الوقت ذاته لا أعرف شيئًا عن هذا " الإيجيرت".

أعرف كذلك قصيدة "هايكينج" من تأليف "توماس جوموندسون"، ويمكنني إلقاءها بالكامل أسرع من الجميع، درستها العام الماضي، إنها قصيدة جميلة، عن شخص ما يشعر بالإرهاق عند ذهابه للتنزه، أعرف ذلك الشعور.

ألبومي المفضل هو "50 عام من شركة مسرح "ريكياڤيك""، يضم تسجيلات لجميع المسرحيات، تدعى إحدى المسرحيات "ميلبوند الله" وهي جيدة حقًا، وهناك مسرحية أخرى عن جبل "إيفند"، وهي مملة، أما مسرحيتي المفضلة في الألبوم فهي "بيجيون بانكوت" للكاتب "هالدور لاكسنيس"، إنها مسرحية مضحكة عن زوجين عجوزين لديهما الكثير من المال حتى إنهما يلقيان بالمال في المرحاض، يمكنني الاستماع إليها مرة تلو الأخرى والضحك تمامًا مثل أول مرة، أجد الطريقة التي يتحدث بها الممثلون مضحكة، لقد ذهبت إلى المسرحية مرتين لحضور أشياء غير مسرحيات الأطفال، حضرت مع

"كريستيان بور" مسرحية لـ"داريو فو" تحمل اسم "لا أستطيع السداد إذا لم أدفع"، وقد كانت جيدة، كما شاهدت "المعجزة" مع والدي.

تقول أمي إنني مماثل لـ"بوربيرجيور"، راودتني فكرة كونه والدي، فالشبه بيننا كبير، ليس فقط في الشكل ولكن في كل شيء، فلديه شعر أحمر ويرتدي نظارة، ذهبت بعد حضوري المسرحية إلى المكتبة وقمت باستعارة الكتاب لقراءته، كما قرأت له "ترنيمة الزهرة"، لكن لم يكن لها الوقع نفسه، كان كتابًا مناسبًا للفتيات، أما "المعجزة" فهو أفضل كتاب قرأته على الإطلاق، لكني لم أقرأ الكثير من كتب البالغين، قرأت "آنا من ستوروبروج" عندما كنت في الريف، كان كتابًا ظريفًا، كما أخذتني أمي لرؤية "كهف الجنة"، لم نتمكن من التسلق إليه لأن الرياح كانت قوية، لكني أحببت رؤيته، قرأت كذلك "الجندي الجيد سفيك"، أعارني أبي إياه، كان ممتعا جدًا، وبخلاف ذلك فأقرأ كتب الأطفال والمراهقين، أعتقد أنني قرأت جميع الكتب المتوفرة بالمكتبة، كما أعترف أنني قرأت مجموعة من كتب الفتيات لأنني لم أجد ما أقرأ، أجد كتب المغامرات ممتعة، خاصةً تلك التي تتحدث عن الهنود الحمر، كما أحببت "ثلاثية فتية هاردي" و"بوب موران"، لكن يظل "ويند باج بيلوس" هو كتابي المفضل، وهو يدور حول صبي يُدبر المقالب طوال الوقت، بالضبط مثلي.

غالبًا ما أقرأ كتب المراهقين الآن: "كاتاماران"، و"حرب الشتاء" وغيرها.

لا أستمع إلى الموسيقى كثيرًا، ولا توجد تسجيلات موسيقية بالمنزل عدا ألبوم الكريمساس لـ"ماهاليا جاكسون"، رغم أنه لا يحبه أحد، أستمع أحيانا إلى

ألبوم "سفن إنجفار"، الخاص بـ"آنا ستينو"، أحب بعض الأغنيات، وأستوعب الكلمات لأنني أعرف اللغة الدنماركية، لكني لا أستوعب الإنجليزية.

تسببت من قبل في تدمير الكاسيت بدون قصد بينما كنت ألعب مع "أكشن مان".

قامت أمي بشراء مشغل ألبومات متنقل للسيارة، به الكثير من الأغنيات الجميلة مثل: "على نهر بابيلون" لـ"بوني إم"، و"قارب على النهر" لـ"ستايكس"، و"جبان الحي" لـ"كيني روجر"، وتلك الأخيرة هي الأغنية المفضلة لدى أمي، ترددها في المنزل أحيانًا، نضعها على المشغل في السيارة ونقوم بالغناء معها عادةً، وأنا في الحقيقة أهوى ذلك، لكني لا أخبر أحدًا، لأنه تصرف أحمق، لو رأيت أحدهم يقوم بالغناء مع أمه فسوف أسخر منه، كما تحب أمي "ميت لوف"، تلتفت وتنظر إليه عندما يظهر على التليفزيون.

- انظر كم هو مثير للاشمئزاز.

لكنها تحب موسيقاه وتستمع إلى أغنياته.

- يغني جيدًا، لكنه منفر.

لا يهتم أبي بالموسيقى، لم أره يستمع إلى أي أغنيات، ولا سمعته يغني إلا كلامًا لا معنى له، بالرغم من كونه في الوقت نفسه عضوًا في كورال الشرطة، لكني لا أظن هذا شيئًا ممتعًا، فجميع فرق الكورال الغنائية مملة عدا كورال "صن شاين".

غنى أبي من قبل في بلاد أخرى مع كورال الشرطة.

يظن أبي أن غناءه جيد، لكن أمي لا توافقه الرأي، كما تجد هذا الكورال مزعجًا.

عندما يتفاخر أبي بسفره في جولات موسيقية خارج البلاد، تُحرك أمي عيناها وتهز رأسها، فهي لا تحب تفاخر أبي.

– حتى إن الجمهور وقف وقام بالتصفيق لنا.

– حقًا؟

– نعم، فلقد قمنا بالغناء بشكل جيد.

– كلا، لم تفعلوا.

– لماذا تقولين ذلك؟

– لأنكم كنتم تغنون بشكل سيء، وما زلتم.

– أهذا رأيك حقًا؟

– أجل.

– لماذا؟

– لأن غناءكم يشبه الصراخ.

يغضب أبي عندما تقلل أمي من شأن الكورال.

– وما هي مؤهلاتك للحكم علينا؟

– أعرف الفرق بين الغناء والصراخ.

– إن كنا بهذا السوء، لماذا وقف لنا الجمهور وصفق إذًا؟

– ربما هي التقاليد؟ أو لعلهم شعروا بالسعادة لأنكم توقفتم عن الصراخ؟

يغضب أبي ويلتفت إلى الراديو، بينما تتنهد أمي.

●

بدأت أشعر بالإعياء، تقول أمي إني أشبه "الدومارا" 'Dummara'، كدت أن أغفو في أثناء مشاهدتي للتليفزيون في الليلة الماضية.

عادةً ما أستلقي على وجهي عند مشاهدة التليفزيون، أشاهده بعينٍ واحدة وأبدل بين العينين عندما ترهق إحداهما، لكن معدتي كانت تؤلمني البارحة فلم أستطع التمدد عليها، ولما كنت أشعر بالبرد وضعت غطاء فوقي على الأريكة، لا أحظى عادةً برؤيةٍ جيدة للتليفزيون من هذا الوضع لكن ذلك لا يهم، فلم يكن هناك شيئًا شيقًا.

ظللت أتنقل بين النوم واليقظة، وبقيت على هذه الحال طوال الليل تقريبًا.

عندما أغلقوا التليفزيون ظنوني نائمًا، حملني أبي ووضعني في الفراش، كان هذا لطيفًا، لقد مددني على السرير ووضع الغطاء فوقي.

قال بهدوء:

- نومًا هنيئًا يا صديقي.

أحيانا يكون أبي لطيفًا، أجده ساعتها هادئًا ويتحدث إليّ ويجيب عن أسئلتي دون اختلاق الأعذار، وقد يلاعبني في تلك الأوقات الشطرنج أو يقرأ لي الشعر، حتى إنه اصطحبني مرة مع "جومي" إلى "بينج فيلر"، وهناك قمنا بالتخييم والصيد.

عادة ما يعود أبي إلى المنزل مرهقًا وأُمثِّل مصدر إزعاج بالنسبة له، إن وظيفته صعبة، يتوجب على رجال الشرطة القيام بأمور كثيرة لا يحتاج الآخرون القيام بها، سمعت أمي وأصدقاءها يتحدثون عن ذلك، يضطر أبي أحيانًا إلى التحدث إلى السكارى مثل والد "طرزان المطاطي"، وقد يطارد العصابات، كما يقوم أحيانًا بمساعدة هؤلاء الذين مروا بحوادث، ويبلغ البعض بوفاة الآخرين، قام رجل ذات مرة بإلقاء نفسه من أعلى مستشفى المدينة، علمت أمي بالأمر لأنها كانت في العمل.

ذهب رجال الشرطة لتفقد الرجل وكان أبي من بينهم، رأت أمي ذلك، وسمعت أنا بذلك بينما كانت تخبر الخالة "سالا".

لا يتحدث أبي عن هذا الأمر، وإنما يحاول نسيانه.

يملك أبي أدوات كثيره متعلقة بعمله، مثل الأصفاد، والعصا، ومسدس حقيقي، هو أفضل من يستخدم السلاح في الشرطة ولديه العديد من الجوائز، صاحبته مرة إلى إحدى المسابقات، وقف الرجال هناك جميعًا في صف يرتدون السماعات فوق أذانهم، لكن أبي هزمهم جميعًا.

عندما كنت وحدي بالمنزل ذات مرة قمت بسرقة أصفاده ولعبت بها.

تصدر الأصفاد صوتًا غريبًا عند غلقها، كليك كليك كليك، وعندما تغلق تمامًا تفتح مجددًا.

قمت بتقييد نفسي دون قصد، لم أكن أنوي إلا وضع يدي في الداخل ثم إخراجها، لكنها علقت أسرع من المتوقع فلم أتمكن من تحرير نفسي، وبدون قصد قيدت الطرف الآخر حول المدفأة فعلقت بالكامل.

بقيت في غرفتي لساعات إلى أن عادت أمي إلى المنزل، كان عليها الاتصال بأبي الذي أتى من عمله ومعه المفتاح، لم يغضبهما ذلك بشدة لأني فعلت ذلك دون قصد، لكن أبي شعر بالغضب فقط لأنه اضطر للعودة من عمله خصيصًا.

وجدت أمي اضطراري للجلوس مقيدًا إلى المدفأة طوال اليوم أمرا مضحكًا.

⧗

غادرت غرفتي وكانت أمي جالسة في المطبخ تلعب "سوليتير"، تفعل ذلك إذا لم تكن في الوظيفة أو نائمة، تجلس هكذا في المطبخ تستحي القهوة، وتدخن، وتلعب " السوليتير".

- هل تحسنت حالتي؟
- حرارتك ليست مرتفعة.
- هل يمكنني الخروج؟
- كلا.
- لماذا؟
- أنت تعرف السبب.
- لكني لم أعد مريضًا.
- يجب أن تبقى بالمنزل على الأقل ليوم دون حرارة، إن لم تفعل فسوف تمرض من جديد.

لا فائدة من الجدال مع أمي، قراراتها مثل قرارات المحكمة.

لا أتحدث مع أمي كثيرًا، تسألني أحيانًا عن أحوالي وعن أخبار أصدقائي وبعض الأشخاص، وأخبرها أحيانًا ببعض القصص فتضحك، من الصعب

إخبار أبي بأية قصص، لأنه يكف عن الاستماع في منتصف الحكاية ويشرع في الحديث عن أمر مختلف.

يتحدث أبي كثيرًا عن السياسة والأخبار الجارية، يفعلها كثيرًا عندما يقول أحدهم شيئًا غبيًا، يغضب أبي عندما يقول المذيع إن سيارة قد ذهبت إلى مكان ما.

- هل قادت السيارة نفسها؟

لا تهتم أمي بذلك، فأبي يتحدث عن الأمر نفسه مرة تلو الأخري ويسأل أسئلة لا إجابة لها.

- لماذا قال الرجل ما قال؟

- لا أعرف.

- هل هذا طبيعي؟

- وكيف لي معرفة ذلك يا "كريستين"؟

يتحدث أحيانًا فلا تجيبه أمي وتواصل لعب " السوليتير"، فيرفع صوته إلى أن تغضب أمي وتصرخ فيه.

- كف عن إصدار هذه الضوضاء اللعينة.

عندها يغضب أبي ويعاود مشاهدة الأخبار في التليفزيون أو يستمع إليها على الراديو، يشعر أبي بالحزن أحيانًا لأن لا يبادله أحد الحديث عن السياسة أو يفسر له سبب قول الناس لهذه العبارات، حتى إنه قد يتحدث إلى التليفزيون أحيانًا. خلال برامج المناقشات يتحدث أبي أكثر ممن يجرون الحوار، ويلقى بالأسئلة ويضحك على ما يقوله الناس.

- ما هذا القرف بحق الجحيم؟ اجب على السؤال.

يهوى أبي جمع الأشياء، فهو يجمع الطوابع، والأشياء القديمة، والأزرار، واللواصق، كما أن لديه برميل ملئ باللحم المخلل في البلكونة، يحوي كبدة ودم متجلط وأعضاء خرفان وعظام خرفان وزعانف لسباع البحر وأشياء أخرى لا أعرف ماهيتها.

يتسلم أبي طردًا من وقت لآخر قادمًا من الغرب، ويسر به ويضعه في البرميل، عادةً ما يكون الطرد ملفوفًا في ورق جرائد مبتل.

لا أحب اللحم المعلب، لكن أبي يتناوله مع العصيدة في الصباح، سجق الكبد المالح هو الشيء الوحيد الذي أحبه، أجد الأشياء الأخرى مقززة خاصةً أعضاء الخرفان، لا يمكنني أكل أعضاء حيوان ما، كما أنفر من دهن الحوت وزعانف سبع البحر أيضًا.

توجد طبقة من العفن تغطي سطح اللبن، عندما يكون الطقس حارًا يزيل أبي العفن ويتناول اللبن.

لكن التواجد مع أبي يكون مسليًا أحيانًا، ففي الربيع يذهب لجمع بيض النورس الضخم ذو الظهر الأسود، اصطحبني معه مرة، غادرنا المنزل في الصباح المبكر، وقطعنا الطريق إلى حي "جراڤارڤوجر" بالكامل وجمعنا البيض.

لا تملك أمي أية هوايات عدا لعب البريدج، تقوم أحيانًا بإعداد الخمر، مثل النبيذ الروزى، والبيرة، حيث توضع الخمور في صفائح ضخمة وتحفظ في خزانة.

عندما يحين الوقت المناسب، تضع أمي الخمر في زجاجات، تضع النبيذ الروزي في زجاجات كبيرة والبيرة في زجاجات أصغر بنية اللون، كما تغلق أمي الزجاجات باستخدام المكابس.

يأتي أصدقاء أبي وأمي أحيانًا للعب البريدج فتقدم لهم أمي البيرة.

عندما يلعب الناس البريدج ينقرون على الترابيزة عند وضع أوراقهم، يضرب أبي الترابيزة بعنف شديد حتى إنني أخشى أن تكسر أصابعه.

تجتمع العائلة بأكملها أحيانًا للعب دورة من البريدج، أما أنا فأجدها لعبة مزعجة وشديدة التعقيد، يمكنني لعب "جو فيش"، نلعبها أحيانًا نحن الثلاثة في المساء، تجيد أمي ألعاب الورق، تتذكر كل ما وزع من الأوراق وتتوقع الخطوة القادمة، أما أبي فيخلط الأمور كثيرًا.

أمي وأبي مختلفان كليةً وكذلك اهتماماتهما، تقضي أمي معظم الوقت بمفردها وتبقى في الحالة المزاجية نفسها دائمًا: درجة من درجات الإرهاق، أما أبي فحالته المزاجية تتغير، يمكن أن يكون مسليًا، خاصةً في أثناء قيامه بأمر يثير حماسته، لكنه مشتت في الأغلب، أجد ذلك مقبولًا، لكنني أكره الأوقات التي يصبح فيها مزعجًا، حينها يضايق أمي ويعنفني، يلقي على مسامع أمي محاضرات عن أضرار التدخين ويحاول دفعها لمجادلته في أمر ما قالته أو قاله أحدهم، أحاول تجنبه عندما يكون في هذه الحال، فإن لم أفعل يمسك بي ويجبرني على التعهد بشيء ما، وقد يتذمر لأنني لم أنفذ ما تعهدت به من قبل،

غالبًا ما أنسى الوعود التي أقطعها، فأنا لا أقطع الوعود إلا لأتخلص منه، يذكرني بوالد "طرزان المطاطي" عدا أنه لا يشرب الخمر حتى الثمالة.

كما يطلب مني أحيانًا إخباره بأمر ما، يمسك حينئذ بيدي ويثبتني.

- أخبرني شيئًا.

ماذا؟ لا أعرف ماذا أقول له، وألتزم الصمت، فهو لا يهتم بأي شيء أقوله.

أوافق عادةً عندما يطلب مني التعهد بأمر ما، ولا أجرؤ على الرفض، وإلا فسيبقني بين يديه لمدة أطول ويبدأ في الغضب، لن يتركني حتى أعده.

قد يطلب أى عهد يخطر على باله، يشبه الأمر التحدي أحيانًا.

أرغمني في إحدى المرات على التعهد بكتابة قصة شيقة، لكني خشيت أن يجد ما أكتبه مملًا، لن أتمكن من كتابة قصة جيدة أبدًا، لا يمكنني الكتابة، فأنا الأسوأ بين زملائي جميعًا.

■

المكان: منزل أيسلندي تقليدي.

يجلس الأب على الكرسي بينما يدخل الابن، يبحث عن شيء ما.

الأب (بلطف): عما تبحث؟

الابن: أبحث عن سترتي.

يمد الأب ذراعه إشارة للولد بالاقتراب، فيقترب الابن بحذر ويمسك بيده.

الأب (برفق): هل فعلت ما وعدتني به؟

الابن: ماذا؟

الأب: ألا تذكر؟

الابن: كلا.

الأب: لقد وعدتني بكتابة قصة.

الابن: ممم..

الأب: ماذا؟

الابن: هذا صحيح.

الأب: إذا فلتكتب قصة لوالدك.

الابن: حسنًا.

الأب: سوف يسعدني هذا كثيرًا.

الابن: حسنًا.

الأب: ليس ذلك بالأمر الشاق.

الابن: أجل.

الأب (بهدوء): هل تعدني؟

الابن: أجل.

الأب (بهدوء): قصة مسلية من أجل والدك؟

الابن: أجل.

يترك الأب يد ابنه، ثم يمد يده ليصافحه.

الأب (بصوتٍ مرتفع وواضح): هل اتفقنا؟

الابن: أجل.

يتصافحان، ويبتسم الأب ابتسامة تشجيعية بينما يداعب جبين الابن. ثم نرى الابن يدخل غرفته، يجلس على سريره، يُخبِّئ وجهه بين يديه، ويبكي.

النهاية.

▲

تنهي أمي اللعبة وتشعل سيجارة.

- حسنًا، ألا يتوجب علينا تناول العشاء الآن؟

- ماذا سنأكل؟

- كنت أفكر في إعداد سمك مقلي.

تضع الخلطة على بعض سمك "الهادوك" وتقوم بقليه، وأذهب إلى غرفتي لقضاء بعض الوقت.

يصل أبي في أثناء وضع الطعام على المائدة، كان مزاجه جيدًا، قام ببعض الخطوات الراقصة مع أمي فضحكت.

تعلق أمي مبتسمة:

- هذا مبهر!

- لم تتوقعي أن بإمكاني القيام بذلك، أليس كذلك؟

ثم يقبلها ويجلس على المائدة، يشغل الراديو، تشبه دقات ساعة الأخبار أجراس الكنيسة، راديو "ريكيافيك"، الأخبار.

نتناول العشاء بصحبة صوت مذيع الأخبار، نلتهم سمك "الهادوك" مع البطاطس، والبصل المقلي، والبيض، والتضخم المالي، والاحتلال، وأخبار الطقس.

تضع أمي الزبادي أمامنا للتحلية، ألعق الغطاء قبل أن ألتهم الزبادي من الكوب.

"على بعد 800 ميل جنوب/جنوب غرب شبه جزيرة "ركيانيس" يستقر الضغط عند 988 مللي بار، وحدة قياس الضغط الجوي، من غرب أيرلاند، ضغط متزايد من حوالي 986 ميلي بار يقترب في اتجاه شمال غرب".

إن أمي وأبي رائعان، كم أنا سعيد لكوني أنا، وربما سنلعب "جو فيش" الليلة.

"أحوال الطقس تتحسن.. الرؤية ممتازة.. بدأ الدفء.. لم تتغير أحوال الطقس.. تغيير بسيط في الساعة الأخيرة.. الرؤية جيدة.. ارتفاع بسيط في مستوى الموج.. درجة الحرارة: درجتان".

•

حصلت على ألبومي الأول، كان هدية الكريسماس من "كريستين"، دائمًا تحمل الطرود التي ترسلها عبارة "مرسل من نورج"، يدعى الألبوم "جريس"، نعم، تنطق "جريس" لا "جرياس"، لا أفهم لماذا تكتب الإنجليزية بطريقة مختلفة عن نطقها، لقد تم عرض الفيلم الخاص بهذا الألبوم، ذهبت لرؤيته مع "كريستيان بور"، لعب دور البطولة فيه "چون ترافولتا" و"أوليفيا نيوتن چون"، كان يدور حول طلاب مدرسة مراهقين: تنضم فتاة جديدة إلى المدرسة فيقع "ترافولتا" في حبها، كان الجميع يرتدي ملابسًا غريبة في الفيلم ويضعون كريم تلميع على شعورهم، ظننتها في بادئ الأمر موضة جديدة لكن "جومي" شرح لي أنها موضة قديمة تعود من جديد، لا أعرف الكثير عن الموضة، لكني أعرف الهيبيز، شقيقتي "رونا" من الهيبيز، يرتدون البشاكير والقباقيب ويجلسون على الأرض بدلًا من المقاعد.

في الحقيقة لم أستمتع بالفيلم، ففجأة يبدأ أحدهم في الغناء في منتصف المحادثات، ثم يرقصون جميعًا دون مقدمات، لكن بعض الصبية الذين أعرفهم ذهبوا لحضور الفيلم عدة مرات، كما نشر حوار في الجريدة مع صبي شاهد الفيلم ٨٠ مرة، ترى ماذا كان رد فعل والده؟ ربما ينفجر أحد شرايين أبي إن

ذهبت إلى السينما بهذه الكثرة. أفضل أفلام الأثارة مثل "وايلد جريس" و"الفك المفترس". يمكنني مشاهدة "الفك المفترس" مرات عديدة، حتى إن كلمة "جوز" أي الفك الفترس أكثر غرابة من كلمة "جريس"، لا يمكنك نطقها كـ: "جوفز"، "جوورز"، أو "جو وز". ظننت في البداية أن النطق الصحيح هو "جافاز" لكن "جومي" قال إنها أقرب إلى "جوارفز"، أن الإنجليزية لغة غبية، لماذا لا يتحدثون الأيسلندية؟

استمعت إلى بعض أغنيات "جريس" بينما أنظر إلى الصور، يحمل غلاف الألبوم صورًا من الفيلم، أعتقد أن "بيوتي سكوول دروب أوت" هي الأغنية الأفضل، وأحب ترديد الكلمات مع الكورال، إنه الجزء الوحيد الذي أعرفه، أستلقي على الأرض والسماعات على أذني، لا أعرف الكلمات فأدندن اللحن حتى يحين دور الكورال، لأنضم عندها إلى "جوستو" وأصرخ معهم، أتحد بهم، لتتردد الأغنية في أرجاء المنزل.

- دووبيبيسكوو-دابا، دووبيبيسكوو-دابا.

سيقام اليوم حفل "جريس" في المدرسة، حيث يتوجب على الجميع ارتداء ملابس تشبه ملابس "جريس" والمشاركة في الرقص، يسمح لنا بإحضار الكوكاكولا وقطعة حلوى واحدة، سوف أحضر كوكاكولا لكن "كريستيان بور" سيحضر البيبسي، فهو يفضل البيبسي، أما أنا فلا أرى أي اختلاف بينهما، لا يستطيع "كريستيان بور" نطق كلمة بيبسي، بل يقول "فيفسي"، سيحضر كل منا قالب شيكولاتة من نوعية "مارس"، قمت باستعدادات كثيرة لهذا الحفل،

ذهبت إلى الصيدلية وقمت بشراء مشط أسود لامع لأضعه في جيبي، كما اشترت لي أمي قميصًا أسود اللون ضيق، أردت شراء چينز "رانجلر" أو "لي كوبر" لكن أمي أصرت علي ارتدائي بنطلوني الچينز الخاص بي، لذا فما زلت أرتدي چينز "دوفيس"، ليس مميزًا مثل الماركات الاخرى، ولن يرتدى "ترافولتا" جيبنز "دوفيس" أبدًا، كما أني لا أملك معطفا جلديًا، سوف أذهب مرتديًا القميص فقط.

ذهبت إلى منزل "جومي" لتعلم رقصة "جريس"، فهو يجيد الرقص.

حصل "جومي" على لقب "جومي العاشق"، لأنه عند ذهابه إلى المتجر مرة قابل صحفي، وسأله الصحفي عن أكثر الأشياء التي يقوم به في المدرسة تشويقًا، قال:

- لعبة "مطاردة القُبَل" مع الفتيات.

نمارس هذه اللعبة أحيانًا في الراحة، نحاول الإمساك ببعض الفتيات وتثبيتهن ويقوم "جومي" بتقبيل أفواههن، كما تطاردنا الفتيات أحيانًا ويحاولن تقبيلنا كذلك، لكن معظم الفتيات تريد تقبيل "جومي" فقط، بينما حاولت "إستا" تقبيلي مرة.

لم تمر دروس الرقص على خير، فلم أتمكن من تعلم الحركات، بالكاد تعلمت تأدية حركة بيدي، في النهاية، استسلمنا، ولسوف أتجنب الرقص بقدر الإمكان، ربما أرقص على الأغنية الأخيرة فقط، لأنها عادة ما تكون أغنية بطيئة الإيقاع.

الحلق هو الجزء الأهم، لذا ذهبت إلى "ألف تاجر وتاجر" في "لوجا فيجيور" الأسبوع الماضي لشراء حلق، ولم أخبر أحدًا بذلك عدا "كريستيان بور"، يرتدي العديد من الصبية في المدرسة حلقان، كما أن لـ"جومي" ثقب في أذنه للحلق، ولديه حلقان بأشكال عديدة يرتديها في الأيام المختلفة، كنت أنوي شراء حلق كوكاكولا، فلقد ظننت أنه سيكون مميزًا، تخيل زجاجة كوكا صغيرة تتدلى من أذنك، ولما لم يكن لديهم كوكاكولا، اشتريت بيبسي، سوف أرتديها في أذني، يتوجب عليَّ الذهاب إلى متخصص لثقب أذني، لكني لا أملك المال الكافي لذلك، ولقد مللت من مناقشة الأمر مع أبي، لذا قررت ثقب أذني بنفسي، تمكنت من سرقة الإبرة الكبيرة التي تستخدمها أمي لخياطة السجق، ستكون كافية لصنع ثقب في الأذنين، وبهذا سأكون الصبي الوحيد الذي يرتدى حلقين في الوقت نفسه.

هناك فتاة في المدرسة معجبة بي، إنها "إستا"، ترسل لي خطابات في المدرسة، كما جاءت إلى منزلي مرة ونقرت على النوافذ، لكني لم أرد قط، فأنا أخجل من ذلك، كما أخشى أن تضايقني، لعلها تدعى الإعجاب بي، فمن غير المعقول أن تعجب إحداهن بي! أجد نفسي قبيحًا، وغبي، وإن كانت معجبة بي حقًا فمن الأفضل لها أن تتوقف الآن، فسوف أسبب لها الإزعاج في النهاية، كما أني أخشى الفتيات، ولا أفهمهن، إنهن مثل الكائنات الفضائية، لا أعرف فيما يفكرن أو ماذا يعجبهن، كما لا أتحدث إلى الفتيات لأن بعضهن جميلات بشكل مبالغ فيه، حتى إنك قد تموت إذا نظرت إليهن مباشرة، كما أن لهن رائحة جميلة، وأصوات عذبة إذا تحدثن بها لن تميز الكلمات لأنك ستكون حينها منشغلًا في محاولة الحفاظ على وعيك، لكن هناك فتيات لحوحات، وغبيات، ومزعجات.

يمكن لفتيات أن تكون مزعجات، وهن يرددن أمورًا مزعجة، ربما لأنهن ضعيفات، ولا يمكنهن الدفاع عن أنفسهن فيتشاجرن بالكلام.

لا أعرف إلا فتاتين، يسكنان معي في الحي نفسه، ولا أعرف شيئًا عن فتيات فصلي المدرسي.

"إستا" فتاة تقليدية، لها مظهر لطيف، وشعر أسود طويل، وجسد ضئيل، لا أجدها مسلية، لكنها ليست مزعجة، أما صديقاتها فمزعجات وغبيات.

نتقابل لنستعد معًا، وأرتدي قميصي وأدخل طرفه داخل بنطلوني، ثم نذهب إلى الحمام لنضع كريم التلميع على شعرنا.

لا أشبه "ترافولتا"، فلدى شعر أحمر، ونمش، وأرتدي نظارة، أنا أكثر شبهًا بأحد الأشرار، ففي الأفلام يكون الأشرار دائمًا أقبح من الأخيار، لكن هذا ليس صحيحًا في الحقيقة، لكن مظهري سيتحسن بدرجة هائلة عندما أرتدي الحلق.

وضعت كريم التلميع على شعري وصففته إلى الخلف، فوقف ثانية وبدا ضخمًا، أما شعر "كريستيان بور" فمن السهل فرده، على عكس شعري المنتفخ دائمًا، حاولت كثيرًا لكني فشلت، فاضطررت حينها للجوء إلى أمي التي وضعت مثبت الشعر على رأسي، فانحلت المشكلة.

توجد بعض الثلوج في الخارج، شعرت بالبرد في الطريق إلى المدرسة بسبب ارتدائي القميص فقط، أحمل الحلق في جيبي مع إبرة السجق، يرتدي "كريستيان بور" معطف التزلج الخاص به، كان مظهره جيدًا، في العادة

أرتدى معطفًا ببطانة من الفرو، يطلق الصبية على هذا النوع من المعاطف اسم "مونج"، ولا يمكنني الذهاب إلى حفل "جريس" في معطف "مونج".

من المهم ارتداء ملابس ملائمة، وعدم فعلك ذلك يعني أنك أحمق، تحكم الناس عليك وِفقًا لملابسك، ربما لا يهم ذلك عندما تكون صغيرًا، لكن بينما تكبر تزداد تلك الأمور أهمية، لا يريد أحد من المراهقين أن يبدو أحمقًا، لذا يرتدي الجميع حذاء "موون" وسترات، لا أملك حذاء "موون" لكن لدي سترة وقبعة تزلج رائعة، لست أحمقًا، كنت أحمقًا من قبل لكنني لم أعد كذلك.

لم أكن أدري بأمر الموضة حتى ذهبنا في رحلة تزلج على الجليد مع المدرسة، لم أكن قد تزلجت من قبل، لكن ذلك أصبح شائعًا فجأة، قام أبي وأمي باستئجار أحذية تزلج "روزيجنول" من النادي الرياضي من أجلي، كانت تلك ماركة مميزة، لكن الماركات الأكثر انتشارًا هي "كي تو" و"سلومون"، أما أفضل حذاء فهو "نورديكا".

قمت بارتداء أحذية التزلج، وحاولت استخدامها أمام المنزل عدة مرات، وبالكاد تمكنت من الوقوف، لكنني كنت بحاجة إلى ملابس التزلج. تملك أمي بنطلون تزلج قديم، ليس له بطانة لكنه مريح وحجمه مناسب، وقمت باستعارة قبعة تزلج من أبي، لم تكن قبعة تزلج حقيقية، فقد كانت بلون اللهب، أما قبعات التزلج فتكون متعددة الألوان أو تحمل بعض الرسومات، بينما تحمل قبعة أبي كلمة "نورج" على مقدمتها.

ركبت الأتوبيس من "بلافجول"، ولما لم أكن واثقًا أنها تناسب الموضة، أخفيت القبعة في جيبي، لكن الطقس هناك كان باردًا جدًا فاضطررت لارتدائها، واكتشفت ساعتها أنها غير ملائمة للموضة، حيث بدأ الجميع في الضحك والتهامس، كما سخروا من بنطلوني، فقد كان جميع الصبية يرتدون بنطلونات تزلج ذات بطانة، وبدأت الفتيات في مضايقتي.

- أهذا بنطلون لركوب الخيل؟
- كلا، إنه بنطلون تزلج.
- لماذا يبدو سخيفا جدا؟
- لأنه بنطلون أمي.
- هل ترتدي بنطلون أمك؟
- أجل، ماذا في ذلك؟
- ألم تبلغ أمك المائة من عمرها، أو شيئًا مثل ذلك؟
- كلا.
- هل ترتدي ملابسها الداخلية أيضا؟

ضحك الجميع، وأصبحت أحمق، لن يأتي الأتوبيس قبل المساء، وهكذا توجب علي البقاء هناك طوال اليوم في ذلك البنطلون وتلك القبعة، لا أكن أعرف شيئًا عن التزلج، ركبت المقعد المتحرك الذي يأخذنا إلى أعلى التلة لكني شعرت بالخوف بمجرد الوصول فنزلتُ مشيًا على زلاجتي بينما الجميع ينظرون إليَّ وهم يتزلجون.

جلست بقية اليوم في الداخل أشرب الكوكا مع "طرزان المطاطي"، لم يكن لديه أدوات تزلج، وكان يرتدى ملابسه التقليدية، كانت مرافقته أمرًا سيئًا كسخرية الآخرين بالضبط.

يا له من يوم سيء.

بدأ أحدهم في مناداتي بـ"چونسي نرويج" في أثناء تواجدي في الأتوبيس في طريق العودة.

- "چونسي نرويج"؟

- فلتصمت.

- هل ترتدى ملابس أمك الداخلية؟

لعنت أمي وأبي في ذهني طوال اليوم، وعندما وصلت إلى المنزل ألقيت بنفسي على صدر أمي وبكيت، وطلبت منها ملابسًا مميزة مثل الجميع، فأنا لم أعد أحمقًا، وأريد أن أكون مثل الجميع، أريد أن أكون مميزًا.

كان الجميع يرتدون ملابسًا رائعة، يرتدى الصبية ملابس سوداء، قمصان وبنطلونات، حتى الحمقى منهم، ويرتدى البعض قميص وبنطلون چينز أسود، ويرتدي البعض الآخر معاطف سوداء.

كان الصبي الوحيد الذي لا ينتمى للمكان هو "طرزان المطاطي"، إنه زعيم حمقى المدرسة، جسده ضئيل وله شعر أحمر لا يصففه مطلقًا، لم يلبس "طرزان المطاطي" أي من ملابس "جريس"، فقد جاء في معطف وبنطلون من القطيفة، ناهيك عن ارتدائه حذاء أسود تقليدي لا حذاء رياضي.

شعرت بالشفقة نحوه، كان والده فاشل وأمه قعيدة الفراش، يسكنون في "بليسوجروف"، وهي منطقة فقيرة يطلقون على سكانها "فئران القمل"، ذهب الأهالي ذات مرة إلى منزله ومنحوا والدته بعض الملابس المُستخدمة التي لم يعد أبنائهم في حاجة إليها، لكنهم لم يستأذنوا أبنائهم قبل فعل ذلك، ثم أتى "طرزان المطاطي" إلى المدرسة في معطف جديد، وتعرف عليه يومها أحد الصبية، لأنه كان معطفه.

- أنت يا هذا، لماذا ترتدي معطفي القديم؟

- إنه ليس معطفك، بل معطفي.

- مستحيل، إن اسمي مكتوب داخله.

"طرزان المطاطي" فقير وله رائحة سيئة، كما أنه مزعج وغبي، ولا يرغب أحد في صداقته، كنت ألعب معه أحيانًا في صغري لأني لم أجد من ألعب معه.

كان ينتابني شعور غريب عند زيارة بيته، فهو قبيح ومتسخ، وقد نجد والده سكران في النهار فيزعجنا بأمور لا معنى لها.

كذلك لديه شقيقة متأخرة عقليًا، عندما كنتُ في منزله مرة، رأيتُها تجري في المنزل عارية، تصرخ بصوت مرتفع جدًا، كان الأمر غريبًا أكثر منه مضحكًا.

حاول "طرزان المطاطي" مرافقتي في الطريق إلى المنزل، لكنني لم أكن أريد ذلك. حاولت أن أوضح له أني لا أريد صداقته، أتمنى لو لم أتحدث إليه قط، فهو أحمق حقًا ولا أريد لأحد أن يراني معه.

يأتي إليّ مباشرةً عندما يراني ويبتسم.

يقول بابتسامة كبيرة تكشف عن جميع أسنانه:

- مرحبًا.

أجيبه ببرود:

- مرحبًا.

- ما اسم الفتاة في "جريس"؟

- "أوليفيا نيوتن چون"؟

- كلا، بل "ثاني يفيا نيوتن چون".

أبتسم ابتسامة صفراء، فتلك مزحة قديمة جدًا، إنه ما يزال طفولي الاهتمامات ويلعب بـ"أكشن مان"، ثم وقف معنا، أظنه لن يذهب، يا له من أمر غير محتمل! و"كريستان بور" ليس بالشخص الرائع أيضًا، يظن الكثيرون أنه متخلف، لم يكن يمانع في تواجد "طرزان المطاطي"، أتمنى لو كنت فردًا من مجموعة أخرى.

ارتدت الفتيات فساتين قصيرة، وقمن بتمويج شعورها، ارتدى بعضهن بتطلونات چينز سوداء ضيقة، وأحذية حمراء اللون بكعب مرتفع، وقمصان سوداء مثل "أوليفيا نيوتن چون" بعد تحولها. لا أرى "إستا" في أي مكان، أخذ الحضور في التوافد، ما زال الملعب تحت التجديد، وهناك أغنيات من فيلم "جريس". لم يبدأ أحد بالرقص بعد.

تخلصتُ من "طرزان المطاطي" و"كريستيان بور"، وذهبتُ إلى الحمام لتفحص هيئتي، لقد خرج قميصي من البنطلون، كنت أشبه "تان تان" أكثر من شخصيات "جريس"، اللعنة على مظهري، أتمنى لو لم يكن لدي هذا الشعر الأحمر، أريد شعرًا أسود، ونظرًا صحيحًا لا أحتاج معه إلى نظارة، قمتُ بإضافة بعض كريم التلميع إلى شعري، نظرتُ إلى الحلق، لن أرتديه حتى يبدأ الرقص، سوف أنتظر اللحظة المثالية.

تعمدت تجنب "طرزان المطاطي" و"كريستيان بور"، فأخذ "كريستيان بور" ينظر إليَّ نظرات متسائلة، فأومأتُ له بلطفٍ كأننا لا نعرف بعضنا

البعض، أدرك أنني أتجاهله وضايقه ذلك، إنه أمر مزعج لكن هكذا هي الحياة، لا يمكنني البقاء أحمقًا للأبد، لا أملك أصدقاء هنا عدا "كريستيان بور"، لكني أُفضِّل أن أكون بمفردي على أن أُرَى معه هو و"طرزان المطاطي"، كانا يقفان بمفردهما في الركن، كأنهما غريبان عن المكان، ما يزالان يحملان حقائب الحلوى، تسري القشعريرة في جسدي عندما أفكر أني كنت هكذا في وقت ما، فكل ما يريدانه هو اللعب في أنفهما، والاستغماية.

لم تظهر "أستا" بعد، ولا أجرؤ على سؤال إحدى صديقاتها المزعجات.

دخلت "إنجي بورج" المعلمة من الباب.

- حسنًا يا أولاد، هيا ندخل إلى القاعة.

يتزاحم فتيان "جريس" إلى قاعة الألعاب الرياضية حيث يدوي صوت الموسيقى القوي.

"أنت الذي أريده، أنت الذي أريده، أوه أوه أوه، يا عزيزي"

حاولتُ الاندماج وسط الزحام، والابتعاد عن "كريستيان بور" و"طرزان المطاطي" قدر الإمكان، فأخذتُ أرددُ مع الأغنية كشاب متمرس ما ظننته كلمة صحيحة في الأغنية، وهي "يورافونيرافون" "Joravoneravon!" أو لعلَّها: "Oh ,Oh ,Oh! Joravoneravon! oh ,oh!"

وظهرت "إستا"، رأيتُها تهمس بشيءٍ ما لصديقاتها، ثم نظرن نحوي وضحكن، من المستحيل معرفة إن كانت جملة تَنمّ عن حبٍ أم احتقار، لكنها - على الأقل - ليست منزعجة مني، وهذا يريحني.

ثم توقفت الموسيقى.

قالت المعلمة ذلك بصوت مرتفع:

- فليصعد الآن كل من يريد المشاركة في الرقصة الجماعية.

ظهرت الفروق الجينية بين الجنسين بشكل صارخ، فعلى مدار العام الماضي فقط، تحولت الفتيات من صغيرات ضاحكات إلى سيدات صغيرات هادئات، أخذن يرتبن أنفسهن في صف، وأمامهن يتناثر الصِبيه على غيرِ هُدى، يتطلعون حولهم ويضعون أيديهم في جيوبهم، ما يزال معظم الصبيه يجلسون على الأرض يثرثرون، وأخذ البعض في اللعب بالكرة وتسلق الأعمدة، والتَدَلّي من الحبال ولعب الاستغماية، حاولت المعلمة إسكاتهم، لكني لم أعد صبي بسيط العقل، لذا انضممت إلى أحد الصفوف، وعندما صفقت المعلمة بدأتْ الرقصة:

"لوف لوف لوف! تيل مي مو تيل مي مو، ديديدارادادا، تيل مي مو تيل مي مو، ديديدارادادا"

هذا ليس عدل! تفوقنا الفتيات عددًا وطولًا، كما يرقصن بشكل أفضل.

حاولتُ التظاهر بالاندماج في الرقص لكني سرعان ما فقدت التركيز وتَشتتْ انتباهي، كانت الأغنية سريعة، فسال عرقي وشعرتُ بحرقةٍ في عيناي، وعندما مسحتُ جبهتي لاحظتُ أن كريم التلميع بدأ يسيل على شعري، صار حاجبي لزجًا، كأن أحدهم ضَخ مُثبِّت الشعر في وجهي، انسحبتُ وذهبتُ إلى الحمام، وهناك جففتُ وجهي وغسلتُ يدي، شعرتُ كأن شعري مغطى بالسمن، قمتُ بتصفيفِ شعري مجددًا. حان الوقت الآن. لن أظل ذلك الصبي الأحمق الذي يُخرِّب الألعاب ويلعب "فيشيريس" بمفردهِ طوال الليل، سأطلب من "إستا" أن تصبح حبيبتي.

أخرجتُ الحلق من جيبي ووضعتُه على الرف، ثم أخرجتُ الإبرة، نغزتُ أذني اليسرى كي تتبلد قليلًا، ثم أخذتُ الإبرة وطعنتُ أذني، دفعتُ الإبرة بقوةٍ أكبر، وسمعتُ الجلد يتمزق تحت الضغط. تنفست الصعداء ونظرت إلى أذني. لقد اقتحمت الإبرة الجلد من ناحية، واصلت الضغط إلى أن شعرت بالوخز ثم اخترقت الإبرة أذني بالكامل، صار لدي ثقب للحلق أخيرًا!

أخرجتُ الإبرة وأخذت أحد زوجي الحلق، ثنيتُ المشبك ووضعته في أذني، كان الأمر يسير بشكل جيد، لكني وجدت صعوبة في العثور على الثقب في الطرف الآخر.

كان كريم التلميع يغطي يدي وينسال من شعري على عيني، كما أن مشبك الحلق مصنوع من حديد لين ينثني داخل ثقب أذني، ربما يتوجب على زيادة حجم الثقب!

أخرجتُ الحلق وجففتُ يدي ووجهي، ثم أدخلتُ الإبرة في أذني مجددًا، عندما لم أجد الثقب على الجهة الأخرى قمتُ بثقب مكان جديد، بدأ الدم يسيل شيئًا ما، لكني لم أشعر بألم صريح، جففتُ الثقب بورق الحمام وحاولتُ إدخال الحلق مجددًا، تسير الأمور بشكل أفضل. مرَّ الحلق أخيرًا خلال أذني، وحان الآن وقت الحلق الآخر. اضطررت إلى نغز أذني اليمنى ثلاث مرات قبل أن أتمكن من ارتداء الحلق.

مسحتُ الدم وتفحصتُ نفسي في المرآة، كنت أبدو رائعًا، تتدلى من كِلتا أذنيَّ زجاجة بيبسي، جربتُ تحريك رأسي فتحرك الحلق، أخيرًا! رحتُ أصفف شعري وأغسل يدي.

كنتُ أرى الأشياء البعيدة بشكلٍ سيء عند ارتدائي تلك النظارة، لكني أرى معها الأشياء القريبة بوضوح، أفضل من ذوي الرؤية الطبيعية. نظري "– 6" في عين و"- 7" في الأخرى. عندما خلعتُ نظارتي وتأملتُ نفسي في المرآة، وَجَدتُني أكثر وسامة هكذا، فقررتُ العودة إلى الحفل دون نظارة، لففت ورق الحمام حولها ثم وضعتها في جيبي.

عندما عدتُ إلى ساحة الألعاب الرياضية كانت رؤيتي سيئة، وكان المكان مظلمًا، لم يعد بوسعي تمييز الوجوه، حاولتُ عدم لفت الانتباه، رحتُ أسير بلا مبالاة إلى جانب البار، أتحسسُ طريقي في الهواء، تمنيتُ الوصول إلى "إستا"، وحاولتُ العودة إلى حيث رأيتها آخر مرة، كنتُ أحتضن الحوائط في أثناء

سيري، وأمرر يدي على شعري، وأشعرُ بالحلق يتدلى من أذني. لم ألمسُه. كانت أذني ما تزال تؤلمني.

كانت الغرفة حارة فأخذ كريم التلميع ينسال على وجهي مجددًا، شعرتُ بحرقةٍ في عيناي وسالت دموعي، مما جعل الرؤية أكثر صعوبة، خبأتُ وجهي في ياقتي أحاول تجفيف المادة الدهنية، وما بين قِصَرْ النظر والدموع والمادة الدُهنية استحالت الرؤية تمامًا. ازداد الألم في عيناي، لم أعد أحتمل، رحتُ أفركهما، فكسا كريم التلميع وجهي، كان عليَّ العودة إلى الحمام، عليَّ تنظيف عيناي ووجهي.

لا أستطيع رؤية الباب ولا أجد طريق العودة، سمعتُ بعض الصبية يضحكون، فتمنيتُ لو كانوا لا يسخرون مني، أتمنى ألا يراني أحد، وأن يتسنى لي الابتعاد.

سطعت الأضواء فجأة، فتحسنت الرؤية قليلًا، كانت عيني تحرقني وتنغزني، أخرجتُ النظارة من جيبي، كنتُ أحتاج إلى العودة إلى الحمام، أتمنى ألا تراني "إستا".

- يا إلهي! ماذا فعلت؟

ارتديتُ النظارة، إنها "إنجي بورجيس" تقف أمامي، يحمل وجهها تعبير متوسط بين الانبهار والقلق، بينما يلتف الصبية حولي يتأملونني، حاولت التصرف برجولةٍ.

- لا شيء، كنت ذاهب إلى الخارج.

أَخَذتْ بيدي واصطحبتني بعيدًا، وطلبتْ من الصبية البقاء في صالة الألعاب. دخلنا الحمام، ولم يكن ما رأيته في المرآة جيدا. كان الدم يغطي عنقي وأذني التي تضاعف حجمها ثلاث أضعاف الحجم الطبيعي، كما كانت المادة الدهنية والدموع تغطي وجهي. كانت عيناي منتفختان وملتهبتان. رحت أغسلها بماء دافئ.

سألت فتاة ما، لم تكن "إستا":

- هل هو بخير؟

أجابتها المعلمة:

- أجل أجل، عودي إلى الحفل.

شعرتُ بتحسن، وجففتُ وجهي، لم أجرؤ على لمس أذني، كنت أشعر أن الجلد قد انسلخ عنها، كنت أنزف من كلتا الأذنين.

سألتني المعلمة:

- ماذا حدث لأذنيك؟

- إنه الحلق.

- من فعل بك هذا؟

- فعلتها بنفسي.

- كيف فعلتها؟

أخرجت إبرة السجق.

- يا إلهي!

اصطحبني "إنجي بورجيس" إلى المنزل، كان هذا سيئًا، ففلم يكن من المفترض أن تسير الأمور هكذا. لست مميزًا، لن أصبح ذو شعبية أبدًا، أنا أحمق، أفسد كل شيء، ولا أتصرف بشكل صحيح مطلقًا، لست كسائر الصبيه، لدي شعر أحمر وسخيف، لا أجيد لعب الرياضة، أنا غبي ولا أتعلم، كل ما يتعلق بي مزعج ومثير للاشمئزاز، لن تعجب بي أي فتاة أبدًا، لدى الآخرون أشقاء وحياة أسرية سعيدة، يذهبون في رحلات ويقومون بأنشطة مع عائلاتهم، أما نحن فلا نقوم بأي شيء، وعندما يذهب أبي وأمي إلى مكان ما لا يتسنى لي الذهاب معهم. منزلي دائمًا غريب، أبي هو الآخر غريب الأطوار، لا يشبه سائر الآباء، عندما أحاول إخباره بشيء ما يقاطعني ويصحح ما أقوله أو يسخر من الطريقة التي أتحدث بها، حسنًا، أعرف أني أكثر من قول "إيييه" و"أوووه" عندما أتحدث.

- هل تحتاج حقا لقول "إييه" بهذه الكثرة عندما تتحدث؟

لكني لا أقول "إيييه" و"أوووه" بهذه الكثرة إلا عندما أتحدث مع أبي، وعندما يفشل في فهم ما أقول يحول اهتمامه إلى شيء آخر، ويكف عن الانصات، وفجأة، يصب تركيزه على يدي.

- هل ما زلت تقضم أظافرك؟

أتشتت وأنظر إلى أصابعي، إن أظافري مقضومة كليةً.

أقضمها أحيانًا إلى أن تنزف، أقضم أظافري واللحم المحيط بها، ويتقيح الجرح أحيانًا، لا أعرف سبب فعلي ذلك لكني أفعله دائمًا، حاولتُ التوقف عن فعل ذلك وفشلت، دائمًا ما أنسى وأعود ثانية، أفعلها دون وعي.

- أجل.

يمسك يدي بقوة.

- ألم تعدني بالتوقف عن ذلك؟

ليس لدي من أتحدث إليه، لا يقول لي أحدهم أي شيء، ولا يهتم بي أحد، أنا مثل "طرزان المطاطي"، وحيد في هذا العالم.

""چون جنار" عنيد ومتمرد لدرجة أجبرت والديه المتقدمان في العمر على الاستسلام والتوقف عن محاولة تربيته [...] عادةً ما ينتهي به الأمر في صراعات مع الصبيه، فهو من ناحية مسيطر، ومن الناحية الأخرى خائف. الاختبارات الجسدية والقلبية طبيعية. الملاحظات والاختبارات النفسية تشير إلى ذكاء شديد. يعاني من "قلق مرضي"، ويلجأ إلى طرقٍ غير طبيعية للتخلص من ذلك، يجد صعوبة في الهرب من قلقه. إدراكه للواقع جيد ويمكنه التعاطف مع من حوله. معدلات نموه على أغلب الأصعدة طبيعية. يشعر أن كل ما حوله يتحول إلى فوضى لكنه لا يجد السبل المناسبة لتصحيح ذلك. لا يوجد شك في كون الأبوين أكبر سنًا من القدرة على تربية طفل في مثل نشاطه، ولقد استسلما، فتولى الطفل المسئولية إلى درجة كبيرة، حتى أصبحت سلامته على المحك.

التشخيص: غير قادر على التكيف مع المجتمع"

(المستشفى الوطني، عنبر الأمراض النفسية، قسم الأطفال، ١٩٧٢/٦/٩)

كأن هناك خطأ ما، لماذا لا أُشبه الآخرين وأعجز عن أن أكون مثلهم؟ ما خطبي؟ لا أجيد أي شيء، لا المدرسة، ولا الرياضة، ولا التعامل الاجتماعي، ليس لدي حتى ذوق جيد في الموسيقى، ما يجده الآخرون طبيعيًا ويسيرًا أجده معقدًا وغريبًا، كلما حاولت أمرًا فشلت، لا يمكن إلقاء اللوم على غيري، المشكلة داخلي لكني لا أعرف ماذا تكون، أنا مختلف، لا أشبه أحدًا، أنا قبيح وغبي ومزعج، كأني ملعون.

يملك الجميع أيادي طبيعية، أما يداي فمتسخة على الدوام، والأظافر مقصوفة حتى اللحم، أشعر بالخزي لقضمي أظافري، لكني لا أستطيع التوقف عن ذلك.

أخاف من المستقبل، كأن الجميع متجهون إلى مكان ما معًا وأنا لست مدعوًا، سوف أذهب إلى مكان آخر لا أعرفه، سأذهب بمفردي. لا أعرف شيئًا. لا يمكنني القيام بشيء. لا أحد يهتم بأمري، أنا وحيد في هذا العالم.

أنا هندي أحمر.

صدر في سلسلة #كتب_مختلفة:

	العنوان	المؤلف	البلد
1.	أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
2.	كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
3.	مشروع زوجة	جرايم سيمسيون	أستراليا
4.	الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
5.	شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
6.	احترس من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
7.	لم يعد الحب مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
8.	سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
9.	السيمفونية البيضاء	أدريانا ليسبوا	البرازيل
10.	مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
11.	صانع الملائكة	شتيفان بريجش	بلجيكا
12.	مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
13.	جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
14.	أبسنت	أيفر تونش	تركيا
15.	خطايا الأبرياء	برهان سونماز	تركيا
16.	أحلام محطمة	بيولانت سينوكاك	تركيا
17.	ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
18.	امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
19.	الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
20.	مينتا	سولماز كاموران	تركيا
21.	ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
22.	نساء اسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
23.	توباز	هاكان جنيد	تركيا
24.	لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
25.	الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
26.	ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
27.	حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
28.	كل هذا ملكي أنا	بيترا هولوفا	التشيك
29.	سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
30.	كافكا	فرانز كافكا	التشيك
31.	المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك

32. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
33. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
34. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
35. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
36. بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
37. مصباح أبدي	يركسي هولمانبيك	الصين
38. رقصة الكاهنة	جين رينشوين	الصين
39. المغفل	إريك نويوف	فرنسا
40. المجاعة البيضاء	آكي أوليكانين	فنلندا
41. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
42. القنّاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا
43. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
44. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
45. صيف بارد جدًا	روي ياكوبسن	النرويج
46. جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
47. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا

كتب عامّة مترجمة:

48. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
49. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
50. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
51. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
52. الصراع الطبقي في أفريقيا	ليو زيليج	أمريكا
53. الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
54. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
55. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
56. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
57. الثورة التشيكية	مجموعة مؤلفين	التشيك
58. ذكريات الصين	تشين يو	الصين
59. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
60. الجري	ثور جوتاس	النرويج
61. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا